المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

المجلد الأول

النهر الخالد

كتاب عن حياة
شاعر الشرق والإسلام
العلامة
محمد إقبال

تأليف: جاويد إقبال
ترجمة: ظهور أحمد أظهر

874

هذا الكتاب الأغر بين يدى القارئ الكريم
عن حياة (إقبال) وفكره وشعره ، قد ألفه نجله
الدكتور (جاويد إقبال ، رئيس القضاء العالى فى
إقليم بنجاب بلاهور) ، وهو يمتاز - بين جميع
المؤلفات التى ظهرت حتى الآن عن حياة الشاعر
الفيلسوف الإسلامى وشعره وفكره على وجه
التفصيل والإسهاب . ومن بين هذه المزايا الكثيرة
أن المؤلف الفاضل قد استطاع أن يستفيد منها
وذلك بحكم كون المؤلف من أسرة (إقبال) وخلفه
الرشيد مما جلعه يتطرق إلى جميع المعلومات
التى كانت لدى أعضاء الأسرة المهتمين بأمر
إقبال وشعره وفكره .

الغلاف : عمرو الكفراوى

المشروع القومى للترجمة

النهر الخالد

المجلد الأول

وهو كتاب عن حياة

شاعر الشرق والإسلام العلّامَة محمد إقبال

تأليف : جاويد إقبال

تعريب : ظهور أحمد أظهر

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٧٤
- النهر الخالد (المجلد الأول)
- جاويد اقبال
- ظهور أحمد أظهر
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

النهر الخالد

تـأليـف

جاويد إقبال

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396   Fax : 7358084.

المحتـــويات

مقدمة المترجم

هذا الكتاب الأغر بين يدى القارئ الكريم عن حياة (إقبال) وفكره وشعره ، قد ألفه نجله الدكتور (جاويد (إقبال) ، رئيس القضاء العالى فى إقليم بنجاب بلاهور) ، وهو يمتاز - بين جميع المؤلفات التى ظهرت حتى الآن عن حياة الشاعر الفيلسوف الإسلامى وشعره وفكره - بالكثير من المزايا ؛ وعلى رأسها أن هذا الكتاب يستوعب جميع الجوانب من حياة الشاعر وفكره وشعره على وجه التفصيل والإسهاب . ومن بين هذه المزايا الكثيرة أن المؤلف الفاضل قد استطاع أن يستفيد استفادة شاملة مباشرة من المعلومات التى لم يطلع على كثيرها غيره من الباحثين والمؤلفين، والتى لم يكن من الممكن لأحد منهم أن يتوصل إليها ، فضلا عن أن يستفيد منها وذلك بحكم كون المؤلف من أسرة (إقبال) وخلفه الرشيد مما جعله يتطرق إلى جميع المعلومات التى كانت لدى أعضاء الأسرة المهتمين بأمر (إقبال) وشعره وفكره .

ومن بين المزايا الكثيرة التى يمتاز بها هذا الكتاب الأغر هو اسمه (زند ، رود) أو (النهر الخالد) ؛ وقد حقق المؤلف الفاضل من البراعة والابتكار فى اختيار هذا الاسم . و (زند ، رود) اسم نهر من أنهار فارس لا ينقطع ماؤه الغزير المتدفق القوى ، وقد استعار الشاعر هذه الكلمة فى سرد القصة لديوانه المعروف (جاويد نامه) فاستخدمها كاسم له ليدل على شخصيته بين شخصيات هذه القصة الشعرية الرائعة . و(إقبال) هو النهر الخالد، وحقا سمى ديوانه هذا بالرسالة الخالدة . أما نجل (إقبال) (الدكتور جاويد (إقبال)) فقد اختار هذه الكلمة لتكون اسما لكتابه عن حياة والده الشاعر الفيلسوف المسلم العلاَّمة (محمد إقبال) رحمه الله . إن هذا الكتاب الأغر لابد أن يكون كتابا خالدا، وحتى يكون له نصيب من اسمه فالكتاب خالد والكلمة خالدة، وقد وردت فى ديوان خالد لشاعر خالد !

ومن المزايا التى يمتاز بها هذا الكتاب الأغر أن مؤلفه الفاضل ابن بار وخلف رشيد للشاعر الفيلسوف المسلم؛ فقد عاش المؤلف الفاضل مدة فى حجر تلك الشخصية الإسلامية العالمية البارزة طفلا فنال من شفقتها وحبها وحنانها ، كما أنه حظى بقدر واسع من التعليم والتربية بين أحضانه الأبوية وتحت رعايته الدينية المتحمسة وهو صبى ثم مراهق قد أخذ يطل على الرشد، ويبدأ يتعلم ويكتسب من المعارف ويتزين بالآداب .

هذه بعض المزايا التى يمتاز بها هذا الكتاب الأغر وذلك مما جعل المترجم يلبى دعوة القائمين بالخدمة العلمية (بأكاديمية (إقبال)) على الرغم من أنه لا يحب أن يقوم بالمهمات الكبيرة الشأن كهذه؛ وذلك لأنه لا يرى نفسه أهلا لذلك، كما أنه لا يملك من الكفاءة الكافية التي تؤهل الإنسان أن يضطلع بمثل هذه المهمات الأدبية العظيمة أضف إلى ذلك ما رُزق به المترجم من الحب الصادق القوى للشاعر الفيلسوف الإسلامى الفذ وإعجابه الكبير بفكره وشعره، وذلك مما جعله يقوم بمهمة التعريب . فإن هذا المترجم إذا كان معجبا بشاعر من الشعراء فإنه معجب أكبر إعجاب بشاعر الإسلام (محمد إقبال) ، وإذا كان يحب مصلحا دينيا من المصلحين المسلمين فإنه أشد حبا لهذا المصلح الإسلامى العظيم الذى كرَّس حياته للأمة الإسلامية ومستقبلها الزاهر المجيد !

والواقع أن (إقبالا) هو الشاعر الفيلسوف الإسلامى الذى أدرك معانى الشريعة ومفاهيمها، وتعمق فى الآيات القرآنية والآثار النبوية، واستخرج منها اللآلئ والجواهر من المعانى ، وابتكر من الأفكار والآراء التى لم يسبقه إليها أحد من الشعراء الفلاسفة الإسلاميين ، وحقا كان (إقبال) من القادة الأفذاذ والزعماء المسلمين الكبار الذين كرَّسوا حياتهم من أجل النهضة الإسلامية ومصالح الأمة المسلمة الذين ضحوا بالنفس والنفيس فى سبيل ذلك .

إن (إقبالا) كان من هؤلاء الأفذاذ الخالدين الذين قلَّما يجود بهم الزمن ، وأن الصلة بهؤلاء الأفذاذ الخالدين مهما كانت واهية وتافهة فإنها - لاشك - من الصلات الخالدة التى لا تقدر ولن تقدر، الأيام على أن تمحوها أو تأتى عليها : لأنها

لا تقدر على أن تمحو ذكرى هؤلاء الأفذاذ الخالدين من وجه الزمان ومن صفحات التاريخ البشرى . ولا تستطيع أن تأتى على آثارهم أو صلاتهم بالناس . إذن فكل صلة - مهما كانت واهية تافهة - بهؤلاء الأفذاذ الخالدين فهى صلة قوية خالدة، وإن كل من رُزق بهذه الصلة فقد رُزق بشيء من الخلود، وذلك مما جعل المترجم يلبى دعوة الداعين إلى تعريب هذا الكتاب الأغر ويهتم بترجمته إلى لغة الناطقين بالضاد ولغة الأمة الإسلامية ولغة القرآن الكريم، ولغة رسول الله ﷺ راضيا مسرورا مفتخرا بذلك .

أما عن صلة (إقبال) بالعروبة والعربية فحدِّث ولا حرج ؛ لأنها صلة قوية عميقة كصلته القوية العميقة برسول الله ﷺ وبما جاء به من الشريعة الإسلامية الغراء . فإن إعجاب (إقبال) بالأمة العربية كان كبيرا جدا ، إنه كان معجبا بهذا الشعب العظيم؛ شعب رسول الله ﷺ الشعب الرائد فى سبيل الحق وفى سبيل رسالة الله الخالدة . إن (إقبال) كان معجبا أشد ما يكون بالماضى المجيد للشعب العربى العظيم كما أنه كان يؤمن إيمانًا قويًا بالمستقبل الزاهر لهذا الشعب العظيم، ولقد كان (إقبال) يرى أن الأمة العربية قد حملت رسالة الله وبلغتها إلى كافة الناس فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن جميع العزة والكرامة التى اكتسبتها هذه الأمة العظيمة إنما ترجع إلى فضل الرسالة الإسلامية. إن الله (عز وجل) قد أعز العرب وكرمهم بالإسلام، وإنه سوف يعزهم ويكرمهم بالإسلام كذلك . إن (إقبال) كان يؤمن بأن هذه الأمة العربية التى افترقت كلمتها ومزقها الأعداء - فقسموها إلى أحزاب وفئات وإلى دويلات صغيرة - إنما هى ظاهرة مؤقتة لا بد أن تنتهى يوما ، وأنه لابد لهذه الأمة أن تستعيد مجدها وتنال الشرف كما نالته فيما مضى من تاريخها، وأنه لابد لها أن تخرج يوما حاملة رسالة الله الخالدة كما كانت قد خرجت وهى تحمل راية هذه الرسالة الخالدة ، فإن البشرية اليوم فى أشد الحاجة إلى هذه الرسالة الخالدة كما كانت فى أشد الحاجة إليها حين انبثق نور الفجر الإسلامى من حراء ...

إن (إقبالا) كان يرى أن الأمة العربية الإسلامية قد بقى لها دور سوف تقوم به، ولكنها لن تقوم بدورها هذا ولا يمكن لها أن تقوم به إلا إذا عادت إلى الشريعة الغراء والرسالة الخالدة التى وحدت بين القبائل العربية المتشاجرة المتناحرة فكوَّنت منها أمة قوية قاهرة تلك القبائل التى لم تكن أمة عربية قبل الإسلام ، وأن عروبة البلاد الواسعة

ترجع إلى بركة الإسلام وأن الأمة العربية لم تزل أمة قائدة سائدة ما دامت تحمل راية الإسلام ، وأن الأمة العربية إذا أرادت أن تستعيد مجدها الذاهب وأن تمهّد لها طريق التقدم والعز والمجد والمستقبل الزاهر فإن ذلك لا يمكن إلا بالرجوع إلى منابع الشريعة الغرّاء وتطبيقها فى الحياة العملية . أما دون الرجوع إلى الإسلام فليست هى أمة عربية موحدة فضلا عن أن يكون لها دور عملى فى الحياة البشرية المعاصرة .

إن (إقبالا) قد غنى بأمجاد العرب أكثر مما غنى بأمجاد أية أمّة أخرى من بين الأمم الإسلامية كلها ، إن أبطال (إقبال) فى فكره وشعره هم الأسلاف الصالحون من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم والذين اتبعوهم بإحسان من التابعين ومن تبعهم . إن (إقبالا) كان يختار هؤلاء الأبطال من الصحابة والتابعين فيجعل منهم موضوعات لفكره وشعره، وكان يتناول فى شعره الجوانب البارزة من سيرهم وأخلاقهم ليجعل منهم قدوة للجيل المسلم الناشئ المعاصر ، وكان دائما يلح على الأجيال المسلمة الناشئة أن تقتدى بهم فى كل مجال من مجالات الحياة العملية ، كما أنه كان يلح دائما على الشباب المسلم أن يتخذوا سير هؤلاء الأبطال أسوة لهم ويتبعوهم فى حمل رسالة الله وتبليغها إلى البشر كافة ، وأن يقوموا بدورهم فى بناء المجتمع البشرى الفاضل الذى دعا إليه الإسلام كما قام سلفهم الصالح بالدور البناء من أجل المجتمع الصالح الإسلامى النموذجي . والدارس لشعر (إقبال) وفكره يرى أنه كان يتناول الشخصيات البارزة من الصحابة وغيرهم فيستغل الجوانب الخاصة من سير هؤلاء الأبطال فيصورها تصويرا جميلا، ويبرزها إبرازًا جليا ثم يقدمها إلى الجيل المسلم الناشئ تقديما رائعا أخاذ . إن (إقبالاً) قد ابتكر طريقة رائعة فى اختياره شخصية من شخصيات الصحابة؛ حيث كان يجعل منها رمزًا لخلق من الأخلاق أو وصف من الأوصاف التى يحبها (إقبال) ويريد أن تتصف بها الأجيال المسلمة الناشئة المعاصرة ، فمثلا نراه يجعل من (سلمان الفارسى) رمزا للبحث عن الحق والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، كما أنه يجعل من (عمر الفاروق) رمزا للعدل والحكم المثالى ، أو يجعل من (فاطمة الزهراء) رمزا للعفة والحياء والطاعة لله ولرسوله والاهتمام بتربية الجيل الناشئ المسلم تربية صحيحة صالحة .

وكان (إقبال) يؤمن إيمانًا قويا بأن الوحدة العربية فيها خير الأمة الإسلامية وصلاحها ، وكان يرى أن هذه الوحدة العربية إذا تحققت فإنها سوف تكون خطوة

أولى نحو العز والشرف ، ونقطة انطلاق للأمة الإسلامية نحو المستقبل الزاهر، وبذلك تستطيع هذه الأمة أن تقوم بدورها فى تكوين المستقبل البشرى من جديد كما كانت قد استطاعت أن تقوم بدورها الفعال المجيد فى التاريخ البشرى .

ولطالما تألم (إقبال) لافتراق الأمة العربية وتأسف على تمزُّق وحدتها ، ولم تكن تغيب عنه المواقف التى كان يتخذها القادة العرب فى سياستهم الداخلية والخارجية ، كما أنه كان يتألم من الذل والهوان الذى أصبح نصيبا للأمة العربية ، وكان يتأسف على مواقف القادة العرب الذين يهتمون أكثر ما يهتمون بأغراضهم الذاتية وأهدافهم الشخصية وينسون الأهداف الإسلامية الكبيرة .

وكذلك فإن (إقبالاً) كان يتألم من المواقف التى كان يتخذها رجال الفكر والأدب والشعر فى الأمة العربية ؛ فكان يخاطبهم أحيانا فيقول لهم إنهم هم أهل اللغة العربية لغة القرآن الكريم وهم يدركون دقائق هـذه اللغـة وأسرارهـا ، وعلى الرغم من هـذا كله فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا المعانى القرآنية السامية ولا يهتمون بالأسرار والحكم التى تتضمنها الشريعة الإسلامية الغراء . أما (إقبال) فعلى الرغم من أنه ليس من أهل اللغة ولا يعرف دقائقها ولا يدرك أسرارها، فإنه يستطيع أن يتعمق فى الآيات القرآنية وأن يقتبس من نور الله ويستخرج منه الجواهر واللآلئ من المعانى السامية والمفاهيم الغالية التى بإمكانها أن تهدى الإنسان المعاصر فى مشاكله التى يواجهها اليوم فى الحياة المعقدة؛ فمن ذلك قوله :

بگـواز من نـواخـــــان عـــــرب را	بهــــاء كـم نهـــــادم لعـل لـب را
أزان نوركــــه إز قـــرآن گــــرفـــتم	سحـر كـرد م صـد وسى ساله شب را

ومعناه :

«أبلغ عنى شعراء العرب ومنشديهم أن ما أنطق بـه مـن لآلئ الشعـر مـن فمى لا يبلغ الكلمات العربية فى قيمتها وبهائها وفى مستواها اللغوى، إلا أن ذلك النور السرمدى الذى أقتبسه من القرآن الكريم قد مكننى من أن أقضى على الليلة المظلمة

الحالكة التى دامت على الأمة الإسلامية إلى قرون، وجلوتُها وبددت ظلامها فجعلتُ منها فجرا باسما مضيئا» .

ونرى (إقبالاً) - أحيانا - ينقد الشعراء العرب ويزرى بموقفهم من القرآن والسنة النبوية؛ فيقول لهم إنه على الرغم من انتمائه إلى أسرة البراهمة، وعلى الرغم من أنه حديث العهد بالإسلام فإنه مع ذلك كله يحب القرآن الكريم ويرى فيه علاجا لكل داء وحلاً لكل مشكلة مما يواجه الإنسان المعاصر ، وعلى الرغم من أن هؤلاء الشعراء العرب عريقون فى الإسلام وأن أجدادهم كانوا من رواد الشريعة الإسلامية، فإنهم قد أعرضوا عنها وعجزوا عن إدراك المعانى القرآنية السامية. إنهم لم يتعمقوا فى أسرار القرآن وإنما أعرضوا عنه إعراضا واتجهوا نحو الغرب يبحثون عن العلاج لما أصابهم من الأدواء والأمراض وأنّى لهم ذلك؛ لأنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به .

وكان (إقبال) يحب رسول الله ﷺ حباً شديدا وذلك إن دل على شىء فإنما يدل على إيمانه القوى الصادق وصلته الروحية المتينة بما جاء به سيدنا رسول الله ﷺ من الشريعة الغرّاء ، التى أنقذت البشرية من الرواسب والأمراض التى كانت تعانيها . تلك الشريعة السمحاء التى جاءت لتضع الإصر عن البشرية والأغلال التى كانت عليها من الجهل والفقر والعبودية والتفرقة العنصرية واللونية والذل والحرمان .

فهذه هى المزايا التى تمتاز بها الشريعة الإسلامية التى جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ؛ وهذه هى المزايا التى جعلت شاعرا فليسوفًا مثل (إقبال) يحب من أُرسل بتلك الشريعة الغراء . كان (إقبال) يحب رسول الله ﷺ لأنه أحسن إلى البشرية وأنقذ عباد الله من الجهل والضلال وهداهم إلى الحق والطريق السليم . كان (إقبال) من الشعراء الفلاسفة الذين لا يرضون بالذل والهوان للإنسان والذين يحبون الكرامة والشرف والحياة الفاضلة لكل فرد من أفراد البشرية ، ومن ثَمَّ قام (إقبال) بالبحث عن الأفكار والنظريات التى بإمكانها أن تنقذ البشرية من الدمار المحتوم وتقودها إلى الحق والحياة الكريمة الفاضلة . كما أنه بحث عن القادة والزعماء فلم يجد قائدا أو مصلحا أحسن إلى البشر أكثر مما أحسن إليهم الرسول العربى

ﷺ ولم يجد فكرة دينية ودستوراً عملياً بإمكانه أن يكون أساساً قوياً للحياة العملية أكثر من هذه الشريعة الإسلامية الغرَّاء، و من ثم أحب (إقبال) رسول الله ﷺ لأنه كان أكثر الناس حبا للبشرية وإحسانا إلى خلق الله، وأحب الشريعة الإسلامية؛ لأنها شريعة العدل والمساواة ، وشريعة تقوم على أسس عادلة ومبادئ قوية يمكن أن تكون أساسا للحياة الفاضلة الكريمة التى أحبها (إقبال) للبشرية كما يحبها كل شاعر فيلسوف لا يرضى بالذل والهوان للبشر ويرضى لهم بحياة كريمة .

إذن فحب (إقبال) لرسول الله ﷺ كان حبًا خالصاً؛ ذلك الحب الصادق الذى يقوم على دعائم الإيمان القوى الذى ليس من ورائه غرض شخصى أو هدف مادى ، هو حب لا يشوبه غرض دنيوى وكذلك هو حب يحمل أسمى معانى الكرامة والشرف . ذلك الحب هو حب (إقبال) لرسول الله ﷺ .

كان (إقبالاً) يرى أن الإيمان الصادق برسول الله ﷺ والحب الشديد له والطاعة الشاملة لما جاء به من الشريعة الإسلامية هو السبيل الوحيد للشعب المسلم إذا أراد أن يعيش حياة طيبة حرة كريمة ، وإذا أراد أن يسود ويقود وينتصر ليس على من فى أرض الله فحسب وإنما على كل ما يوجد فى هذا الكون الواسع الذى لا يعرف له حدوداً . وهذا ما جعل (إقبالاً) يقول وهو يخاطب المسلم المعاصر الذى يريد أن يعيش حرًا كريما قائدا سيدا :

کی محمد سی وفا تونی تو هم تیرى هین
به جهان جیز هی کیا لوح وقلم تیرى هین

« ويعنى أن الله – سبحانه وتعالى – يقول للمسلم المعاصر : إنه إذا أطاع محمد ﷺ ووفى له بعهد وثيق فإننا سوف نتولى أمره ونستجيب دعاءه . إن هذه الأرض وماتحتوى عليه ليست بشىء وإنما سوف نسخر له – بالإضافة إلى ذلك – هذا الكون الواسع كله بما فيه اللوح والقلم !».

وكان (إقبال) يحب رسول الله ﷺ ، ومن ثَمَّ كان يحب كل شيء ينتمي إليه ويتصل به ؛ فكان يحب العرب لأنهم شعب رسول الله ﷺ وكان يحب أرض الحجاز؛ لأنها مهد رسول الله ﷺ ومهد الشريعة وأرض الحرمين الشريفين . ولطالما أحب (إقبال) أن يزور تلك الأرض المقدسة ، ولطالما تمنى أن يموت بها . وكان يعتبر نفسه نسمة هواء من بين نسمات الهواء الحجازية، ولقد قال (إقبال) وهو يجود بأنفاسه الأخيرة :

سرود ي رفته باز آيد كه نايد   نسيمى إز حجاز آيد كه نايد

سر آمد روزگا و ي اين فقير ي   دگر دانائى راز آيد كه نايد

يعنى : «نغمات مضت تعود أو لا تعود، ونسمة من نسمات الحجاز هبت فهل تهب نسمة حجازية أخرى أم لا ؟ أما أنا فقد انقضت أيامى ولست أعرف هل يظهر قلب مؤمن جديد عارف بالأسرار فى هذه الأمة الإسلامية أو لا يظهر ؟!».

وكان (إقبال) يعرف العربية جيدا، وقد تعلمها من أستاذه (الشيخ سيد مير حسن) وهو طفل صغير، وقد كان على مكانة من العربية وآدابها جعلته يستحق أن يوظَّف أستاذا للعربية بقسم اللغة العربية بجامعة وفى جامعة (لندن)، إلا أنه لم يكن يتقنها إتقانا يؤهله لقرض الشعر بلغة الضاد ومن ثَمَّ اختار اللغة الفارسية حين أحس بضيق التعبير باللغة الأردية ولم يستطع أن يختار العربية أداة للتعبير الشعرى ومن ثَمَّ كان يتأسف دائما على أن العرب لا يفهمون شعره وهو لا يقدر على أن يخاطبهم بلغتهم خطابا مباشرا، على الرغم من أنه كان يرى شعره قد انتشر فى بلاد العجم وسارت به الركبان حيث يقول :

نوائى من به عجم آتش كهن افروخت

عرب زنغمة شوقم هنوز به خبر است

يعنى : «إن نغماتى الشعرية قد أثارت العواطف الخامدة والمشاعر النائمة وأضرمت النيران القديمة فى نفوس أهل بلاد العجم، إلا أن العرب يجهلون نغماتى الشعرية المثيرة الهائجة ولا يزالون بمعزل عن تأثيرها» .

وفى بعض الأحيان يتصور (إقبال) أنه فى قافلة من القوافل المتجهة إلى الحجاز، وهو مازال يغنى ويحدو ويحرض القافلة على السير والتقدم نحو المقصد والهدف، فإذا بأحد الركاب يسأل أمير القافلة عن (إقبال) قائلا :

أمير كاروان آن أعجمى كيست
سرود أو بآهنگ عرب نيست
زند آن نغمه كز سيرابى أو
خنك دل در بيابان توان زيست

ويعنى : «يا أمير القافلة من هذا المطرب الأعجمى ؟! إن حدوه لا يناسب الألحان العربية وعلى الرغم من ذلك يغنى النغمات التى بإمكانها أن تروى القلوب الظامئة حتى تتمكن من العيش والبقاء فى بوادى الصحارى ببركة الرى الذى تجود به نغماته الأعجمية هذه !».

وكان (إقبال) يرى أنه يغنى الأغانى العربية ويشارك الجادين العرب فى حدوهم على الرغم من أنه لا يعرف الألحان العربية، ورغم أنه يقول الشعر وينشده بالأساليب الفارسية الأعجمية :

گهى شهر عراقى را بخوانم
گهى جامى زند آتش بسجانم
ندانم گرچه آهنگ عرب را
شريك نغمة هائى سار بانم

ويعنى : « إننى أحيانا أنظم الشعر على أسلوب الشاعر (عراقى) المعروف، وفى بعض الأحيان أنظم الشعر على أسلوب الشاعر (جامى) المثير الذى يحرق أحشائى، ورغم أننى لا أعرف الألحان العربية فإننى أشارك ركاب الإبل العرب فى حدوهم ».

ويرى (إقبال) أنه لو أعطى الطلاقة العربية كان بإمكانه أن يكشف عن أسرار الروح والكون :

توان أسـرار جـان را فـاش تر گـفت

بدء نطق عـرب اين اعـجـمى ر ا

ويعنى : إنك يارب لو منحت طلاقة العرب وفصاحة لسانهم لهذا الأعجمى لاستطاع أن يكشف عن أسرار الروح كشفا أجلى وأوضح .

وسوف يمر بالقارئ الكريم فى هذا الجزء الأول من (النهر الخالد) مشاعر (إقبال) وعواطفه نحو العرب وبلادهم ونحو أرض عاش بها سيده رسول الله صلى عليه وسلم وذلك حين مر بميناء عدن ذاهب إلى انجلترا للدراسات العليا وإن أول أرض أجنبية وطئتها أقدام (إقبال) كانت أرضا عربية وهى أرض مصر وذلك أيضا حين مر بقناة السويس خلال سفره إلى انجلترا حيث نزل (بورسعيد) وتجول فى أسواقها وشوارعها وزار كتابها ومساجدها ومدارسها .

إذن فصلة (إقبال) بالعروبة والعربية وبلادها صلة قوية ولها جوانب مختلفة وتستحق الدراسة والاهتمام وكذلك فإن (إقبال)اً لم يعد غريبا عن العربية وبلادها وأهلها ؛ فقد قام عدد لا بأس به من جهابذة العرب فى الشعر والنثر بترجمة (إقبال) إلى العربية وتعريب شعره وفكره وعلى رأس هؤلاء العرب الجهابذة المغفور له الدكتور عبد الوهاب عزام فهو رائد ال(إقبال)يات باللغة العربية وتلاه الكثيرون غيره حتى نقلوا معظم شعره إلى العربية .

وليس معنى هذا أنه لم يبق مجال للقادمين ؛ فإن ما ترجم من شعر (إقبال) إلى العربية يحتاج إلى دراسة نقدية من العلماء العارفين باللغتين العربية واللغات التى عبر بها (إقبال) من الأردوية والفارسية والإنجليزية ، وكذلك فإن ترجمة (إقبال) إلى اللغة العربية ترجمة موجزة إلى حد الاقتضاب ، ولقد لاحظت ذلك أول مرة حين أتيح لى أن أزور مصر وأعمل بالأزهر أستاذا زائرا لكلية اللغات والترجمة فكانت الكلية قد أجرت مسابقة أدبية بمساعدة السفارة الباكستانية بالقاهرة وقد اشترك فى هذه المسابقة عدد

كبير من طلاب الجامعات المصرية بمن فيهم طلاب العلم والطب ، ثم كُوِّنت لجنة من ثلاثة أساتذة أحدهم من الأزهر والثانى كان يمثل جامعة القاهرة، وأما الأستاذ الثالث فكان يمثل (باكستان) وهو هذا المترجم ، وقد لاحظت - من جملة ما لاحظت - أن شباب (مصر) يحبون (إقبالا) للغاية كما أنهم يرغبون فى شعره ورسالته الفكرية إلا أن مكتبة (إقبال) العربية تنقصها المراجع الأصلية وخاصة عن ترجمة (إقبال) وحياته، فرأيت أن (إقبالاً) فى حاجة إلى المزيد من التعريف به فى العالم العربى تعريفا مفصلا يستوعب جوانب حياته كلها ، كما أنه فى حاجة إلى دراسة ما تُرجم إلى العربية من شعره وفلسفته دراسة نقدية مقارنة ، وأعتقد أن هـذا الكتاب الأغر الذى ألفه الدكتور (جاويد إقبال) ابن العلامة (محمد إقبال) سوف يفى بالحاجة ويروى غليل (الإقباليين) العرب ، فهذا هو الجزء الأول منه وسوف يليه الجزءان الثانى والثالث بإذن الله .

وقبل أن أختم حديثى هذا أرى من واجبى أن أقدم أخلص عواطف الشكر للأخ الكريم الأستاذ (محمد منور مرزا) مدير (أكاديمية (إقبال)؛ فهو الذى يرجع إليه الفضل فى إخراج هذا الكتاب، كما أنه كان سببًا للاهتمام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ، وهو الذى شجعنى على القيام بهذا العمل العظيم وبهذه الخدمة الأدبية فى مجال الآداب (الإقبالية) .

ظهور أحمد أظهر

رئيس قسم اللغة العربية

فى جامعة بنجاب بلاهور

تقديم المؤلف

كان ذلك فى صيف عام ١٩٧٥م حين اعتزمت تأليف هذا الكتاب عن حياة (إقبال)، حيث كنت قد رأيت ابنَّى (منيبا ووليدا) وهما يلعبان فى إحدى الغُرف من الدار، فبدا لى وأنا أنظر إليهما أن (إقبالاً) كان قد جعل منى رمزا حين أراد أن يخاطب شباب هذه الأمة فى شعره إلا أن الوقت قد مضى بكل سرعة ، ومرت الأيام سريعة حتى نشأ جيل جديد من أبنائنا قد يمكن أن يتمكن هذا الجيل الجديد من فهم ما جاء من الفكر والدعوة فى شعر (إقبال)؛ فهو شاعر الغد وشاعر المستقبل إلا أنه لابد من الاطلاع على حياة أى مفكر من المفكرين قبل الفهم الكامل والإدراك التام لما جاء به من الأفكار والنظريات والآراء .

وقد ألف الكثيرون من الناس عن شخصية (إقبال) و فكره وفلسفته حيث نجد عددا لابأس به من البحوث والمقالات والكتب المؤلفة التى تتناول الجوانب المختلفة من حياته وفكره وفنه والتى بذل فيها "الإقباليون" - إذا صح التعبير - مجهودات جبارة تستحق التقدير والإعجاب، إلا أنها ماتزال متفرقة مبعثرة ، فإن ما كُتب عن حياة (إقبال) قليل جدا بالنسبة إلى ما كتب عن الجوانب المختلفة الأخرى ، كما أن معظم هذه المؤلفات لاتحوى الكثير من التفاصيل عن حياته ولا تفى بالغرض ولا تشفى الغليل .

وأما أول من كتب مقالا عن حياة (إقبال) من بين أصدقائه فهو عبد القادر رئيس تحرير مجلة (مخزن) اللاهورية، وكان هذا المقال قد نشر فى مجلة "خدنك نظر" (أو سهم النظر) الصادرة من مدينة (لكنؤ) فى عددها لشهر مايو سنة ١٩٠٢م ثم تلاه الشيخ (محمد دين فوق) فكتب مقالا عنوانه (حالات إقبال) وقد نشر فى " كشميرى ماجازين " أى المجلة الكشميرية .

وأخذت أجمع المعلومات والمواد الدراسية والبحث لإعداد الباب الأول ، أى آباء (إقبال) وأصله ، وقلت يوما لزوجتى على سبيل المزاح وأنا مستمر فى بحثى هذا بأن

بناديت (كشمير) أو براهمتها هم الذين حرروا الهند وجعلوا منها دولة مستقلة كما بأن الدولة الإسلامية - أى (باكستان) - قد أعطى فكرتها أيضا بانديت من بناديت (كشمير) وعليه فإن هذا الخصام كله إنما هى مشاجرة بين بناديت (كشمير)، أو براهمتها .

ولست من الذين يهتمون كثيراً بالأحلام وتعبيرها ولكن زوجتى هى التى تهتم كثيراً بمثل هذه الأشياء ، وقلّما رأيت (إقبالاً) فى المنام إلا أننى رأيته فيما يرى النائم تلك الليلة فبدا لى أننى جالس فوق سقف (جاويد منزل) بجانبى كومة من الأوراق البيضاء على طرف السقف وإذا بى أرى (إقبالاً) يظهر من ناحية وقد لبس الإزار والقميص التحتانى وظل يمشى كما عهدته على مهل، فاقترب منى رويدا رويدا وإذا بوجهه آثار من السخط وإذا به يخاطبنى قائلا باللغة الإنجليزية ما معناه ": ماذا تكتب فى هذه الأيام بهذه الطريقة ؟" وأنا أرد عليه بقولى : أما أنا فكل جهدى مقصور على أن تصل أفكارك وآراؤك إلى الناس بأصح ما يمكن من الطريق ثم أراه يرد على قائلا : أما انطباعاتى عن جهدك هذا فسوف تراها غدا" وفجأة يتغير مشهد الرؤيا فأرانى على شجرة مورقة غناء وأجمع القطع الورقية المبعثرة الملتصقة بأغصان الشجرة، وأشعر أن شخصا آخر غيرى موجود هناك أيضا يساعدنى، إلا أننى لم أتمكن من أن أتبينه إلا أننى أرانى أقول له بلهجة من يشكو :" يا للعجب !. إننى أبذل جهودى هذه فى القيام بانتشار فكره وآرائه إلا أنه لا يعجبه ذلك ولا يرضيه" .

وفى أثناء ذلك انتبهت فرأيت الساعة فإذا بها تدق الثالثة والنصف ليلا وكانت الرؤيا عالقة بذاكرتى؛ إذ كنت حديث العهد بها وأخذت أبحث عن الورق والقلم لأسجلها حتى لاتغيب عن الذاكرة إلى الصباح، وكانت زوجتى أيضا قد انتبهت فحكيت لها تلك الرؤيا التى رأيتها فبدأت زوجتى تفسر رؤياى قائلة :" إن صعودك على الشجرة وجمعك لقطع الأوراق المعلقة عليها الملتصقة بأغصانها إنما يعنى أنك مشغول فى هذه الأيام بالبحث عن شجرة النسب له، إلا أنه ساخط عليك بسبب من الأسباب؛ وعلى كل حال فعليك أن تنتظر الإشارة منه غدا بهذا الصدد ".

فقضيت اليوم التالى كله أنتظر منه الإشارة، إلا أن الأمر الذى لم أزل أفكر فيه مرة بعد مرة هو العلم بالسبب الذى جعله يسخط علىَّ وأظلنى الليل ولم أتلق منه أية إشارة أو رسالة، أما زوجتى فذهبت إلى مضجعها وهى تقول لى أن أنتظر الإشارة حتى الساعة الثانية عشرة من ذلك اليوم ، وأما أنا فتضايقت من نفسى؛ حيث كنت قد أصبحت خرافيا إلى هذا الحد وصدقت ما قالته زوجتى وضيعت اليوم كله فى ذلك التفكير الخرافى، وكادت الساعة أن تدق الثانية عشرة من ذلك اليوم ولم يبق منها إلا بضع دقائق، ولكن النوم كان قد ذهب عنى فأردت أن آخذ كتابا من الدولاب لأقرأه فصادفت يدى الجزء الثانى من (روزكار فقير) وفتحت الكتاب تلقائيا فإذا بنظرتى تتركز على الصفحة ١٢١ من الكتاب وكنت أمام قطعة شعرية (لإقبال) يقول فيها :

إن ذكرى الأيام الماضية تجعلنى أخجل

لأنها تذكرنى بعبادة الأصنام (فيما مضى)

وما دامت غرة الإسلام بجبين (إقبال) متلألئة

فإنه يخجل حين يقال له : يابانديت (أى برهمن) .

وهكذا كان ((إقبال)) قد أبلغنى عن انطباعاته عما أعمل فأيقظت زوجتى وأنشدتها القطعة الشعرية ، فأخبرتنى قائلة:« إن الذى جعله يسخط عليك إنما هو قولك فى استقلال الهند وإنشاء باكستان، وأن هذا الخصام كله إنما هى مشاجرة بين بناديت كشمير أو براهتمها" فقلت لها : إن ذلك لم يكن إلا على سبيل المزاح" فقالت : "إن ذلك لم يعجبه منك حتى لو على سبيل المزاح . ولم لا ؟ لأن الذى يجعله يخجل ويندم هو مما لا يليق بك أن تقوله وحتى لو كان ذلك على سبيل المزاح . ويجب أن تستمر فى بحثك عن ترجمته وحياته ، وأعتقد أنه سوف ينبهك إلى أخطائك التى قد ترتكبها ويهديك الطريق فى ذلك" .

وكنتُ قد توقفت عن العمل فى ترجمته بعد أن انتهيت من الفصلين الأولين وذلك لأن إجراءات الاحتفال بذكرى مولد (إقبال) المئوية كانت قد بدأت؛ إذ كنت أعتقد أن أحداً من الكتاب الخبراء المحنكين سوف يهتم بحياة (إقبال) فى ١٩٧٧ (أى عام

الذكرى المئوية لمولد (إقبال) ويمكن أن يقوم بهذه المهمة خير قيام وأحسن مما أقوم به أنا، إلا أن المؤلفات التى نُشرت خلال هذا العام (لإقبال) لم تكن على المستوى المطلوب والنهج الذى كنت أريده ، ومن ثَمَّ على الرغم من أشغالى الكثيرة المتنوعة بدأت هذا العمل من جديد .

وأما نتيجة هذا العمل والجهد المبذول فهو بين يدى القارئ الكريم؛ فالكتاب يحوى التفاصيل الوافية عن التطور التدريجى فى فكر (إقبال) والبيئة التى عاش فيها ، وأما حياته الخاصة فهى تحتل مكانة ثانوية فى هذا الكتاب، ومن هذه الناحية فإن هذا الكتاب لا يحتوى على ترجمة (إقبال) وحياته وإنما هو تاريخ لعصره الذى عاش فيه، وهو – أى الجزء الأول – ينتهى عند الثورة الفكرية المهمة التى حدثت فى حياة (إقبال) وفكره وذلك حين كان قد أكمل دراساته، وبعبارة أخرى كان الطور التكوينى من حياته قد انتهى ، وكان فنه الشعرى قد عبر المراحل المختلفة أو الأطوار الابتدائية ووصل إلى نقطة تحول ، وقد آن له أن ينطلق انطلاقة جديدة تحمل من شعر (إقبال) نداء لتحرك القافلة، أو حداء لرحيلها وأنشودة جبريل الصاخبة الهائجة، أو ليكون الشعر جزءًا من الرسالة . ولم أر (إقبالاً) فيما يرى النائم بعد ذلك خلال تأليفى لهذا الكتاب ، وأرى أنه لم يشعر بحاجة إلى أن ينبهنى أو يهدينى الطريق ، ولكن هذا ليس معناه أن الكتاب هو الكلام الأخير فى الموضوع . وأما ما بقى من جوانب حياة (إقبال) فإن إبرازها الكامل يقصر على تشجيع القراء الكرام على الرغم من أننى أعتزم إكمال هذا المشروع بدون أية رغبة فى المدح والتقريظ، ودون أى اعتناء بجائزة أو تشجيع .

وأما تسمية (زنده رود) فهى الاسم الذى اختاره (إقبال) لنفسه فى (جاويد نامه) و (زنده رود) معناها : النهر الجارى الدائم الخلاق للحياة ، وعن ذلك النهر يقول (إقبال) :

ذلك النهر المتفجر من سلسلة الجبال الذى يمر مختطفا مشتبكا مهتزا منحدرا .

الذى يثب حينا وينزلق حينا آخر ثم يغيب ثم يبرز بعد جولات من النشوب والالتفاف حول الجبال والأودية .

إنه لو وقف في مكان لثقب فى الصخور ومزقها وخرق صدور

الجبال وفرجها .أانظر إليه أيها الساقى الذى يسقى الخمور
الحمراء إن هذا النهر هو الذى جاء برسالة الحياة إلى البشر .

إن حياة (إقبال) إنما هى عبارة عن تطور الحياة الفكرية التى تستمر بصفة دائمة مستقلة متواصلة لا تقف عند مكان ولا تنتظر زمانا وحتى الموت لايستطيع أن يمسها بسوء ، إنه لم يكن يهتم كثيرا بحياته المادية ومن ثَمَّ لا يليق اسم من الأسماء أن نستعيره لحياة (إقبال) هذه غير أن نسميها بالنهر الخالد أو (زنده رود) .

ويبدو أن (إقبالاً) كان قد اختار هذا الاسم (أى زنده رود أو النهر الخالد الجارى) لنفسه؛ لأنه يرجع إلى سيدنا رسول الله ﷺ ، ولهذا المرجع خلفية خاصة يجب أن نطلع عليها فقد كان (إقبال) من المعجبين بالشاعر الألمانى (جوته) الذى كان قد تأثر كثيرا بالتعاليم القرآنية والسيرة النبوية الطيبة، حتى إنه كان قد اعتزم أن يكتب مسرحية منظومة عن الرسول ﷺ إلا أنه لم يستطع أن يكتب إلا التمهيد لتلك المسرحية ولم يكملها وهذا التمهيد أو الافتتاحية عنوانها : أنشودة محمد (ﷺ) وقد جاء (جوته) فى هذه المنظومة ، وهو يشرح معنى النبوة فى حوار قام بين على وفاطمة رضى الله عنهما ، باستعارة لشخصية الرسول ﷺ فشبهه بالنهر الخالد الخلاق للحياة الذى يجمع فى جوفه الكثير من الأودية والجداول والغدران ثم ينصب فى محيط ، أى أنه ﷺ يقود الناس ويهديهم إلى سبيل الله – سبحانه وتعالى – وكان (إقبال) قد اطلع على هذه المنظومة ودرسها ودرس ما فيها من الاستعارات والتشبيهات دراسة وافية، بل ترجمها ترجمة حرة وضمها إلى ديوانه الشعرى (رسالة الشرق) وقد عنونها (بنهر الماء) ، وكان (إقبال) يرى أن رسول الله ﷺ هو الإنسان الكامل ومن ثَمَّ يجب على كل مسلم أن يهتدى به ويقتدى بأسوته الحسنة وهذا ما جعله يختار لنفسه اسم النهر الخالد أو (زنده رود) خلال رحلته الروحية إلى السماوات فى ديوان شعره الخالد (جاويد نامه أو رسالة الخلود) .

وقد دفعتنى عاطفة الحب أن أذكره فى كتابى هذا باسمه (إقبال بدل الوالد أو والدى) إلا أن هذه الصراحة وعدم الكلفة التى يمتاز بها أسلوبى فى الكتاب لم أترك لها المجال لتتعدى حدود التكريم والاحترام ، على أية حال كنت قد بلغت الثالثة عشرة والنصف من عمرى حين تُوفى (إقبال) إلى رحمة الله، ولا يمكن لى أن أدعى معاصرته

إلا أننى رأيت شيئا من السهولة ، بحكم بعدى عن عصره ، فى أن أختار وجهة نظر أو أسلوب بيان يجعلنى خارجا من عصره، ومن ثَمَّ حاولت أن أقدم الوقائع والأحداث بأسلوب يدل على الحياد وعدم الانحياز ، وأما المراجع والحواشى لكل باب فقد ذكرتُها فى نهاية الكتاب، كما أنه يضم شجرة النسب لأسرة (إقبال) التى أعدها (الشيخ إعجاز أحمد) إلى جانب الإضافات الجديدة التى أعدت فى ضوء ما أعده (الشيخ محمد دين فوق) من أنساب الأسرة، وأسجل شكرى للدكتور معز الدين ومحمد حنيف شاهد؛ اللذين قد زودانى بالمراجع من مكتبة بنجاب العامة ومن أكاديمية (إقبال) .

جاويد إقبال

الفصل الأول

آباء إقبال وأصله

كان (إقبال) ينتمى إلى أسرة قديمة من أسر براهمة (كشمير) تسمى سِبْرُوْ (بكسر السين المهملة وسكون الباء الموحدة وضم الراء وسكون الواو) وقد صرح بذلك هو نفسه فى بعض الوثائق الخطية الرسمية بخط يده. ويقال إنه كان قد سمع من والده - رحمه الله - أنهم ينحدرون من أسرة عريقة من البراهمة الكشميريين؛ إذن فالقبيلة التى ينتسب إليها (إقبال) هى قبيلة (سبرو) من أهل كشمير، وأما أول من اعتنق الإسلام من آبائه فقد كان يعرف بلقب (باباول حج) أو (لولى حاجى) .

ويبدو مما كتبه (إقبال) إلى (الشيخ محمد دين فوق) من الرسائل الكثيرة أنه ، أى الشيخ المذكور ، كان من أصدقاء (إقبال) وهو ممن تعرف على والد (إقبال) ، وأما المعلومات عن أسرة (إقبال) التى كانت عند هذا الشيخ فإنما كانت قد بلغته إما عن طريق (إقبال) أو عن طريق والده وقد استفاد الشيخ من هذه المعلومات وعول عليها فى تأليف كتابه عن "مشاهير كشمير" والذى كان قد طُبع فى سنة ١٩٣٠م كذلك فإن هذه المعلومات نفسها كان (الشيخ فوق) قد سردها فى مقال له عن الدكتور (الشيخ السير محمد (إقبال) (*). والذى كان قد نشر فى مجلة أردية شهرية وهى (نيرنك خيال) أى (الفكر البديع) الصادرة فى (لاهور) لشهرى سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٣٢ م حيث

(*) ولقد كان من التقاليد المتوارثة عند مسلمى شبه القارة منذ قديم الأيام أنهم كانوا ولا يزالون يطلقون كلمة الشيخ تكريما على كل من اعتنق الإسلام حديثا؛ فالشيخ هنا هو حديث العهد بالإسلام وليست الكلمة هنا بمعناها العربى الأصلى . (المترجم)

يصرح (الشيخ فوق) قائلا :

"إن حضرة الشيخ (أى (إقبال)) ينتمى إلى أسرة قديمة من بناديت كشمير أو براهمتها ، وكان بعض آبائه قد اعتنق الإسلام قبل أكثر من مائتى سنة وأصله من قبيلة "سبرو"

وبعد عامين - أى فى عام ١٩٣٤م - نشر (الشيخ فوق) هذا الجزء الأول من كتابه عن "تاريخ أقوام كشمير)؛ حيث صرح فى كتابه هذا قائلا بأنه كان قد اتصل (بإقبال) فسأله عن معنى كلمة (سبرو) وذلك للمزيد من البحث والتحقيق فكتب (إقبال) يرد على رسالة الشيخ فوق فى رسالته المؤرخة فى ١٦ من شهر يناير سنة ١٩٣٤م؛ حيث صرح له قائلا :

"وأقدم لك المعلومات التى تلقيتها من والدى عن قبيلة براهمة كشمير التى تعرف باسم (سبرو) وهى : أنه لما تغلب المسلمون على كشمير وأنشئوا بها الحكم الإسلامى لم يلتفت البراهمة الكشميريون إلى علوم المسلمين ومعارفهم ولغاتهم وآدابهم ؛ وذلك بسبب الرجعية أو لأسباب أخر ، وأما الفئة من هؤلاء البراهمة التى اعتنت باللغة الفارسية ومعارف المسلمين وتفوقت فى ذلك على غيرها من الفئات ونالت ثقة الدولة الإسلامية فكانت قد عُرفت واشتهرت بلقب (سبرو) ، وهو الشخص الذى يسبق غيره إلى التعليم والدراسة إلى التعليم والدراسة ، وأن حرف السين (فى كلمة سبرو) قد جاء بمعنى التقدم والترقية فى أكثر من لغة أو لهجة من اللغات الهندية المحلية ، وأما كلمة (برو) فهى مشتقة من الأصل نفسه الذى اشتق منه (پڑْنا أى پڑْهنا) من مصادر اللغات الهندية (و من بينها اللغة الأردية) و معناه : القراءة . وكان والدى المغفور له يقول إن براهمة كشمير كانوا

قد لقبوا إخوانهم البراهمة الذين تركوا تقاليدهم القديمة المتوارثة وعصبيتهم الدينية والقومية وكانوا فى طليعة من أخذ يتعلم اللغات الإسلامية ومعارفهابذلك اللقب وكان هذا التلقيب من قبيل الازدراء والتعريض والإغراء ثم اشتهرت تلك الفئة البر اهمية بوصفها قبيلة مستقلة فيما تلا من عصور !.

وفى الرسالة نفسها يقول (إقبال) :

«إن ديوان (تيك شاند) الذى كان محافظا لإحدى محافظات إقليم بنجاب ، والذى كان يرغب فى فقه اللغات والبحث فيها ، كان قد لقينى فى مدينة (أنبالة) وأخبرنى بأن (سبرو) قوم كانت لهم صلة بالملك الإيرانى القديم المعروف (شابور) وأنهم (أى قوم سبرو) فى الواقع من أصل إيرانى وكانوا قد هاجروا من إيران فاستوطنوا كشمير فى عصر متقدم جدا قبل الإسلام ثم انضموا إلى البراهمة وذلك بذكائهم وفطنتهم» .

وبعد أن يسرد (الشيخ فوق) رسالة (إقبال) هذه فى كتابه ذلك يوضح قائلا أنه توجد الآن فى إقليم (بنجاب) أسر متعددة معروفة بين مسلمة وغير مسلمة يرجع أصلها إلى قبيلة (سبرو) ، ومن بين هذه الأسر المسلمة الموجودة فى بنجاب كانت أسرة (إقبال) التى كانت قد اعتنقت الإسلام فى عصر (الملك عالمكير المغولى) .

ثم يقول (الشيخ فوق) فى كتابه عن (تاريخ أقوام كشمير) إيماء إلى رسالة (إقبال) التى مر ذكرها إنه لا توجد أسرة مسلمة أخرى فى بنجاب من قبيلة (سبرو) غير أسرة (إقبال) ، مع أن الأسر الهندوكية المتعددة موجودة فى إقليم (بنجاب) من قبيلة (سبرو) .

ويمكن أن نعرف مدى حرص (إقبال) ورغبته فى تصديق ما سمعه عن أبيه حول أسرته وأجداده من رسالته التالية التى كتبها إلى شقيقه (عطا محمد) فى الخامس من شهر أكتوبر عام ١٩٢٥م حيث قال :

« قد استلمت بطاقتكم البريدية التى قد اطمأن بها قلبى فالحمد لله على ذلك، وأما (جاويد (إقبال) فهو بخير وعافية وقد أكمل الآن سنة كاملة من عمره ، وأما والدته فإنها اليوم مشغولة بتقديم الأضحية ، ولعل ما يسرك أنت والوالد الكريم هو أننى قد عثرت على مفتاح عن أسرتنا وأجدادنا وأن سيدنا (بابا لول حج) قد كان من كبار مشايخ كشمير ومتصوفتها المعروفين ؛ وذلك أننى قد وجدت بعض المعلومات عنه بالصدفة فى كتاب (تاريخ كشمير) للخواجا (أعظم) وأن ما سمعه الوالد الكريم ويحكيه عن آبائه صحيح إذا أخذناه بنظرة الإجمال والعموم ، وأن القرية التى كانت مسقط رأس الحاج (بابا لول) اسمها (لوشرنه) بل هى قرية (شكو) من مديرية (أوون) فى كشمير. وقد جاء فيما عثرت عليه في هذا الكتاب أن الحاج (بابا لول) كان قد عاش اثنى عشر عاما خارج كشمير وتجول فى البلاد ، وأنه لم يكن على صلة طيبة مع زوجته ومن ثم زهد فى الدنيا وتركها فخرج من كشمير ، ثم إنه عاد من سفره الطويل فانضم إلى اتباع سيدنا (بابا نصير الدين) بإشارة روحية خفية ، وقضى ما بقى من أيام حياته فى حضرة الشيخ (بابا نصير الدين) المذكور ودُفن بجوار شيخه ، والأمل الآن فى الحصول على المزيد من المعلومات عنه؛ لأن ما جاء فى كتاب الخواجا (أعظم) المذكور مقتضب للغاية إلا أننى آمل أن هذا المقتضب سوف يكون تمهيدا للمزيد من الاكتشاف والبحث .

وأما العثور على هذه المعلومات فهو أيضا يرجع إلى سبب غريب جدا؛ وذلك أن مسجل جامعة دلهى يحضر بحثا عن ثقافة (كشمير) وتمدنها للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة (الله آباد) وأنا من لجنة الممتحنين لذلك البحث فى حين أن الممتحنين الآخرين هما أستاذان من (انجلترا وايرلنده ، ، وقد زارنى مصادفة ذلك المسجّل بالأمس وكان قد طلب إلى أحد

أصدقائه أن يرسل نسخة خطية من كتاب (تاريخ كشمير) للخواجا (أعظم) إلى منزلى فجاء الرجل عندى بالمخطوطة للكتاب المذكور وكان عندى وقت فراغ فأخذت أقرأ الكتاب نفسه ولم أتصفح إلا قليلا من أوراق الكتاب حتى عثرت على ترجمة (سيدنا بابا) مما سرنى كثيرا . وأغلب الظن أنه من الممكن وجود أحفاد (بابا نصير الدين) فى كشمير ومن المتوقع المأمول الحصول على المزيد من المعلومات، ولن يكون من العجيب أنهم يحتفظون بكل شىء عن الأتباع والمريدين لجدهم الشيخ !».

ولعل (إقبالاً) كان قد عثر على البيان التالى عن الشيخ (بابا لول حج) فى (باب ريشيين) فى صفحة ٧٢ من كتاب (تاريخ كشمير أعظمى) (واقعات كشمير ١٧٥٥م) تأليف الخواجا (محمد أعظم شاه ديده مرى) .

«إنه (أى الحاج بابا لول) كان من أهل قرية (شكو) من مديرية (أدون) وكان قد تزوج امرأة وكان لا يحب حديثها مما جعل الحاج يزهد فى الدنيا فخرج حاجًا لبيت الله، ثم تجول فى البلاد اثنى عشر عاما حتى عاد إلى (كشمير) و بإشارة غيبية التحق بأتباع سيدنا (بابا نصير الدين) حيث قضى ما بقى من أيام حياته فى حضرة الشيخ وخدمته ولما تُوفى دُفن فى (جبانة شرار) بجوار شيخه الكبير» .

ولقد كان (الشيخ فوق) على علم بهذا المصدر عن (بابا لول حج أو لولى حاجى) الجد الأعلى (لإقبال) وأغلب الظن أنه كان قد وصل إلى هذا المصدر عن طريق (إقبال) نفسه؛ لأننا نرى (الشيخ فوق) يقول فى كتابه (تاريخ أقوام كشمير) والذى نشر بعد وفاة (إقبال) بخمس سنوات فى ١٩٤٣م :

«وقد عاش سيدنا (بابا نصير الدين) ، الذى كان من كبار أولياء الله ومن أتباع سيدنا (شيخ العالم الشيخ نور الدين الولى) فى عصر السلطان زين العابدين بدشاه (الذى تولى العرش فى

> ٨٢٤ وتُوفى فى ٨٧٤ من الهجرة النبوية) . وإن سيدنا (شيخ العالم) قد ذكر خليفته المعروف هذا فى شعره الذى قاله بالكشميرية ذكرا كثيرا للغاية ، وكان من بين أتباع (بابا نصير الدين) ولى اسمه (بابا لولى حاجى) الذى حج أكثر من مرة وعاش خارج كشمير اثنى عشر عاما تجول خلالها فى كثير من البلاد ، ومن ثم يقول صاحب (تاريخ أعظمى) وفى صفحة ٧٢ منه بالذات : إنه عاد إلى كشمير بعد تجول دام اثنى عشر عاما وانضم إلى اتباع سيدنا (بابا نصير الدين) بإشارة غيبية وقضى ما بقى من عمره فى حضرة شيخه وخدمته . ولم نستطع العثور على اسمه الحقيقى إلا أنه كان معروفا باسم (لول حج أو لولى حاجى) وكان قد حج ماشيا غير مرة ، وأما كلمة (لول أو لا لا أو لال) بالكشميرية فهى تعبر عن الحب والتكريم كما يسمون الشقيق الأكبر (كاك لال) ، وأما مسقط رأسه فهى قرية (شكو) من مديرية (آنؤن) وأصله من براهمة كشمير ومن قبيلة (سبرو) وقد اعتنق الإسلام . وأما عن مهنته فقد كان من الفلاحين المزارعين ولكنه لما تزهد رغب عن هذه الأشياء كلها، وأما قبره فهو فى جبانة ضريح الشيخ نور الدين الولى بموضع يسمى (تشرار) حيث دفن شيخه ومرشده (بابا نصير الدين) ومن ثم يقول صاحب (تاريخ أعظمى) : إنه استراح بعد وفاته فى جبانة (تشرار) بجوار شيخه».

إن الذى أضافه (الشيخ فوق) بعد الاطلاع على ما كتبه (ديده مرى) عن (بابا لول حج) يمكن أن يكون على أساس ما اكتشفه هو نفسه أو ما بلغه عن (إقبال) أو عن أبيه ، على كل حال فإنه لا يصرح بمصدره بهذا الصدد .

وكذلك فإن ترجمة (بابا لول حج) التى وردت فى كتاب (تحائف الأبرار فى ذكر الأولياء الأخيار) (لأبى محمد الحاج محى الدين مسكين)، وهو كتاب ألف بعد نصف قرن على وفاة (ديده مرى) وهذا نص الترجمة :

«وأما مولده فهو (تشكوحليند) من مضافات مديرية (آدون) وقد كانت عيناه فيهما حَولَ ورجلاه معوجتين ، ولاح له ما جعله يتوق إلى الزواج فتزوج امرأة إلا أن زوجته هذه ضحكت منه لما رأت صورته تلك مما جعله يكرهها ويبغضها ، وخرج معتزما السفر إلى أرض الحرمين الشريفين لزيارتهما ، وبعد أن تشرف بهذه الزيارة وعاد إلى كشمير تقدم إلى حضرة (بابا نصير الدين) وانضم إلى أتباعه وآثر حياة العزلة والوحدة ودُفن بعد وفاته بمقبرة شيخه ومرشده ، إلا أن البعض من المؤلفين يقول بأنه مدفون فى قرية زالرة) من مضافات مديرية (كام راج) ».

وقد جاء في الجزء الأول من كتاب (روز كار فقير) على أساس ما رواه (الشيخ إعجاز أحمد ابن أخى (إقبال) من رسالة (إقبال) التى كتبها فى الخامس من أكتوبر ١٩٢٥م بالإضافة إلى ما رواه (الشيخ إعجاز أحمد) بأن الذى جعل أسلاف (إقبال) يعتنقون الإسلام هو حبهم واعتقادهم فى بعض الأولياء العارفين، ويرجع ذلك إلى قرنين ونصف من الزمان حين أضاء نور الإيمان والإسلام أسرة (إقبال) . ويروى (الشيخ إعجاز أحمد) أنه كان قد سمع عن أسلافه أن رجلا من أسلاف (إقبال) كان قد أكثر الترحال للحج والزيارة ماشيا حتى أنه عرف بلقب (لول حج) ، أى (المولع بالحج !). إن ما ذكره (مسكين) عن (بابا لول حج) يختلف عن التفاصيل التى أوردها (ديده مرى) إلا أننا اطلعنا على ما كتبه (إقبال) نقلا عن أبيه أنه سمع أسلافه يقولون إن (بابا لول حج أو لولى حج) هو جدهم الأعلى إلا أننا لا نعرف شيئا عن الوسائط التى كانت بين (إقبال) (وبابا لول حج) فى سلسلة النسب .

وأما وصف كلمة (سبرو) الذى حكاه (ديوان تيك تشند) (لإقبال) من أن قبيلة (سبرو) هم أولاد الملك (شابور) أو أنهم يرجعون إلى أصل إيرانى فهو ادعاء لا يؤيده دليل تاريخى ، إلا أننا نعثر على نص مما سرده (مسكين) فى كتابه أنه كان يوجد راهب مجوسى فى (كشمير) وكان اسمه (شابور) فتأثر من السيد (على الهندامى) فأسلم [٩] .

وكذلك فإن (الخواجا حسن نظامى) قد ذكر فى مقاله عن (إقبال) نقلا عن كلمة ألقاها السفير المصرى بمناسبة ذكرى (إقبال) ، وقد حاول السفير أن يحقق أن براهمة (كشمير) يرجع أصلهم إلى مصر؛ وذلك أن كبير الكهان فى معبد الشمس (بمصر) كان اسمه (هرى هر) وأن (را) هى الشمس باللغة المصرية، وأن سورة يوسف فى القرآن الكريم تبدأ أيضا بالألف واللام والراء (الر) فكأن الله - سبحانه وتعالى - قد نطق فى كتابه بكلمة (را) ، وكذلك فإن (رام) لها أهمية كبيرة فى الديانة الهندوكية ، وكان الكاهن (هرى هر) - على ما قاله السفير المصرى - قد تزوج ابنة فرعون من الأقباط، ولما مات فرعون ولم يكن له من يخلفه على عرشه تولى الكاهن (هرى هر) عرش الفراعنة وحكم مصر هو وأولاده أربعة قرون، ثم قام انقلاب حكومى فحل محلهم أسرة جديدة من الفراعنة مما جعل أولاد (هرى هر) يخرجون من (مصر) مع قوم موسى - عليه السلام - وأما موسى وقومه فذهبوا إلى (فلسطين) ، وأما أولاد (هرى هر) فقصدوا بلاد (أفغانستان) ونزلوا بها وأنشئوا بها مدينة جديدة كانت تُسمى (هرى) التى عرفت بهرات فيما بعد ، ثم هاجر هؤلاء إلى (كشمير) ومنها إلى الهند فأنشأوا معبدا على ضفة (حنجا) سموه (هرى دوار تيرت) على اسم حلفهم الأعلى ومن ثم براهمة كشمير كلهم يرجعون إلى أصل مصرى ، ولأن (إقبالاً) كان من براهمة كشمير فهو مصرى أصلا ، كما أن (جواهر لال نهرو) من براهمة كشمير فهو أيضا من المصريين .

إن التأويلات مثل هذه لا تستحق أى تعليق ؛ فالإنسان إذا كان خصب القريحة فبإمكانه أن يخترع ويبدع ما يشاء إرضاء لأهوائه وتأييدا لمصالحه وأغراضه !

وإذا صح أن (بابا لول حج) هو الجد الأعلى (لإقبال) فإن المعلومات التى وصلت إلينا تجعلنا نقول بأن ما قاله (ديده مرى) عن (بابا لول حج) أصح مما أورده (مسكين) عنه ؛ لأن ما قاله (مسكين) يشير إلى أن (بابا) كان قد قطع صلته بزوجته قبل أن يخلو بها وأنه قضى ما بقى من عمره فى العزلة والعزبة ، وينشأ السؤال حينئذ حول استمرار النسل وتسلسله .

وقد اتضح من البحث الذى قام به (الشيخ فوق) أن (بابا) أصله من البراهمة ومن قبيلة (سبرو) ثم اعتنق الإسلام ، إلا أننا لا نعرف شيئا عن اسمه الذى كان يعرف به قبل أن يعتنق الإسلام وبماذا سُمى بعد أن أسلم ، ولم نعرف شيئا إلا ما وصل إلينا عن لقبه ، والشيء الآخر الذى يمكن استنتاجه مما قاله (ديده مرى) و(الشيخ فوق) هو أن (بابا) يمكن أن يكون قد أسلم قبل الزواج وأنه قضى حقبة من الزمان مع زوجته ثم افترقا بالخلع ، وحينئذ يمكن القول بأن (بابا) كان أولدها وأن سلالته قد استمرت بصفة متواصلة متسلسلة .

وما دامت الديانة أو العقيدة ترجع إلى العواطف أكثر مما ترجع إلى العقل فإن من الصعب على الإنسان أن يغير عقيدته أو ديانته؛ فالسؤال الآن هو : ماذا جعل (بابا) يترك دينه المتوارث ويعتنق الإسلام ؟ والمصادر عن ترجمة (بابا) لا ترد على هذا السؤال ، إلا أننا نستطيع أن نستنبط مما وصل إلينا من معلومات عن حياته أنه لم يغير دينه كرها وخوفا من قوة أو سلطة ، كما أنه لم يغير دينه وعقيدته رغبة فى أغراض مادية؛ لأنه لو كان هذا التغيير قد حدث تحت ضغط من هذه الضغوط لما كان من الممكن له أن يبلغ ما بلغه من حب الإسلام ورسوله ﷺ ما جعله يخرج ماشيا للحج والزيارات المتعددة المتواصلة ، ولو كان قد غير دينه لغرض مادى لوصلت إلينا البراهين والشواهد التى تشير إلى تحسّن الحياة المادية له بعد ذلك .

وقد كان حضرة (بابا) ينتمى إلى فئة البراهمة أو قبيلتهم التى لم تحفل بما لاقته من التعريض والتحقير ، وإنما استمرت فى اهتمامها باللغة الفارسية واحتلت مكانة بارزة فى آدابها ، ولعل حضرته كان يعرف اللغة الفارسية كأسلافه ومعاصريه من البراهمة ، وإن معرفته بهذه اللغة كانت قد أصبحت المفتاح الذى فتح عليه أبواب العلوم الإسلامية فدرسها بجهوده الذاتية ، ودراسته العميقة هى التى أحدثت فى نفسه تغييراً ثورياً مما انتهى به إلى اعتناق الدين الإسلامى الحنيف ، كما أنه من الممكن أيضا أن (بابا) لم يكن مقتنعا بدين آبائه راضيا بما توارثه من العقائد ، أو أنه لم يكن من الذين يتبعون العقائد والتقاليد المتوارثة وإنما يملكون فطرة تحرضهم على التحقيق والبحث عن الجديد .

وقد ذكر (الشيخ فوق) أن الذى جعل أجداد (إقبال) يعتنقون الإسلام قد كان نتيجة لحبهم واعتقادهم فى ولى من أولياء الله، وأن ذلك الحب والاعتقاد ما زال ميزة

تمتاز بها أسرة (إقبال) حتى اليوم [١١]. على كل حال فإنه من الممكن أن نعتقد بأن حضرة (بابا) كان قد تزوج من أسرة مسلمة بعد أن اعتنق الإسلام ، وقد لاحظنا أن (ديده مرى) و(مسكين) يتفقان على أنه لم يكن على صلة جيدة مع زوجته يمكن - وإليه أشار (مسكين) فى كلامه - أنها كانت تضحك منه؛ لأنه كان معوج الرجلين وأحول العينين فتضايق (بابا) منها وتبرم فترك عائلته وزهد فى الدنيا وهاجر من كشمير متوجها إلى أرض الحرمين ، ثم قضى اثنى عشر عاما يجوب الآفاق ويتجول فى البلاد ، وهذه التفاصيل وإن كانت قليلة مجملة إلا أنها تعطينا صورة واضحة عن (بابا) وطبعه الحساس الأبى؛ حيث أصبح تصرف الزوجة وسلوكها معه سببا محرضا على الزهد فى الدنيا وظواهرها والبحث عن الحق وجماله الباطنى، وكان قد أضاء قلبه وضميره بنور الإيمان والإسلام بجهده الذاتى أو بتوجيه أحد المتصوفة العارفين إلا أنه كان فى حاجة إلى مرشد كامل من الأولياء يبايعه فيرضيه بما يبغى ويرويه بما يطلب ويشفى غليله بتوجيهه الروحى ، ومن ثم تلقى الإشارة الروحية الخفية التى كان ينتظرها بعد أن عاد إلى (كشمير) من سفره الطويل الذى دام اثنى عشر عاما فأصبح من مريدى (بابا نصير الدين) وبذلك ارتبط بالسلسلة (الريشية) من المتصوفين . وهذه المراجع كلها لا تنص على أولاد (بابا) وأحفاده ، ولعله قد قطع صلته نهائيا مع أولاده وأحفاده حين ترك الدنيا وزهد فيها وارتبط بالسلسلة المتصوفة .

والسؤال الآن هو: متى اعتنق جد (إقبال) الأعلى الدين الإسلامى ودخل فيه ؟ فيقول معظم المترجمين ل(إقبال) : إن أجداده كانوا قد اعتنقوا الإسلام قبل (مولد) (إقبال) بقرنين أو أكثر من الزمان . فإن (الشيخ فوق) يقول بأنهم كانوا قد أسلموا قبل مولده بقرنين وربع القرن من الزمان ، وذلك فى عصر الملك المغولى (عالمكير) ، إلا أننى لست أراه صوابا؛ لأن بعض ما كتبه (الشيخ فوق) نفسه يكذب ما ادعاه ، فقد ألف (الشيخ فوق) كتابا وسماه (تاريخ بد شاهى) الذى طبع فى سنة ١٩٤٤ م حيث خصص بابًا لعصر (بد شاه) وترجم فيه لبعض العلماء والمشايخ وأصحاب الطرق الصوفية الذين اتصلوا بالسلسلة الصوفية (الريشية) وذكر من بينهم (الشيخ نور الدين ولى رشي) و(الشيخ نصير الدين) إلى جانب (بابا لولى حاجى) [١٢] .

وكان الملك (بد شاه) هذا قد استوى على عرش (كشمير) فى سنة ١٤٢٠ م وتُوفى فى ١٤٧٠ م فهذا مما يدل دلالة واضحة على أن جد (إقبال) الأعلى كان قد اعتنق الإسلام فى القرن الخامس عشر الميلادى ، أى قبل مولد (إقبال) بأربعة قرون ونصف

تقريبا وقبل مجيء (ظهير الدين بابر) – مؤسس الدولة المغولية في شبه القارة – إلى الهند بقرن من الزمان تقريبا وذلك حين كان ملوك أسرة السادات يحكمون (دلهى) وما حواليها أو في عصر السلطان (بهلول اللودى) الذى تلا الأسرة الساداتية في حكم (دلهى) ، وكان معظم بلاد إقليم (بنجاب) تحت سيطرة الأمير (جسر – ككر) وبلاد (الدكن) تحت حكم الأسرة البهمنية حينذاك .

وقد سبقت الإشارة إلى أن جد (إقبال) الأعلى (بابا لول حج) كان قد ارتبط بالطريقة الصوفية (الريشية) ، وذلك مما يدعونا إلى أن نفصل القول في هذه الطريقة الصوفية بهذه المناسبة ، فيقول (الشيخ فوق) فيما قام به من البحوث عن بلاد (كشمير) : إن تاريخها يتجاوز خمسة آلاف سنة وقد استولى على عرشها خلال هذه المدة إحدى وعشرون أسرة من أسر الأمراء الهنادكة واحدة تلو الأخرى، وقد انقرض حكم هؤلاء الأمراء الهنادكة في (كشمير) خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر وكان من أسباب زوالهم الجدب والفيضانات والمؤامرات الداخلية والحروب الأهلية، وقد تم القضاء على أخر أسرة من هذه الأسر الهندوكية على يد (ذى القدر خان) التترى الذى عُرف بين أهل (كشمير) باسم (زوالتشو) .

وقد احتلت أسرة عُرفت بالأسرة (الشاهميرية) بلاد (كشمير) في القرن الثالث عشر الميلادى ، وتنتمى هذه الأسرة المسلمة إلى أصل تركى وكان مؤسسها الملك (شاه مير) الذى عُرف بالسلطان (شمس الدين) حين أعلن نفسه ملكا (لكشمير) ، وكانت هذه الأسرة التركية المسلمة قد هاجرت من منطقة (بنجكوره) في (أفغانستان) وقد أصبحت اللغة الفارسية لغة رسمية (لكشمير) في سنة ١٢٩٥ م على ما يقدره (الشيخ فوق) في أبحاثه عن (كشمير) ولعل هذا هو العصر الذى فيه أعرضت فئة من براهمة (كشمير) عن تقاليدهم وتعصبهم القومى والدينى وأقبلوا على اللغات الإسلامية وعلومها . والذين كونوا "قبيلة" مستقلة عرفت بقبيلة (سبرو) فيما بعد .

ومن أشهر سلاطين الأسرة الشاميرية (السلطان شهاب الدين) و(السلطان قطب الدين) و(السلطان سكندر بت شكن) (أى مكسر الأصنام) ، إلا أن السلطان (زين العابدين بد شاه) هو الذى حظى بنصيب وافر من الشهرة قد استولى على عرض (كشمير) بعاصمتها (نوشهره ، أى المدينة الجديدة ، وهى ما بين مير اكدل وجاندر بل في الناحية الشمالية لمدينة سرينجر الحالية) في سنة ١٤٢٠ م ومات في سنة ١٤٧٠م ، وقد تقدمت (كشمير) تقدما عظيما في العلوم الدينية والمادية في عصر هذا الملك الذى

امتد خمسين سنة، وكان هذا الملك عالما وشاعرا وكان يجيد أكثر من لغة وكان يقدر العلماء والمشايخ والمتصوفة وقد ترجم بعض الكتب من اللغة السنسكرتية إلى الفارسية وبالعكس بأمر منه ، بذلك أتاح فرصة للهنادكة والمسلمين أن يفهموا ديانة بعضهم البعض إلى جانب العلوم والمعارف لكل فئة . وكان قد أنشأ دار الترجمة والتصنيف لتحقيق هذه الأهداف فقد قام (الملا أحمد) بترجمة كتاب (مهابهارتا) إلى الفارسية في عصره وكان الملك (بد شاه) هذا لا يتعصب في الدين وذلك لحبه لبلاده ، وشعبه وكان الهنادكة والمسلمون يحبونه على السواء وذلك لحسن معاملته وسلوكه معهم .

وكان هذا الملك قد ألغى الجزية وذلك استرضاء للهنادكة وأمر بتجديد المعابد الهندوكية والاهتمام بها إلى جانب بناء المساكن للرهبان الهنادكة فكأنه قام بتطبيق عملي لقوله تعالى : «**لا إكراه في الدين** » . وكان بعض الهنادكة قد أُكرهوا على اعتناق الإسلام في عصر السلاطين السابقين إلا أن هذا الملك أذن لهؤلاء الهنادكة حديثي الإسلام أن يعودوا إلى عقيدتهم القديمة إذا أحبوا ذلك، ولم يستطع أحد من قضاة المسلمين وعلمائهم أن يجترئ على عقوبتهم بسبب الارتداد ، وكذلك الهنادكة الذين كانوا قد هاجروا من (كشمير) وكانوا يعيشون في المنفى دعاهم الملك إلى وطنهم وأمر بإرجاع ما سلب من ممتلكاتهم وخصص لهم المنح والعطايا المالية .

وقد جاء فيما قاله (الشيخ فوق) أن اللغة الفارسية كانت قد أصبحت لغة رسمية لبلاد (كشمير) قبل عصر (بد شاه) بقرن وربع القرن من الزمان إلا أن أغلبية براهمة (كشمير) كانوا يعتبرون الفارسية لغة الأنجاس غير الطاهرين وكانوا يمنعون أبناء وطنهم وديانتهم من تعلم اللغة الفارسية والعمل في الوظائف الحكومية، وكانوا يطردون كل من تعلم الفارسية وتولى المناصب الحكومية من إخوانهم فطلب هذا الملك من الهنادكة أن يتعلموا اللغة الفارسية وخصص المنح المالية للطلاب الهنادكة ، ففي هذا العصر أخذ الكثيرون من بناديت (كشمير) والبراهمة يتعلمون اللغة الفارسية، ولم يمض كثير من الوقت حتى كان قد ظهر فيهم شعراء اللغة الفارسية وعلماؤها الأفاضل الذين بلغوا من رضا الملك واحتلوا مكانة مرموقة في بلاطه إلى جانب المناصب الحكومية العليا(١٣) .

وقد جاء ذكر المتصوفة المسلمين الريشيين في عصر السلطان (قطب الدين) والسلطان (سكندر بت شكن) اللذين حكما (كشمير) قبل الملك (بد شاه) إلا أن زعيم

هذه الطريقة الصوفية وإمامها (الشيخ نور الدين ولى رشس) كان قد أدرك عصر السلطان (سكندر بت شكن) والملك (بد شاه) كليهما ، وقد ساهمت هذه الطريقة الصوفية بالكثير فى انتشار الإسلام وتبليغه فى بلاد (كشمير) .

ويقول (الشيخ فوق) أن (رشى) ليسوا من قبائل كشمير أو عشائرها وإنما هم طائفة من الزهاد عرفت بهذا الاسم والتى تشتمل على الأفراد الكثيرين من الكشاترة والبراهمة والويش والمير ولباط من قبائل (كشمير) وعشائرها المعروفة ، إلا أن معظم أعضاء هذه الطريقة الصوفية كانوا من هؤلاء المتصوفة الذين كانوا قد تركوا دياناتهم واعتنقوا الإسلام . و (رشى) كلمة سنسكرتية تدل على من ترك الدنيا وزهد فيها واشتغل بذكر الله ، وقد جاءت كلمة (رخى) بدل كلمة (رشى) فى اللغة الكشميرية . وكان زهاد هذه الطريقة وعبادها قد ابتعدوا عن الزواج والأولاد والدنيا ومتاعها وأطماعها وشهواتها وعن المدن وسكانها واتجهوا إلى الغابات والبوادى ومغارات الجبال حيث اشتغلوا بالعبادة والرياضة فى جو من الخلوة والسكوت ، وكانوا يعيشون على ما تنتج لهم البوادى والغابات ، ويقول (الشيخ فوق) إنه قد جاء فى بعض كتب التاريخ كلمة (ريشة) بدل كلمة (رشى) وذلك بيانا ودلالة على أن هؤلاء الناس كانوا يحاربون النفس والشياطين عاملين بالجهاد الأكبر مستخدمين سيف الرياضة والتعبد وكثير من العناء والمشقة حتى كأنهم كانوا يقطعون أجسامهم ويجعلون منها قطعا ، ومن ثم عرفوا بلقب (رشى) أى الذى قطع جسمه وجعله قطعا مبعثرة .

وكان يسمى والده وهو على مذهبه الهندوكى بـ (سالار سنز) ثم أسلم فعرف باسم إسلامى وهو (سالار الدين) وهو ينحدر من أسرة الكشاترة ومن سلالة الأمير (بتاسنز) من أمراء (كشتوار) فى الحلقة الرابعة من النسب ، أما زوجة (سالار الدين) ووالدة (شيخ نور الدين الولى) فكان اسمها (سدرة ماجى) وكان الشيخ قد ولد فى مكان اسمه (كيمو) فى سنة ١٣٧٨ ويذكر (شيخ فوق) أن هذا الشيخ كان قد اشتغل لصا فى البداية وذلك تحت تأثير إخوته الذين كانوا يشتغلون باللصوصية إلا أن الشيخ يتضايق من هذه المهنة تضايقًا شديداً ويتبرم منها ، فترك اللصوصية وأهلها وهو فى الثلاثين من عمره وزهد فى الدنيا وعاش فى الغابات والبوادى والجبال لمدة لا يعلمها إلا الله ، وكان يعيش خلالها على أوراق (شجرة كاسنى) الهندبا البرية .

وقد جاء الكثير فى كتب التاريخ عن (الشيخ نور الدين) الولى وتحصيله للعلوم المتداولة والحضور فى حلقات المتصوفين للاسترشاد والاهتداء ، كما أنه ورد الكثير عن كرامات الشيخ وزهده ، وقد كان من الشعراء المعروفين فى اللغة (الكشميرية) وتُوفى فى ١٤٣٩ م . وقد بلغ الثالثة والستين من عمره ودفن فى مدينة (تشرار شريف) وكان الملك (بد شاه) من أتباع هذا الشيخ ومريديه المكرمين له وقد حضر هو ووزراؤه رجال بلاطه فى جنازة الشيخ، ثم أمر ببناء ضريح له ثم ، تلاه غيره من الملوك والسلاطين وأضافوا كثيرا إلى بناء الضريح فى مختلف الأحيان . وكان عطا محمد خان الحاكم الأفغانى (لكشمير) قد بالغ في تكريمه للشيخ فأمر بضرب العملة باسم (الشيخ نور الدين الولى) فى سنة ١٨٠٨ م .

وكان اسم خليفة الشيخ الأول (بام الدين رشي) الذى كان من فئة البراهمة وكان اسمه (بهيمة سادهى) قبل أن يعتنق الإسلام ، وأما الخليفة الثانى للشيخ فاسمه (زين الدين رشى) من الكشاترة وكان يعرف باسم (حياسين) قبل أن يعتنق الإسلام والخليفة الثالث اسمه (لطيف الدين رشى) وكان هو الآخر من كشاترة (كشمير) وكان اسمه (لدهى رينا) قبل أن يعتنق الإسلام . وأما الخليفة الرابع للشيخ (نور الدين) فهو الشيخ (نصر الدين رشى) وهو الذى بايعه (بابا لول حج) جد (إقبال) الأعلى وكان هو أيضا من الكشاترة وكان يعرف باسم (راوتر) قبل اعتناقه الإسلام وكان قد اعتنق الإسلام على دعوة من الشيخ الولى وتوفى فى سنة ١٤٥١م ودفن بمدينة (تشرار شريف) (١٤) وكان من أتباع (الشيخ نصر الدين) الذى بايعه جد (إقبال) الأعلى : (لشم رشى الأول) (ولشم رشى الثانى) و(جوهر الدين رشى) و(صدر الدين رشى وبدر الدين رشى) و(بابا لول حج) ، وأما أتباع (بابا لول حج) المذكورون فى كتب التاريخ والتراجم فهم ركن الدين (أيبىَ رشى) الذى خلف شيخه بعد وفاته والشيخ (رن بو / رشى) الذى كان من قرية (لاجورة بتا تشهرات) وأما الخلفاء والمتصوفون من الطريقة الريشية الذين جاءوا بعد هؤلاء المذكورين فإننا فى حاجة إلى المزيد من البحث والتحقيق عنهم (١٥) .

والجدير بالذكر أن الطرق الصوفية التى اشتهرت فى شبه القارة فى المراحل المختلفة من التاريخ كان قد أسسها السادة الأشراف الذين هاجروا إلى (الهند) من آسيا الوسطى أو الشرق الأوسط وعاشوا فى بلاد شبه القارة وماتوا ودفنوا بها . وأما خلفاؤهم الذين احتلوا مناصبهم فكانت أغلبيتهم أيضا إما من أسرتهم أو من سلالتهم ، ولكن الطريقة الريشية تمتاز من بين هذه الطرق المتصوفة كلها بأن مؤسسها من أرض (كشمير) ومن كشاترتها وكان والده من الذين أعتنقوا الإسلام وكذلك خلفاؤه وأتباعه كانوا من الذين اعتنقوا الإسلام ولم يكونوا من الأسر المسلمة ، وأما الميزة الثانية لهذه الطريقة المتصوفة فهى أن تعاليمها تقوم على خليط من الفلسفة الفيدانية الهندوكية والفكر الوجودى؛ وذلك لأن الدعوة إلى ترك الدنيا والزهد فيها إنما هى ميزة خاصة بالفلسفة الفيدانية الهندوكية .

وقد ذكر (الشيخ فوق) فى كتابه عن تاريخ أقوام (كشمير) الذى طبع فى ١٩٤٣ م أنه كان متصوفا يعرف بالشيخ الأكبر وهو فى الحلقة الرابعة من نسب (إقبال) قبل جده (الشيخ محمد رفيق) فقد جاء فى هذا الكتاب ما نصه (١٦) :

> **« وقد مر فى أولاد (بابا لول حج) ولى كان يعرف بالشيخ الأكبر وقد كان متصوفا عاملا يقضى أكثر أوقاته فى حلقات المتصوفين ، وكان قد بلغ من القداسة والتقوى ونجابة النسب حتى أن شيخه المرشد الذى كان من السادة الأشراف زوجه من ابنته وحين توفى شيخه الشريف هذا كان ابنه (سيد مير) طفلا صغيرا ومن ثم خلف شيخه واحتل منصبه وكان الشيخ الأكبر هذا يميل إلى الأسفار والجولات البعيدة وقد زار إقليم (بنجاب) أكثر من مرة ».**

إلا أن (الشيخ فوق) لا يحدثنا عن المصدر لهذه المعلومات عن أحد أجداد (إقبال) كما أنه لا يصرح بالحلقة التى كان فيها هذا الشيخ الأكبر من سلالة (بابا لول حج) كما أنه فى هذه التفاصيل لا يحدثنا عن مرشد الشيخ الأكبر أو الطريقة الصوفية التى كان الشيخ الأكبر ينتمى إليها .

وقد ذكر (سيد نذير نيازى) فى كتابه [١٧] عن (إقبال) قولا من أقواله التى تستحق اهتمامنا بهذه المناسبة ، كان (إقبال) قد أخبره به :

«إن جد والدنا أو جد جدنا كان من أصحاب الطريقة وكان اسمه الشيخ الأكبر ، وأما عن اتصاله بالطريقة الصوفية فإنه كانت أسرة من السادة الأشراف تعيش فى مد ينة (سنكترة) وكان عامة الناس لا يصدقونها بأنها من السادة الأشراف ومن ثم كانوا يطعنون فى هذه الأسرة وينالون منها مما أغضب كبير الأسرة يوما ، فلبس ثوبا أخضر فجلس على النار المشتعلة ويقال أن ذلك الثوب كان من مخلفات سيدنا الإمام الحسين عليه السلام ، وقد كان من بركة الإمام وكرامته أن النار لم تؤثر فيه ، وعندما رأى الطاعنون ذلك تأكدوا أنها من السادة الأشراف حقا ، وعندما مات ذلك الشيخ الشريف خلفه الشيخ الأكبر وتولى أمر أتباعه وخدمة أسرته ، وفى يوم من الأيام جاء شخص من هذه الأسرة الشريفة عند والدنا الكريم وخاطبه قائلا : لماذا لا تشتغل فى تجارة الدثارات أو الأثواب الصوفية ؟ وقد كان ثمن دثار واحد لا يزيد عن الروبيتين فى ذلك الوقت إلا أن الوالد الكريم كان قد أعد مائتين أو أربع مائة دثار وبيعت هذه الدثارات كلها بأثمان جيدة بإذن الله مع أن كل دثار كان قد كلف الوالد أقل من نصف روبية ، وقد ربحنا واكتسبنا مبلغا معقولا من الروبيات بهذه الدثارات التى باعها الوالد ، ولقد كانت هذه بداية طيبة لتغيير أحوالنا المالية ثم نال أخونا الأكبر وظيفة حكومية أيضا».

وكان (إقبال) كما جاء فيما رواه (سيد نذير نيازى) قد استخدم كلمة (سنكترة) لاسم القرية التى كانت تسكنها أسرة الشيخ الأكبر . وقد صرح (سيد نذير نيازى) بهامش كتابه بأن (سنكترة) هذه قرية من مضافات محافظة (سيالكوت) وفعلا توجد قرية بهذا الاسم فى محافظة (سيالكوت) إلا أن التفاصيل التى أوردها (الشيخ فوق)

عن الشيخ الأكبر وشيخه وأسرته لم يصرح فيها بأن هذه الأسرة كانت تسكن قرية (سنكترة) التى توجد فى محافظة (سيالكوت) وإنما الأمر بالعكس، حيث يبدو أن هذه الأسرة كانت تسكن فى قرية من قرى (كشمير)؛ لأنه يصرح قائلا إن الشيخ الأكبر هذا كان قد سافر لزيارة إقليم بنجاب أكثر من مرة كما أن (الشيخ فوق) قد صرح فيما حكاه عن الشيخ الأكبر بأنه كان فى الحلقة الرابعة من نسب جد (إقبال) (الشيخ محمد رفيق) .

والشيء الجدديد الذى يدل عليه ما قاله (سيد نيازى) هو عن مسكن أسرة الشيخ الذى كان الشيخ الأكبر من أتباعه ، أى هل كانت هذه الأسرة تسكن فى قرية من قرى (كشمير) أو محافظة (سيالكوت) ؟ وإذا صح أن مسكن هذه الأسرة هو قرية من قرى (سيالكوت) فإذن لا يصح ما قاله (الشيخ إعجاز أحمد) و(الشيخ فوق) من أن جد (إقبال) وإخوته الثلاثة كانوا قد هاجروا من (كشمير) ، وإنما كانت هذه الأسرة قد هاجرت من (كشمير) إلى (سيالكوت) قبل مولد جد (إقبال) وإخوته الثلاثة وقد كان جده أو جد جده الشيخ الأكبر قد استوطن محافظة (سيالكوت) ، إلا أنه يمكن أن الشيخ الأكبر كان يسكن فى (كشمير) ، وكانت أسرة شيخه هى التى استوطنت محافظة (سيالكوت).وكان الشيخ الأكبر هذا يسافر بين حين وآخر لزيارة إقليم بنجاب أو محافظة (سيالكوت) لرعالية تلك الأسرة والاهتمام بها . وقد اتصل مؤلف هذا الكتاب (بالشيخ إعجاز أحمد) ولفت نظره إلى ما قاله (سيد نيازى) فقال له [١٨] :

« لعل العم (أي إقبال) كان قد ذكر قرية من قرى (كشمير) التى ظنها (سيد نيازى) قرية سنكترة إلا أنه لايمكن لأحد أن يصرح بشيء غير (سيد نيازى) فلو أنه لا يزال يتذكر شيئا بالضبط حتى بعد مضى ثمان وثلاثين سنة منذ أن حكى العم ما حكاه عن شيخ الشيخ الأكبر وأسرته أنهم.كانوا يسكنون قرية سنكترة من محافظة (سيالكوت) . إن الذى قاله العم (إقبال) يدل على أن صلتنا بأسرة هذا الشيخ كانت مستمرة حتى أيام جدنا أى والد (إقبال) ، كما أنه يدل على أن أسرة الشيخ هذه كانت

تسكن فى محافظة (سيالكوت) ولكنه فى الوقت نفسه من الممكن أن الشخص من أسرة ذلك الشيخ الذى مر ذكره كان قد جاء إلى والد (إقبال) من بلاد (كشمير) ؛ لأننى أتذكر جيدا أن شخصا كان يزور جدنا بين حين وآخر فى فصل الشتاء وكان يأتى من (كشمير) ونحن أطفال فى ذلك الوقت وكان يقال فإن هذا الشيخ من أسرة شيخنا ذلك وكانت أم (إقبال) تتضايق من زيارة ذلك الشخص للبيت ».

ويضيف (الشيخ فوق) قائلا : [١٩] .

« وكان فى الحلقة الرابعة من أصلاب الشيخ الأكبر أربعة إخوة وكانوا قد هاجروا من (كشمير) حين كان الأفغان يحكمونها واستوطنوا إقليم (بنجاب) ويبدو أنهم مرّوا من مضيق (بانهال) ومروا فى طريقهم بمدينة (حمون) حتى وصلوا إلى (سيالكوت) فاستوطنوها و ذلك لأنهم كانوا من سكان منطقة (كولحام) واستقر الابن الأول والثانى وهما (الشيخ محمد رمضان) و(الشيخ محمد رفيق) بمدينة (سيالكوت) وجعلاها وطنا مستقراً لهما ولأولادهما ، وأما الابن الثالث وهو الشيخ عبد الله فاستوطن قرية (حبتى كى) . وأما الأخ الرابع وهو أصغرهم والذى لايُعرف عن اسمه شيئا فيقال إنه كان قد استوطن مدينة لاهور . وقد كان الشيخ محمد رمضان يميل إلى التصوف وقد ألف العديد من الكتب باللغة الفارسية عن التصوف وطرقه ، وأما (الشيخ محمد رفيق) فكان قد اشتغل تاجرا للأقمشة فى مدينة (سيالكوت) وكان ابنه (الشيخ نور محمد) (وهو والد (إقبال) يشتغل مع أبيه فى هذه التجارة . وأما ابن الشيخ محمد رفيق الأصغر وهو (الشيخ علام محمد) فكان قد وظف بمصلحة الرى وكان يعمل بمدينة (روبر) حين زاره والده (الشيخ محمد رفيق)

الذى مرض هناك وتوفى ودفن بالمدينة نفسها ، وأما الابن الثالث أى (الشيخ عبد الله) فإن الكثير من ولده يعيشون فى (حيدرأباد الدكن) فهم من سكان تلك البلاد ويعيشون على مهنة الزراعة أما أخوهم الرابع الذى كان استوطن (لاهور) فلم يكن له عقب وأما اسم والد (الشيخ محمد رفيق) هذا فليس أحد يعرفه من كبار مدينة (سيالكوت) الطاعنين فى السن أو أحد من ولده أو أقاربه الآخرين ، والسبب فى ذلك أن والده لم يكن قد دخل منطقة (بنجاب) وإنما كان هو الذى رافق بعض إخوانه حين هاجروا إلى (بنجاب) ومن ثم لم يعرف أحد اسم والده ، ويحدثنا مولانا (عبد العزيز ملك) (من سكان حوجرا نواله) فى ٩٤/ من عمره عن (الشيخ محمد رفيق) بأنه كان متوسط القامة جميل الوجه حسن الطلعة وكانت ملامحه الجميلة ووجه المتلألئ يدل على كونه (كشميريًا) » .

وهذه التفاصيل التى أوردها (الشيخ فوق) لا تخلو من بعض العيوب؛ لأن والد (الشيخ محمد رفيق) وإخوته كان اسمه (الشيخ جمال الدين) ؛ وذلك لأن (الشيخ إعجاز أحمد) يصرح بأن هذا الاسم قد ورد فى بعض الوثائق الرسمية المسجلة ، وكذلك فإن أخا (الشيخ محمد رفيق) الذى قال عنه (الشيخ فوق) إنه لم يعثر على اسمه ، فإن اسمه قد عثر عليه وهو (الشيخ عبد الرحمن) وليس من الصواب أنه كان قد استوطن مدينة (لاهور) ولم يعقب وإنما كان (الشيخ عبد الرحمن) المذكور نزل فى (سيالكوت) واستوطنها وما يزال أحفاده يعيشون هناك حتى اليوم . وكذلك أحفاد (الشيخ عبدالله) يعيشون فى (سيالكوت) إلا أن البعض من أسرته كانوا قد سافروا إلى (حيدرآباد الدكن) ، ويذكر (الشيخ فوق) أن (الشيخ محمد رمضان) (أى أخا جد (إقبال) كان قد ألف العديد من الكتب عن التصوف وطرقه إلا أنه لم يسرد تفاصيل الكتب هذه ، كما أنه لا يصرح بالمرجع الذى كان قد اطلع عليه .

« وقد جاء فى المجلد الرابع من كتاب)روز كار فقير(على لسان (الشيخ إعجاز أحمد) [٢٠] ليس من الممكن أن نحزم القول عن الوقت الذى هاجر فيه أجداد العلامة (إقبال) من (كشمير) إلى (سيالكوت) إلا أن القرائن الموجودة تشير إلى أن هذه الهجرة كانت قد حدثت أما فى أخريات القرن الثامن عشر الميلادى أو فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ، وأما الذى هاجر من أجداده فقد يمكن أن يكون والد جده (الشيخ جمال الدين) أو أبناؤه الأربعة الذين كانت أسماءهم (الشيخ عبد الرحمن) و(الشيخ محمد رمضان) و(الشيخ محمد رفيق) و(الشيخ عبد الله) . وقد يمكن أن (الشيخ جمال الدين) هو الذى كان قد هاجر مع أبنائه الأربعة على كل حال فمن المحقق أن هؤلاء الإخوة الأربعة كانوا قد نزلوا فى مدينة (سيالكوت) فى مبدأ القرن التاسع عشر الميلادى وكان جد العلامة (إقبال) (الشيخ محمد رفيق) وأخواه الشيخان (عبد الرحمن) و(محمد رمضان) يعيشون فى (سيالكوت) وأما ثالثهم الشيخ عبد الله فكان قد نزل بقرية (جيتى كى) ويوجد حتى اليوم أحفاد هؤلاء الإخوة الأربعة فى كل من مدينة (سيالكوت) وقرية (جيتى كى) ، وكان جد العلامة (إقبال) قد تزوج فى المرة الأولى من فتاة (كشميرية) بمدينة (سيالكوت) إلا أنها لم تنجب وماتت ثم تزوج مرة ثانية من أسرة (كشميرية) من سكان (جلال بور حتان) وكانت المرأة الثانية جميلة جدا ومن ثم كانت قد عرفت بلقب ججرى (أى الفتاة الجميلة) وأنجبت عشرة أبناء للشيخ (محمد رفيق) واحدا تلو الآخر إلا أنهم ماتوا جميعهم وكان والد (إقبال) (الشيخ نور محمد) هو الولد الحادى عشر لأبيه الشيخ محمد رفيق وكانت نساء الأسرة قد نذرن كثيرا من النذور وذهبن إلى الأولياء

والمشايخ للدعاء والبركة ، ولقد كان من قدرة الله أنه استجاب دعاء البعض منهن ، ولم يمت والد العلامة (إقبال) فحسب وإنما عمر طويلا وكان قد شارف ٩٦ سنة حسب التقويم القمرى و٩٣ سنة حسب التقويم الشمسى حتى أنه كان قد تمتع بمشاهدة ما نالته أسرته من الشهرة والعز والشعبية بسبب ابنه (إقبال) العظيم ».

وقد رزق جد (إقبال) بابن آخر بعد والد (إقبال) اسمه (غلام محمد) وكان موظفا فى مصلحة الرى وكان مقر عمله مدينة (روبر) من محافظة (انباله) فى (الهند) . وقد ذهب (الشيخ محمد رفيق) هناك ليزور ابنه فأصيب بالكوليرا وتوفى ودفن بمدينة روبر نفسها ، ولم يكن للشيخ (غلام محمد) أولاد من الذكور وكانت له ابنتان موجودتان عند وفاته ، ولهاتين البنتين عقب وكلهم يعيشون فى مدينة (سيالكوت) حتى اليوم».

وكان أبوا (الشيخ نور محمد) - أى والد (إقبال) - قد ثقبا أنف ابنهما عند مولده ووضعا فيه حلقة حديدية ؛ وذلك اتباعا للتقاليد المتوارثة الموجودة فى ذلك المجتمع المتخلف الضعيف فى العقيدة .

وكان الغرض من ذلك هو وقاية الابن ورعايته من العين الحاسدة والقوى الطبيعية(*) وذلك ليوهما القوى الطبيعية أنهما قد رزقا ببنت وليس بابن، ومن ثَمَّ عرف والد (إقبال) بالشيخ (نثو) أى الشيخ صاحب الحلقة الحديدية فى أنفه ، وتوفى (الشيخ نور محمد) فى ١٩٣٠ م ، وإذا كان هذا الشيخ قد بلغ ٩٣ سنة من عمره حسب التقويم الشمسى فإن مولده كان سنة ١٨٣٧م ويؤيد ذلك ماكان يقوله (الشيخ نور محمد) نفسه أنه كان شابا يافعا حين قامت الثورة الهندية المعروفة ضد الاستعمار البريطانى فى ١٨٥٧ م فكأنه كان قد بلغ عشرين عاما من عمره فى ذلك الوقت .

إنه ليس من السهل على الإنسان أن يهاجر من وطنه، فالسؤال الآن لماذا كان أجداد (إقبال) قد هاجروا من (كشمير) ؟ وليس لدينا رد مقنع واضح على هذا السؤال وكانت بلاد (كشمير) تحت حكم الأفغان حين هاجر أجداد (إقبال) من (كشمير) كما

يقول (الشيخ فوق) وإذا كانت هذه الهجرة قد حدثت فى أخريات القرن الثامن عشر أو فى أوائل القرن التاسع عشر فإن الحكم الأفغانى كان قد بدأ يميل إلى الزوال والانحطاط فى ذلك الوقت وكانت فئة (السيخ) قد أخذت تسيطر على (كشمير) ، ويحدثنا (الشيخ فوق) بأن أسلاف (إقبال) كانوا يقطنون منطقة مديرية (كولجام) حين هاجروا من بلاد (كشمير) . ولسنا نعرف من أين حصل (الشيخ فوق) على هذه المعلومات [٢١] إلا أن تقديره هذا قد يكون صحيحا أنهم كانوا قد عبروا مضيق (بانهال) ووصلوا إلى (سيالكوت) من طريق (جون) .

كان الملك (أحمد شاه أبدالى) قد هاجم (كشمير) فى ١٧٥٢ م وفتحها ، فضمها إلى المملكة الدرانيــة، ومنذ ذلك اليوم بدأ الحكام يأتون من (كابل) ليحكموا إقليم (كشمير) ، ثم انتصر الملك (أحمد شاه أبدالى) على فئة مرهتة فى الحرب الثالثة بقرب (بانى بت) فى ١٧٦١ م أى بعد تسعة أعوام منذ فتحه (لكشمير) وتوفى فى ١٧٧٢ م ، وكان أحد أخلافه واسمه (زمان شاه) قد عين (رنجيت سنغ) حاكما لمدينة (لاهور) وما حواليها من المناطق فى ١٧٥٨ م ثم بدأ هذا الحاكم الشيخ يطرد الأفغان من مناطق (بنجاب) و(سرحد) حتى أصبح حاكما مستقلا لهذه البلاد وأعلن نفسه أميرا عليها .

وقد استمرت السيطرة الأفغانية على (كشمير) لسبع وستين سنة (١٧٥٢ – ١٨١٩ م) على ما صرح به (صوفى) واحتل وظيفة الحاكم الإقليمى أربعة عشر حاكما أفغانيا خلال هذه المدة التى يسميها (صوفى) عصر الاضطرابات والقلق فى تاريخ (كشمير) ؛ وذلك لأن (الكشميريين) كانوا قد لاقوا أسوأ ما يمكن من الظروف الطاحنة تحت الحكم الأفغانى ، فقد كان الحكام الإقليميون الأفغان يحاولون دائما أن يتحرروا من حكم (كابل) ليستقلوا فى حكمهم (لكشمير) ، ومن ناحية أخرى فإن المتطلعين إلى عرش (كابل) كانوا يتخاصمون فيما بينهم . وكانت هذه الحروب الأهلية تكلف (كشمير) كثيرا من النفقات الباهظة فعلى سبيل المثال أن الحاكم الإقليمى (عبد الله خان) كان قد ذهب بعشرة ملايين من الروبيات من (كشمير) إلى (كابل) فى سنة ١٧٥٧ م ونتيجة لهذا التهريب الرأسمالى واجهت بلاد (كشمير) أسوأ سنة مجدبة وأفظعها التى لا نظير لها فى التاريخ كله . وقد هزت بلاد (كشمير) زلازل شديدة لمدة

ثلاثة أشهر خلال عهد الحاكم الإقليمى (كريم داد خان) فى ١٨٧٦ م . وتأثر بها آلاف مؤلفة من السكان وسيطرت السنة المجدبة الأخرى على (كشمير) فى سنة ١٧٨٣ م فى عهد الحاكم الإقليمى (زاد خان) إلى جانب الحروب الأهلية الأفغانية حتى أن الكيلو الواحد من الملح قد بيع بأربع روبيات ، وفى عصر الحاكمين الإقليميين سيف الدولة مدد خان وميرداد خان فى سنة ١٨٨٧ م فرضت ضرائب باهظة على (الكشميريين) حتى أنه استحال عليهم أن يشبعوا جوعهم ، وفى عصر الحاكم الإقليمى (جمعة خان) سنة ١٧٨٩م هزت بلاد (كشمير) الفيضانات الناشئة من الثلوج المتكاثرة ، ثم إن الحروب الأهلية الأفغانية فى (كشمير) التى استمرت من ١٧٩٣ م إلى ١٨٠٠ م ذهبت بالآلاف المؤلفة من نفوس (الكشميريين) وأخيرا قبض على الحاكم الإقليمى (عبد الله خان) وجىء به إلى (كابل) مكبلا مغلولا . وفى ١٨٠١ م قبض على (زمان شاه) الملك الحاكم (لكابل) وفقئت عيناه واستولى أخوه (محمد شاه) على عرش (أفغانستان) ، وفى أثناء ذلك كان (عبدالله خان) قد فر من (كابل) ووصل إلى (كشمير) وأعلن استقلاله عن (كابل) ، وأما فى (كابل) فكان (محمد شاه) قد عزل عن الحكم وحل محله (شجاع الملك) ملكا على البلاد فأرسل (شير محمد) خان فى ١٨٠٦ م إلى (كشمير) ليفتحها ويسيطر عليها ، إلا أن (عبد الله خان) كان قد مات فى سنة ١٨٠٧ وفى ١٨٠٩ م بدأت حروب أهلية أفغانية من جديد فى (كابل) وانتصر (عظيم خان) على (شجاع الملك) الذى لجأ إلى الأمير الكبير (رنجيت سنغ) ، وأما (شير محمد خان) فإنه سافر من (كشمير) إلى (كابل) فقتل هناك ، ثم عين (عطا محمد خان) حاكما إقليميا (لكشمير) وأعلن استقلاله عن (كابل) فى ١٨١٠ م .

وفى ١٨١٣م انهزم (عطا محمد خان) أمام جيوش الأمير الكبير (رنجيت سنغ) ، و (فتح خان) هذا هو الذى خدع الأمير الكبير (رنجيت سنغ) واحتل (كشمير) كلها . وفى ١٨١٤م هاجم (كشمير) الأمير الكبير (رنجيت سنغ) إلا أنه تراجع منهزما أمام جيش (عظيم خان) الذى كان قد خلف الأمير (فتح خان) ، وكان الأمير الكبير (رنجيت سنغ) قد هاجم (كشمير) من طريق (سيالكوت) ويقال إنه كان قد أقام بها أياما ثم حاول أن يدخل (كشمير) من طريق المضيق (بير بنحال) ،

وفى هذه السنة نفسها واجهت (كشمير) مجاعة أخرى ذهب ضحية لها آلاف مؤلفة من النفوس، و كان الأمير عظيم خان قد تلقى أمرا بالعودة إلى (كابل) وأصبح أخوه (جبار خان) حاكما إقليميا (لكشمير) وهو آخر حكامها الأفغان، وقد انهزم فى ١٨١٩ م أمام جيوش الأمير الكبير (رنجيت سنغ) وهرب إلى (كابل)، وهكذا انتهى الحكم الأفغانى فى (كشمير) وتمت سيطرة (السيخ) عليها كلها فى ١٨١٩ م .

وقد استمر حكم (السيخ) على (كشمير) لسبعة وعشرين عاما من ١٨١٩ إلى ١٨٤٦ وفى خلال هذه المدة حكم عشرة من حكامهم الإقليميين حكما مطلقا ، وعلى ما يصرح به (صوفى) أن حكم (السيخ) على (كشمير) كان أسود حكم وأفظعه فى تاريخها؛ فهو يقول نقلا عن (وليام مور كرافت) الذى كان قد زار (كشمير) فى ١٨٢٤ م إن السيخ كانوا يتعاملون مع (الكشميريين) كتعاملهم مع الحيوان، حتى إن أحدا من (السيخ) لو قتل أحد (الكشميريين) فإن يغرم بمبلغ يتراوح بين ست عشرة إلى عشرين روبية، وكانت تأخذ أسرة المقتول أربع روبيات من ذلك المبلغ إذا كان المقتول هندوكيا وروبيتين فقط إذا كان مسلما، وكان (الكشميريون) يرزحون تحت وطأة الضرائب الباهظة حتى أن فقراءهم كانوا يجتمعون فى عدد ضخم حول المدن والقرى ويشحذون ، وقد هاجر منهم إلى بنجاب آلاف مؤلفة بسبب الفقر والبؤس، وكذلك فإن (بيرن شون برج) الذى كان قد زار (كشمير) فى ذلك الوقت يعطى فيما كتبه صورة أليمة جدا عن فقر (الكشميريين) تحت حكم السيخ ، وكانت عقوبة من يذبح البقرة هو الإعدام حتى أن مسلما لو وجد وهو يذبح بقرة قبضوا عليه وجروه فى شوارع مدينة (سرينحر) وأزقتها ثم أعدموه إما شنقا وإما حرقا حيا، ويقال إن مجاعة مهيبة هزت (كشمير) فى ١٨٣١ م فى عهد الحاكم الإقليمى السيخى (كنور شيخ سنغ) حتى أن عدد سكان (كشمير) انخفض إلى مائتى ألف بعد أن كانوا ثمانمائة مائة ألف نسمة ، وفى هذه السنة نفسها كان (فكتر ياك مون) زار (كشمير) ، وهو يذكر فى رسالته التى بعث بها من (كشمير) أنه عند مقره فى (كوتلى) قد شنق العشرات من الناس على أغصان الأشجار حتى أن خادمه السيخى (بهيم سنغ) جاء ليزوره فى مقره فقال له فى شىء من الاستكبار والإهمال إنه كان قد أعدم مائتى (كشميرى) شنقا فى السنة الأولى

من الحكم السيخى، أما الآن فيكفى أن يعدم عشرة منهم شنقا وذلك لإلقاء الرعب فى نفوسهم ، ويذكر (ياك مون) هذا أنه لو كان فى مقدرته لقبض على (بهيم سنغ) ، وجنوده البالغ عددهم ثلاثمائة جندى الذين كانوا قد ظهروا فى زى لا يختلف عن زى اللصوص، ولقادهم مكبلين مغلولين للعمل على مشروع من مشاريع الطرق المعبدة وحسبما قاله هذا الكاتب كانت (كشمير) قد استحالت إلى صحراء مجدبة وفى ١٨٣٢ م فى عهد الحاكم الإقليمى (بارام) كانت الزلازل الشديدة قد هزت (كشمير) هزة عنيفة ، ويصرح الدكتور (حوزف وولف) بأنه كان قد غادر (كشمير) فى ٢١ أكتوبر سنة ١٨٣٢ م ورأى الآلاف المؤلفة من (الكشميريين) الهاربين من ظلم (السيخ) واضطهادهم ، وكانت النساء نصف العاريات يسرعن هاربات وقد حملن أولادهن على أكتافهن رءوسهن وكان (دين) قد زار (كشمير) فى ١٨٣٥ م فوجد المناطق القروية خالية من أهليها؛ لأنهم كانوا قد هاجروا من البلاد ولجئوا إلى بنجاب والإقليم الأعلى والمناطق الأخرى ، وفى ١٨٤٦ م كان (السيخ) قد انهزموا بعد أن احتل الإنكليز (بنجاب) فباعوا بلاد (كشمير) للأمير الكبير (حلاب سنغ) بخمسة ملايين روبية، وهكذا أصبحت (كشمير) إقطاعا للأسرة الدوجرية . (٢٢) .

إذا هاجر إنسان من وطنه فإنما يهاجر منها إما ليبحث عن حياة رضية وعيشة رغيدة ، وإما بسبب الظروف القاهرة الفاسدة التى تكرهه على ذلك ؛ فلقد كان الجد الأعلى للبانديت (جواهر لعل نهرو) واسمه البانديت (راجكول) الذى كان من علماء اللغتين الفارسية والسنسكرتية هو الذى هاجر من (كشمير) ليجعل مدينة (دلهى) وطنا مستقلا له، وذلك فى أخريات العهد المغولى ، وفى عصر الملك (فرح سير) فى سنة ١٧١٦م تقريبا وكان هذا الملك قد تأثر بالبانديت (راجكول) وشخصيته فأخذه مع أسرته وجاء بهم إلى دلهى ، ثم انتقلت هذه الأسرة إلى مدينة (اله آباد) ، وكذلك عالم آخر من علماء اللغة الفارسية السير (تيج بهادر سبرو) الذى كان من قبيلة (إقبال) وصديقا له هاجر أجداده على حد قوله من (كشمير) قبل مائة وثلاثين عامًا من مولده واستوطنوا بلاد (الهند) ، وأما أجداد الخواجة (ناظم الدين) (الحاكم العام الثانى لباكستان وأحد رؤساء الوزراء فيها) فقد كان بعض أجداده جاء إلى (دلهى)

فى سنة ١٨٢٢ م ليشكو إلى الملك المغولى ظلم (السيخ) واضطهادهم، إلا أنه عندما عرف أن الملك المغولى المسكين لا يملك حولا ولا طولا ولا يستطيع أن ينهض بشيء فى هذه القضية توجه إلى (بنجال) ليستقر بها ويؤسس أسرة الأمراء المعروفة بمدينة (دكاء) عاصمة (بنجلاديش) الآن [٢٣] .

وقد رأينا من اللازم أن نسرد وقائع السيطرة الأفغانية والسيخية على (كشمير) ليتضح لنا جليا الظروف الراهنة فى (كشمير) فى أخريات القرن الثامن عشر الميلادى وأوائل القرن التاسع عشر حين هاجر أجداد (إقبال) من (كشمير). والظاهر أن هذه الظروف فى (كشمير) كانت نتيجة للمجاعة والفيضانات والزلازل والحروب الأهلية الأفغانية والضرائب الثقيلة والفقر والبؤس وظلم (السيخ) واضطهادهم وسفكهم الدماء البريئة، فقد هاجر كثير من الأسر (الكشميرية) خلال هذه العصور ولجأت إلى المدن والمناطق المختلفة فى شبه القارة ، ويمكن لنا أن نقدر الظروف التى جعلت أجداد (إقبال) يهاجرون من (كشمير) وهى لم تكن إلا الاضطرابات وعدم الثقة بالمستقبل الآمن ، ومن ثَمَّ كانوا قد هاجروا فى أخريات الحكم الأفغانى من (كشمير) ولجئوا إلى مدينة (سيالكوت) حيث اشتغلوا بمهنة التجارة .

عندما نسرد شجرة النسب لأسرة (إقبال) وأجداده يظهر أنه كان ينحدر من أسرة لم يكن من همها الجانب المادى للحياة وإنما كان همها هو البحث عن القيم الخلقية والسعادة الروحية، وأنها كانت تفضل الدين على الدنيا دائما ، ولعل هذا الذى جعل (إقبالاً) يقول فى منظومته التى جاءت فى ديوان شعره (ضرب كليم) التى عنوانها (إلى جاويد) :

١ - إن عصرنا هذا يفسد الدين ويقضى عليه؛ لأنه كافر بمبدئه وأساسه .

٢ - إن زوايا عباد الله المخلصين خير من بلاط أى إمبراطور فى الدنيا .

٣ - إن المجتمع البشرى قد خلا من هؤلاء الأفذاذ الذين كانوا يملكون نظرا بعيدا عميقا يمكن أن يأتى على الزمان بضربته .

٤ - إلا أنك تنتمى إلى أسرة كانت عريقة فى الطريقة والمعرفة .

وقد قال (إقبال) بعض الأبيات الشعرية - وخاصة فى شبابه - مما يدل على صلته (بكشمير) وحبه لها ، وعلى الرغم من أن فكر (إقبال) لايسع القومية أو الوطنية الضيقة؛ لأن فكره فكر عالمي فإننا نرى فى بعض أبياته الشعرية الألم والكربة التى كان يشعر بها فى قلبه نحو (كشمير) و بعض مواطنيه المنكوبين ، وبنفس الأسلوب أشار (إقبال) فى بعض أبياته الشعرية إلى صلته النسبية بأسره البراهمة (الكشميريين) .

ومن دأب الهنادكة عامة والبراهمة خاصة أنهم يفتخرون بأسلافهم البراهمة، ولعل هذا الذى جعل البانديت (رام جندر الدهلوى) من علماء اللغة العربية والسنسكريتية يقول فيما كتبه عن (إقبال) من المقالات [٢٤] :

« لايفهم الإلهية والكلام الربانى إلا ابن من أبناء البراهمة، وهذا هو السر الذى أودعه (إقبال) فيما قاله من الشعر غير أنه بانديت من بناديت (كشمير) . وهذا هو السر الذى رباه أجداد (إقبال) تربية روحية فى أصلابهم واحتفظوا به لآلاف من السنين ».

وقد كانت القيادة البراهمية هى التى حققت حرية سياسية (للهند) ، ومن غريب المصادفة أن الذى أسس فكرة القومية الإسلامية الممتازة والدولة الإسلامية المستقلة أى (باكستان) لم يكن إلا ابنا من أبناء البراهمة أيضا . فالسؤال الآن: هل كان (إقبال) يفتخر ويعتز بأسلافه البراهمة ؟ أو ما دور البرهمية فيما ورثه (إقبال) من أجداده ؟ إن العقائد القديمة المهجورة لا قيمة لها فى حياة الإنسان الفردية فهى لا يمكن أن تؤثر فى جيل أو جيلين فيما بعد؛ فقد كان الجد الأعلى (لإقبال) قد اعتنق الإسلام قبل مولد (إقبال) بأربعة قرون ونصف، ومن ثَمَّ لايمكن (لإقبال) أن يفتخر بأسلافه البراهمة، ولكن الحقيقة أن (إقبالاً) لم يكن يستطيع أن يأكل لحم البقر ، ومن ثم لم يدخل لحم البقر فى بيت (إقبال) وهو حى . فإذا أطعمه أحد لحم البقر

مصادفة أو خطأ فإن معدته لم تكن تسيغه وتهضمه وإنما كان يشعر بشيء فى طبيعته يكدر عليه صفوه ، وبالإضافة إلى ذلك فإن (إقبالاً) رغم عدم اهتمامه بعلم النجوم كان قد أعد خريطتين للبروج عند مولد ابنه المؤلف لهذا الكتاب، وقد احتفظت الأسرة بهاتين الخريطتين؛ فقد أعد إحداهما (راجا نرنرا ناس) من سكان (لاهور)، أما الثانية فكان الباندیت السير (نبواسية) قد أعدها وبعث بها من مدينة (ميسور) .

على كل حال فإن الأبيات الشعرية (لإقبال) التى ذكر فيها نسبه البراهمى فإنما جاء ذلك تعريضًا وظنًا فيما وجده (إقبال) من الأوضاع فى العالم الإسلامى ، وإنما يقصد (إقبال) بذلك أن العرب المسلمين رغم أنهم ورثوا العقيدة الإسلامية جيلا بعد جيل فإنهم ما يزالون يختصمون ويتقاتلون فيما بينهم، ولا يهمهم ما جاء به الدين الإسلامى ولا يعرف أسراره وحكمه ولا يؤمن بمستقبله الزاهر إلا رجل من سلالة البراهمة أى (إقبال) نفسه . وكذلك فإنه يوجد فى شعره ما يشير إلى أنه كان يرى أن تعمقه فى العلوم الفلسفية ومعرفته بها يمكن أن يكون مرجعها إلى نسبه البرهمى، ولكن (إقبالاً) كان قد رفض العلوم الفلسفية فيما بعد قائلا بأنها لا تفيد الإنسان شيئا فى الاسترشاد أو الاهتداء بها ، وأما الذى يمكن أن يهدى الإنسان وينير له الطريق ويقدم الحلول الناجحة المقنعة للمشاكل الفكرية الغامضة والحياة العملية فإنما هو حب الرسول والإيمان بما جاء به من الشريعة الغراء ، إن ذلك نعمة من الله أنعم بها على البشرية، ومن ثَمَّ قد أصبحت التعاليم القرآنية وهدى الرسول والحب للإسلام والاعتزاز به هى العناصر الطبيعية التى كونت شخصية (إقبال) فى بنائها .

الفصل الثانى

الأسرة فى سيالكوت

مدينة (سيالكوت) مدينة قديمة جدا وتقع فى الشمال الشرقى لإقليم (بنجاب) وكان قد بناها الأمير (شل) على ما حققه (الشيخ فوق) ، وقد مضى على بنائها خمسة آلاف سنة أو أكثر من الزمان ، وكان ذلك الأمير قد سماها بمدينة (شاكل) وقد جاء فى كتاب (مهابهارتا) للهنادكة أن (شاكل) مدينة تقع على ضفة نهر (ابكا) فى إقليم (مدرديش)، وهكذا كانت تعرف هذه المنطقة من إقليم (بنجاب) فى ذلك الوقت ، وكان نهر (سيالكوت) المعروف باسم (ايك) اليوم يسمى نهر (ابكا) فى ذلك الوقت وكان الأمير (شالباص) بنى حصنا بهذه المدينة فى عهد الملك (شندرا جبتا بكرما حيت) الذى قد مر على عهده ألفان من الأعوام تقريبا . والحصن يقال له فى اللغة البنجابية (كوت) ومن ثَمَّ عرف هذا الحصن بحصن (شالكوت) ثم تغير على ألسنة العامة فقيل (سيالكوت) والأمير (شالباص) هذا كان له ابن وكان يسمى (بوران) الذى قد ترك الدنيا وزهد فيها، وصار من زمرة الزهاد الهنادكة وعرف بلقب (بوران بحت أى العابد الناذر نفسه للدين) وتوجد له العديد من القصص والحكايات المعروفة المتداولة فى اللغة البنجابية . وتوجد الآن بئر فى قرية (كرول) فى شمال (سيالكوت) على بعد أربعة أميال يقال عنها إنها هى البئر التى كان هذا الأمير الزاهد قد ألقى فيها ، وكانت النساء الهندوكيات يقصدن هذه البئر فى غرة كل شهر ليلة الأحد ويستحممن اعتقادا منهن بأنهن سوف تنجبن أولادا ذكورا ببركة ماء تلك البئر .

وقد تعاقبت أدوار مختلفة من الحكم الإسلامى الأول على مدينة (سيالكوت) ؛ ففى عهد السلطان (فيروز تغلق) فى القرن الرابع عشر الميلادى (١٣٥١ - ١٣٨٨ م) عندما

عم الفساد والدمار والفوضى فى العاصمة (دلهى) . كانت مدينة (سيالكوت) فى ذلك الوقت يحكمها الأمير (سهن بال) وكان يعطى الجزية للسلطان المسلم ، فأراد أن يقاوم المسلمين وأراد أن يتحصن بالقلعة فأشار عليه بعض المنجمين والرمال الهندوكيين بأنه لو رشح دما لمسلم على الزوايا الأربع للقلعة وفى مبنى الجدران بها وقام ببنائها من جديد يكون من المستحيل لأعداء الأمير أن يتغلبوا عليه ويفتحوا قلعته ، فقبض رجال الأمير على شاب مسلم فذبحوه ذبحا أليما ذريعا واستخدموا دمه لذلك الغرض ، وخرجت أم الشاب العجوز من مدينة (سيالكوت) وهى تبكى وتولول وأخذت تندب ابنها فى كل قرية ومدينة، حتى لجأت إلى السيد الشريف الإمام (على الأحق بن السيد حسن الكلى) الذى كان يعيش معتزلا فى زاوية من زوايا جبال (كانجرة) وحكت له ما مر بها من فظائع الظلم من قبل الأمير (سهن بال) فوعد السيد الشريف تلك العجوز بأنه سيساعدها . وكان بالمصادفة الطيبة؛ إذ مر بتلك الناحية السلطان (فيروز تغلق) بعد عدة أيام فحكى حضرة الإمام حكاية العجوز المؤلمة وما واجهت من قسوة الأمير وظلمه، فأمر السلطان بإعداد جيش تحت قيادة الإمام حتى يعاقب ذلك الأمير القاسى الظالم وينقذ الخلق من استبداده واضطهاده .

فخرج الإمام الشريف مع أتباعه وجيشه متجها إلى (سيالكوت) متبعا فى ذلك سنة الإمام (الحسين) رضى الله عنه . فدارت المعركة بينه وبين ذلك الأمير ، وكان الأمير (سهن بال) قد اتخذ خطوات دفاعية كبيرة للقلعة حيث لم يكن من السهل الانتصار عليه ، وكان الإمام قد نزل بجيشه فى جنوب نهر (ايك) ، واستمرت معركة دامية ليومين إلا أن الجيش الإسلامى لم يتمكن من عبور نهر (ايك) ، وفى اليوم الثالث تمكن المسلمون من عبور النهر فتحصن الأمير (سهن بال) داخل القلعة التى استمر حصارها أياما عديدة، وفى النهاية انتصر المسلمون وفتحوا القلعة ولكن استشهد الكثيرون من كبار رجال المسلمين ، وكان الإمام نفسه قد أصيب بجروح شديدة عميقة جدا ، ولم يستطع أن ينجو منها؛ ولكن رغم هذا انتهى الحكم الهندوكى فى (سيالكوت) [١] .

ومن الجدير بالذكر أن الإمام وأتباعه الآخرين الذين استشهدوا قد دُفنوا فى المكان نفسه الذى استشهدوا فيه، وفى الملابس نفسها التى كانت عليهم ومن ثَمَّ توجد الضرائح للشهداء المسلمين فى الأماكن المتفرقة حول قلعة (سيالكوت)، وتوجد مئات من الضرائح حول ضريح الإمام العظيم . ويحضر عدد كبير من المسلمين على ضريح الامام كل ليلة خميس حتى اليوم ، كما أنهم يجتمعون كذلك على هذا الضريح بمناسبة العيدين وفى شهر المحرم .

وقد تقدمت مدينة (سيالكوت) وازدهرت خلال الحكم المغولى، ودخل معظم الهنادكة فى الدين الإسلامى بدعوة من المتصوفة المسلمين وحسن عملهم وأخلاقهم الكريمة الإسلامية ، وهكذا ظل عدد السكان المسلمين يزداد يوما فيوما ، وفى ١٨٠٧ الميلادية هجم جيش الأمير الكبير (رنجيت سنغ) على مدينة (سيالكوت) فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى فمعنى ذلك أن المدينة كانت تحت سيطرة السيخ وحكمهم فى ذلك الوقت وعندما نزل جد (إقبال) (الشيخ محمد رفيق) الذى كان يدعى (شيخ رفيقا) على ألسنة العامة وأخذ يشتغل بتجارة الملابس والدثارات الصوفية (الكشميرية) كان منزله فى حى (ختيكان) وأغلب الظن أن والد (إقبال) (الشيخ نور محمد) وأخوه الأصغر (الشيخ غلام محمد) كانا قد ولدا فى ذلك المنزل نفسه وتم زواجهما فيه .

وفى ١٨٦١ م اشترى (الشيخ محمد رفيق) منزله الموروث القديم الذى عرف فيما بعد بمنزل (إقبال) ونزل فيه أولاده ، وكان هذا المنزل ذا طابق واحد وكان يشتمل على غرفتين وردهة وفناء، وكانت نوافذ الغرفة الأخيرة تفتح على الزقاق، وأما باب المنزل فكان يفتح فى ناحية الحى الذى يسمى حى صناع الحلقات الزجاجية ، وقد ولد (إقبال) فى غرفة من هذه الغرفات الصغيرة، وكان (الشيخ نور محمد) قد اشترى منزلا مجاورا لذلك المنزل، وكان ذا طابقين مشتملا على غرفتين فوقهما غرفتان إلى جانب مطبخ وردهة . وذلك فى ١٨٩٢ الميلادية وبعد سنتين ونصف السنة فى ١٨٩٥م الميلادية اشترت أسرة (إقبال) دكانين يقع كل واحد منهما وراء المنزل بسوق الحلقات

الزجاجية التى تسمى سوق (إقبال) الآن ، وقد تم بناء المسجد الحالى على القطعات الأرضية الثلاثة المذكورة ، ثم اشترى (الشيخ عطا محمد) شقيق (إقبال) الأكبر دكانا آخر بجوار ذلك المنزل، ثم جعلوا من هذا البناء كله حرما واحدا ذا ثلاث طبقات، وعرف هذا الحرم وسمى فيما بعد بمنزل (إقبال) . وكان (الشيخ نور محمد) قد اشترى منزلا آخر على مقربة من حى صناع الحلقات الزجاجية وخصصه للمستأجرين، ثم إنه قسم ممتلكاته بين أولاده وهو حى، فأعطى المنزل الموروث لابنه الأكبر الشيخ عطا محمد وصار المنزل الصغير من نصيب (إقبال)، وظل هذا المنزل الصغير هبة لمؤلف هذا الكتاب أياما ثم باعه قبل أن يبدأ بناء منزله (بلاهور) الذى يسمى الآن (جاويد منزل) أى (بيت جاويد) .

ولقد كان (الشيخ نور محمد) جميلا وجيها جدا أحمر اللون واسع الجبين رفيع الأنف لامع العينين مع الشفتين الخفيفتين والوجه الممتلئ ، طويل القامة ولعله كان يربى اللحية منذ الشباب، وكان يلبس ملابس نظيفة جميلة؛ وعلى الرغم من أنه لم يدرس فى مدرسة أو كتاب فإنه كان يعرف القراءة ويستطيع أن يقرأ المطبوع من كتب اللغة الأردية والفارسية .

وكان رجلا ذا مبادئ قوية إلى جانب سعة الصدر والحلم، و كان يعفو عمَّن يعارضه أو يعاديه ويؤذيه بلا مبرر ، وكان إنسانا بسيطا صالحا مشفقا حليما يحب الصلح والسلم . وعلى ما صرح به (الشيخ فوق) فقد كان رغم مهنته التجارية ملمًّا بالكثير من أسرار الشريعة والطرق الصوفية وذلك بما كان يحضر فى حلقات المتصوفة والعلماء ويرافقهم كثيرا . وكان قائم الليل متهجدًا شغوفا بالعبادة ، وكان يكثر من تلاوة كتاب الله ويعتبره وسيلة النجاح والتقدم فى الدنيا والآخرة . وبذلك كان يوصى أولاده و يلح عليهم ، وكان يعرف التفكير والمراقبة، ويلم بغوامض التصوف ومن ثَمَّ كان يُعرف بفيلسوف غير مثقف بين معاصريه من كبار العلماء، وكان الناس يلجئون إليه لحل المشاكل العويصة فى معارف التصوف .

وكان (الشيخ نور محمد) يشارك أباه فى مهنة التجارة ويساعده فيها، ثم أضاف إلى هذه التجارة أشياء جديدة؛ فأخذ يصنع الطرابيش والقلانس، فهو أول من اشترى ماكينة الخياطة لهذا الغرض من أهل (سيالكوت) . وكان يعمل عنده عدد من تلاميذه وموظفيه ، وقد أقبل الناس على هذه الطرابيش والقلانس (إقبال)ا كبيرا فى ذلك الوقت حتى أنه عرف (بالشيخ نشو) صاحب القلانس والطرابيش . وقد أنفق معظم حياته فى اكتساب الرزق بكل ما كان يملك من الصلاح الموهوب، إلا أنه كان قد بدأ يميل شيئا فشيئا إلى التصوف؛ حيث تقدمت به السن حتى أن محله التجارى صار إلى أحد أصاهره فى شيخوخته ثم أغلق المحل التجارى هذا حين انفصل عنه صهره، وكان أهل أسرته وبلده يدعونه بـ(ميان جى) تكريما له (معناه سيدى المحترم) .

وكان (الشيخ نور محمد) قد تزوج من أسرة (كشمير)ية بمقربة من (سمبريال) بمحافظة (سيالكوت) وكان اسم زوجته ووالدة (إقبال) (امام بى)، ثم انتقل أصهار (الشيخ نور محمد) إلى (سيالكوت) بعد الزواج بقليل ، وكانت السيدة (امام بى) هذه تدعى (بى جى) أى الجدة المحترمة ولم تكن تعرف القراءة والكتابة ، إلا أنها كانت قد حفظت أدعية الصلاة كلها فكانت تواظب عليها . وعلى الرغم من أنها كانت غير متعلمة فإنها كانت سيدة ذكية تدرك المواقف وتدبر الشئون، وكانت تقوم بدور السفيرة بين بيوت الأسرة حين كانت تنشأ بينهم الخلافات والمخاصمات ، كما أن نساء الحى كن يكرمنها بحكم حسن معاملتها لهن جميعا . وكانت تشرف على الشئون المنزلية كلها بنفسها، وكانت السيدات الكثيرات يودعن نقودهن وحليّهن عندها فكانت تشدها فى أثواب متفرقة حمراء وتحتفظ بها عندها . وكانت تمتاز باعتنائها بالفقراء وإعانتهم؛ فكانت تعطى النساء الفقيرات من النقود من حيث لا يعرف بذلك أحد، حتى أن ابنها الأكبر (الشيخ عطا محمد) كان يمازحها ويُسمى هذه المساعدة منها (حبت دان أى العطية السخية) ، وكان كلما جاء فى إجازة يخصص مبلغا ملموسا لهذه العطية السخية ، ومن طرق المساعدة التى كانت تتبعها هذه السيدة أنها كانت تأخذ ثلاثا أو أربعة من الصبيات الفقيرات وتأتى بهن إلى منزلها فتعولهن وتعنى بشئونهن، فكانت هؤلاء الصبيات يتعلمن الشئون المنزلية ويتعلمن القرآن الكريم وأدعية الصلاة،

بالإضافة إلى التعليم الدينى والقراءة والكتابة وإعداد الطعام والخياطة منها ومن بناتها وزوجات أبنائها ، ثم إنها كانت تبحث لهن عن الأزواج وتقوم بجميع ما تكون الحاجة إليه فى حفلات الزواج وكانت تشرف عليهن وتعنى بشئونهن خلال إقامتهن لديها؛ كما تشرف الأم وتعنى ببناتها الحقيقيات تقوم بجميع تقاليد الزواج ونفقاته، وكانت هذه الفتيات يزرنها بعد زواجهن بين حين وآخر كما تزور البنات أمهاتهن بعد الزواج .

وقد حكى (الشيخ إعجاز أحمد) حكاية عن تضحيتها وإيثارها الآخرين على نفسها فقال : إن الأخ الأصغر لوالد (إقبال) (الشيخ غلام محمد) كان مئناثا ، وكانت زوجته تتمنى أن تنجب ولدا ، وكان الأخوان يعيشان فى بيت واحد، اتفق أن حملت زوجة كل واحد منهما فى وقت واحد فأنعم الله على السيدة (بى جى) بالولد إلا أن صاحبتها زوجة الأخ الأصغر وضعت ابنة فى هذه المرة أيضا فشعرت السيدة المحترمة بالألم والحرمان فى قلب صاحبتها فقالت لها : خذى أنت الابن وأنا آخذ البنت، وهكذا تم التبادل بينهما فأخذت السيدة المحترمة تربى البنت وأما صاحبتها فأخذت تعنى بالابن راضية مسرورة ، وذات يوم فى الصباح الباكر وكلتاهما مشغولة بالشئون المنزلية إذا بالسيدة المحترمة تسأل صاحبتها عن ابنها فترد عليها قائلة إنها أرضعته وهو الآن يتمتع بنوم مريح . إلا أن الأمد كان قد طال عليهما ولم يتفق الولد فذهبتا إليه فإذا بالولد قد مات وعلى شفتيه حليب مما دل على أنه مات مختنقا ، فإذا بالسيدة المحترمة ترد البنت إلى صاحبتها حتى تكون لها تسلية وتعويضا عما فات .

ويقول (الشيخ إعجاز أحمد) : إن اسم هذا الولد الذى مات لم يسجل فى سجل الميلاد للبلدية، وقد أخطأ الكثيرون من الباحثين فى الاعتقاد بأن ولدا (للشيخ نثو) كان قد ولد فى ١٨٧٣ م وسجل اسمه فى سجلات البلدية إلا أن هذا التسجيل لا صلة له (بإقبال) ولا بذلك الولد الذى مات وإنما كان ذلك ولدا لرجل آخر من الكشميريين كان يعرف باسم (نثو) الكشميرى من أهل حى الكشميريين [٢] . وقد توفيت السيدة (امام بى) فى ١٩١٤ م ودفنت فى مقبرة السيد الإمام حيث دفن بجانبها والد (إقبال) (الشيخ نور محمد) . وعدد أولاد (الشيخ نور محمد) سبعة ، أكبرهم (الشيخ عطا محمد) المولود فى ١٨٥٩ م حين كان والدهم قد بلغ ثلاثاً وعشرين سنة من عمره .

ثم رزق ببنتين إحداهما (فاطمة بى) والثانية (طالع بى) وكان قد رزق خلال ذلك بولد لم يعش إلا بضعة أشهر، وكان (ميان جى) قد بلغ أربعين سنة من عمره حين ولد له (إقبال) ثم رزق ببنتين إحداهما (كريم بى) والثانية (زينب بى) وكلما ازداد عدد أولاد (ميان جى) أخذ يوسع فى منزله الموروث طبقا لحوائجه .

وكان أخو (إقبال) (الشيخ عطا محمد) الذى كان أكبر منه سنا بثمانية عشر عاما كان قد أكمل التعليم الابتدائى فى مدينة (سيالكوت) وتزوج بامرأتين، وكانت زوجته الأولى من أسرة (كشميرية) من قبيلة (راثور) فطلقها ، وأما زوجته الثانية فكان اسمها (مهتاب بى) وكان أعضاء الأسرة جميعهم يكرمونها ويدعونها (بابى جى) (السيدة قرينة الأخ) تكريما لها . وكان أصهار (الشيخ عطا محمد) الأولون يعيشون على معاش عسكرى ، ومن ثم تم تجنيد (الشيخ عطا محمد) فى الجيش؛ لأنه كان طويل القامة قوى البنية وكان أصهاره على صلة بالجيش فأرسل فى بعثة عسكرية بعد مدة ليدرس فى مدرسة (تامسن) للهندسة بمدينة (رركى) فى (الهند) وعين فى قسم المهندسين فى الجيش بعد التخرج، وأنفق حياته فى هذه الوظيفة الحكومية . وهو الذى أعان (إقبالاً) فى الدراسات العليا وفى بعثته إلى (أوربا) ليدرس هناك . وكان (إقبال) يحب شقيقه هذا حبا شديدا . وكان يثنى عليه بالخير دائما ويكرمه حتى أنه لم يكن يتكلم بين يديه، وقد عاش شقيقه هذا طويلا بعد تقاعده من الجيش وتوفى فى ١٩٤٠ م بمدينة (سيالكوت) بعد أن بلغ واحدا وثمانين أو اثنين وثمانين عاما من عمره، فدفن فى مقبرة السيد الإمام على بعد بضع أقدام من قبرى أبويه .

ولقد كان الشعب المسلم الهندى يمر بأخطر مرحلة من مراحل تاريخه فى شبه القارة حين هاجر أجداد (إقبال) من (كشمير) واستوطنوا مدينة (سيالكوت) ، وفى ١٧٩٩ م انهزم السلطان (تيبو) فى (ميسور) أمام جيوش الإنجليز وكان ذلك إنذارا بالقضاء على آمال الشعب المسلم الهندى لاستعادة مجده وإحياء قوته السياسية والاجتماعية التى كانت قد أخذت تنحط وتزول . ولقد أثار فقهاء ذلك العصر بعض المسائل ليفكر فيها المسلمون ومنها ما قالوه عن (الهند) هل هى دار إسلام أو دار حرب ؟ وما الغرض من الهجرة والجهاد فى الفقه الإسلامى ؟ ومتى يجب على المسلمين

أن يهاجروا أو يخرجوا للجهاد فى سبيل الله ؟ وما معنى قوله تعالى فى كتابه المجيد (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**)؟ وهل يجب على المسلمين أن يكونوا على صلة بالخلافة أم لا ؟ وكيف يمكن لمسلمى الهند والبلاد الإسلامية الأخرى خارج الخلافة العثمانية أن يكونوا على صلة بها ؟ فهذه هى الأسئلة التى كانت ذات أهمية كبيرة جدا . وقد كان الكثيرون من الفقهاء المسلمين قد أفتوا بعد حرب (بلاسى) (١٧٥٢ م) بأن (الهند) لم تعد دار إسلام وإنما أصبحت دار حرب [٣] .

وفى ١٧٦٥ م كانت (شركة الهند الشرقية) قد وعدت الملك المغولى (شاه عالم) فى عاصمته (دلهى) بأنها سوف تساعده إذا نشأت الحرب بينه وبين (المراهتة) . وتعويضا لذلك كانت الشركة قد نالت مرسوما ملكيا بجباية المحاصيل فى إقليم (بنجال) و(بهار) و(اريسه) ؛ فقد كانت الشركة تجبى محاصيل هذه الأقاليم بالنيابة عن الملك إلا أن الملك لم يكن له نصيب من هذه المحاصيل كلها . وكان مقر الشركة الرئيسى فى مدينة (كلكتة) ، وقد كانت إدارة الأقاليم الشرقية الهندية تنفلت من يدى الملك وأخذت تتحرر من سيطرته، وبدأ الإنجليز يحتلونها ولم يعد للملك سلطة غير صولة ظاهرة .

وفى ١٨٣٥م غيرت الشركة عملة (الهند) وانتهت اللغة الفارسية بوصفها لغة رسمية للبلاد فى ١٨٣٧م . وفى النهاية أتيح للشركة أن تخلع الملك المغولى بعد ما حدث فى ١٨٥٧م من الاضطرابات ونفى الملك إلى (رنكون) فى (بورما) . أما أولاده الأمراء فكان الإنجليز قد قتلوهم رميا بالرصاصات عند ضريح الملك (همايون) ، وهكذا تم القضاء الحاسم النهائى على من كان من الممكن أن يدعى العرش المغولى وصارت (الهند) تحت السيطرة للتاج البريطانى . وعلى الرغم من أن الملكة (فكتوريا) كانت قد أعلنت فى ١٨٥٨م أن المواطنين الهنود سوف يتمتعون بحقوق متساوية فإن المسلمين كانوا قد حملوا مسئولية الخروج على الحكم البريطانى وصودرت أموالهم وإقطاعهم وأراضيهم وممتلكاتهم ، وطبق النظام التعليمى الجديد الذى لم يعد يهتم بالعربية والفارسية والعلوم الإسلامية ، وفى ١٨٦٤م ألغيت مناصب القضاء الإسلامى وطبقت القوانين الإنجليزية مكان الفقه الإسلامى ، كما أن المسلمين جميعا حرموا من الوظائف الحكومية وأغلقت أبواب الرزق أمامهم [٤] .

على كل حال فإنه من الخطأ أن يقال بأن مسلمى شبه القارة كانوا قد رضوا بتغيير مركزهم السياسى دون أية معارضة أو احتجاج أو اعتراض أو شكوى ؛ لأن خدمات السيد (أحمد البريلوى) (١٧٨٦ إلى ١٨٣١م) وأصحابه وأتباعه من أمثال (الشاه محمد إسماعيل) (ابن الشاه عبد الغنى ابن الشاه ولى الله الدهلوى وابن أخ الشاه عبد العزيز الدهلوى) و(الشيخ عبد الحى) خدمات جبارة وبعيدة الآثار والنتائج؛ فقد كانت حركته هذه إنما هى رد فعل لانحطاط المسلمين الدينى والخلقى والسياسى والاقتصادى ، وكانت هذه الحركة الإصلاحية إنما هى دعوة لتنظيف الإسلام من شوائب الشرك والبدعة، والعودة إلى منابع الإسلام الأصلية العريقة الطاهرة ، وكان هؤلاء المصلحون قد قاموا بإيقاظ الأمة الإسلامية ودعوتها إلى التوحيد والرسالة والقرآن الكريم والسنة النبوية والمبادئ الدينية إلى جانب اجتناب الشرك والبدعة بأنواعها، وأما الجانب البارز لهذه الحركة الدينية فهو جانب سياسى ؛ وذلك لأن (الهند) فى ذلك الوقت كانت قد أصبحت دار الحرب ، ومن ثَمَّ كان الجهاد قد أصبح واجبا دينيا على المسلمين لاستعادة سلطتهم السياسية .

وقد قام حضرة (السيد البريلوى) بزيارات تبليغية فى كثير من المدن والقرى؛ حيث ألح على المسلمين أن يلبوا دعوة الحركة الإصلاحية وأن ينظموا نفوسهم للجهاد الإسلامى، فكأن خطب (السيد البريلوى) قد أثارت نار الغضب فى نفوس المسلمين جميعا، وكانت مدينة (بتنة) هى المقر الرئيسى للحركة . وكانوا قد جمعوا الأموال والوسائل اللازمة المتوفرة وأخذ آلاف مؤلفة من المسلمين المجاهدين ينضمون إلى الحركة التى كانت قد قامت من أجل النهضة الإسلامية ، مما جعل المسلمين المجاهدين يخاطرون بالنفس والنفيس ويقدمون كل نوع من التضحية . وقد سافر (السيد البريلوى) لزيارة الحرمين وحج بيت الله مع أتباعه فى سنة ١٨٢٢م وكان قد وصل من (دلهى) إلى (كلكتة) من طريق (بتنة) ، وقد تحركت قافلتهم هذه من (كلكتة) قاصدة بلاد العرب بالسفن البحرية، ثم عادوا إلى (الهند) من طريق (بومباى) ومن هناك بدءوا جولاتهم التبليغية فى المناطق الشمالية فى شبه القارة مرة أخرى ، ولما كان (الشيخ) قد احتلوا مناطق الأغلبية المسلمة فى (بنجاب) و(سرحد) و(كشمير) أعلن حضرة

السيد وأتباعه جهادهم ضد (الشيخ) ، وقدم إليهم المسلمون مساعدات مالية سخية في (سورت) و(حيدر آباد الدكن) و(كلكتة) و(دكاء) و(بتنة) و(لكنو) و(دلهى) وغيرها من المدن ، كما أن الكثيرين من المجاهدين في هذه المدن وما جاورها من المناطق الريفية كانوا قد انضموا فوجا بعد فوج إلى منظمة السيد العسكرية ، ثم اتجه السيد إلى إقليم (سند) حيث وقع اتفاقية بينه وبين حكام (السند) على الجهاد ضد (السيخ) ووصل إلى إقليم (سرحد) في ١٨٢٤م . فانضم إليه الأفغان والقبائل المختلفة البتانية . وجعلوا إقليم (سرحد) مقرا رئيسيا لجهادهم؛ وذلك لأن أغلبية سكان هذه المنطقة هم المسلمون كما أن المناطق المجاورة لها كانت بلاداً إسلامية، وفي أثناء ذلك كانت أفواج المجاهدين قد بدأت تصل إلى إقليم (سرحد) وقد كانت هذه الأفواج من المجاهدين الغزاة تشتمل على المسلمين من شرق (بنجال) وبلاد (الدكن) النائية .

وقد أعلن حضرة السيد جهاده ضد (السيخ) في ٢١ من ديسمبر سنة ١٨٢٦م، استمر الجهاد الإسلامي تحت قيادته وانتصر في معارك كثيرة ضد (السيخ) في جبهة (بشاور) واحتلها المجاهدون ، إلا أن بعض الأفغان تآمروا مع (السيخ) ضد المجاهدين فخسروا مدينة بشاور بعد احتلالها ، وفي ١٨٣١ م كان حضرة السيد وصاحبه الشاه محمد إسماعيل وأتباعهما قد استشهدوا في جهادهم ضد السيخ بمكان يعرف (ببالاكوت) [٥] .

وبينما كان المجاهدون يقاتلون تحت قيادة السيد ضد (السيخ) في مناطق (سرحد) كان أحد زملائهم وهو (مير نثار على) قد قام بتنظيم الفلاحين المسلمين في شرق (بنجال) ضد الإقطاعيين الهنادكة وثار على ظلمهم واستبدادهم وكان (الشيخ شريعة الله) قد نظم حركة إصلاحية دينية في (بنجال) الشرقية منذ ١٨٠٤ م وكان هو الآخر قد أعلن أن بلاد الهند قد أصبحت دار حرب وعلى المسلمين أن يخرجوا مجاهدين في سبيل الله ، وكان ابنه (دودوميان) قد استمر يتقدم بهذه الحركة في (بهادر فور) ، وكان (مير نثار على) قد قابل حضرة السيد خلال موسم الحج فمال إلى حركته الدينية وموقفه الإصلاحي . فبدأ بعد عودته من الحرمين ينشر أفكار السيد ومواقفه في (بنجال الشرقية) مدنها وقراها الريفية ونظم منظمة عسكرية للفلاحين

المسلمين فأعلن الجهاد ضد الإقطاعيين الهنادكة فى ١٨٣١ م . إلا أن الهنادكة كانوا قد استنجدوا بالجيش الإنجليزى الموجود فى مدينة (كلكتة) فقاتل (مير نثار على) وصاحبه (غلام معصوم) وأتباعه الفلاحون المسلمون تحت قيادته الجيش الإنجليزى وأبلوا بلاء حسنا إلا أنهم انهزموا فى المعركة واستشهد (مير نثار على) فى هذه المعركة وأما صاحبه (غلام معصوم) فكان الإنجليز قد أعدموه شنقا فى كلكتة [٦] .

وقد استمر أتباع حضرة السيد بعد استشهاده يجاهدون ضد (السيخ) فى (سرحد) وكان المجاهدون قد اجتمعوا فى موضع اسمه (ستاتة) واختاروا (الشيخ نصير الدين) قائدا لهم ، وبعد قليل من الوقت لحق بهم (الشيخ عنايت على) أخو (الشيخ ولايت على) بالمزيد من الإمدادات العسكرية من إقليم (بهار) ، كما أن حكام (السند) و(طونك) المسلمين كانوا قد قدموا إليهم إمدادات عسكرية أيضا فقاد (الشيخ عنايت على) عددا من المعارك ضد الجيوش السيخية فطردوهم من مناطق (بالاكوت)و(ما نسهره) و(مظفر آباد) ولم يستطع (السيخ) أن يقاوموا المجاهدين بعد موت الأمير (رنجيت سنغ) فى ١٨٣٩م؛ لأنهم كانو قد انشغلوا بالمؤامرات الداخلية ومن ثم استطاع المسلمون هزيمتهم سنة ١٨٤٦م وكان المجاهدون لما يعلنوا الجهاد ضد الإنجليز إلا أنهم ساعدوا ملك أفغانستان وقدموا إليه إمدادات عسكرية ضد الهجوم الإنجليزى على (أفغانستان) [٧] .

وكان الإنجليز قد احتلوا معظم مناطق شبه القارة حتى سنة ١٨٢٣م إلا أن المناطق فى الشمال الغربى (بنجاب وسرحد و(كشمير) وسند وبلوشستان) لم تزل خارجة عن سيطرتهم . واحتلوا (السند) فى ١٨٤٣ م وضموها إلى إقليم (بومباى) وبعد هزيمة (السيخ) فى ١٨٤٦ م احتل الإنجليز معظم مناطق (بنجاب) وأرسلوا رسالة إلى (الشيخ عنايت على) و(الشيخ ولايت على) نصحوهما فيها بالعودة إلى إقليم (بهار)؛ حيث كان أهلها يعيشون فى مدينة (بتنة) . وحين وصلا إلى (بتنة) فرض عليهما الإنجليز حظر الخروج من حدود المدينة لمدة أربع سنوات .

وكذلك فإن نهاية المملكة السيخية تحمل عبرا وعظات كثيرة ، إن النظام الذى كان قد أقامه الأمير الأكبر (رنجيت) سنغ لايستحق أن يسمى هيكلا حكوميا، وإنما يجوز أن نسمى هذا النظام تغلبا عسكريا مؤقتا، وقد استمر هذا التغلب إلى نهاية صاحبه . أما بعد وفاته فإن الذين خلفوه في الحكم كانوا قد ضيعوا كل ما جمعه، ونقضوا كل ما نسجه خلال بضعة أعوام . وقد مات الأمير الكبير (رنجيت سنغ) فى ١٨٣٩م وخلفه على عرشه ابنه الأكبر (كراك سنغ) ، وكان مدمنا الأفيون وكان قد تعود تعاطيه مرتين فى يوم واحد فيبقى سكران فاقد العقل طول اليوم . ومن الظاهر البديهى أن رجلا من أمثاله لا يستطيع أن يحتل منصب حاكم طويلا ؛ ففى تلك السنة نفسها كان رئيس وزرائه (ديان سنغ) و (تشيت سنغ) قد أخذا يتنافسان ويتخاصمان ويتطلعان إلى الحكم، وكانت النتيجة هى القضاء على (تشيت سنغ) وجميع أعضاء أسرته قضاء نهائيا . وتولى أمر الحكم (نونهال سنغ) ابن (كراك سنغ) المذكور بعد أن عزله عن الحكم .

وكان (نونهال سنغ) هذا قد حبس والده فى دار بمدينة (لاهور) فمات (كراك سنغ) هناك فى ١٨٤٠ م . وفى اليوم نفسه الذى مات فيه (كراك سنغ) كان ابنه (نونهال سنغ) قد مات تحت جدار سقط عليه بسبب مؤامرة دبرها البعض من المنافسين (السيخ) ، وفى أثناء ذلك حاولت أمه الأميرة (تساندكور) أن تقتل (شير سنغ) الابن الثانى للأمير الكبير (رنجيت سنغ) وأخا زوجها . إلا أنها لاقت حتفها وهى تستريح فى الظهيرة فى مضجعها؛ إذ ضربتها بعض وصيفاتها بلبنة على رأسها.

وتولى العرش (شير سنغ) الابن الثانى للأمير (رنجيت سنغ) بعد موت أخيه (نونهال سنغ) وكان (شير سنغ) هذا مدمنا الخمر ويقضى يومه سكران فأطلق عليه النار وقتله (أحيت سنغ) (ساند هيان) والٍ من أنصار الأميرة (تشاندكور) وهو يستعرض كتيبة عسكرية وذلك فى ١٥ سبتمبر ١٨٤٣م .

وفى اللحظة نفسها حين تم حادث القتل هذا كان عمه (لهنا سنغ) قد قتل (برتاب سنغ بن شير سنغ) الذى لم يتجاوز السنة الثانية عشرة من عمره فجعل منه

قطعًا صغيرة بالسيف فى حديقة مجاورة ، وفى اليوم نفسه تم إعدام كل من (دهيان سنغ) و (سجيت سنغ) قتلا .

و خلف (شير سنغ) الابن الأصغر للأمير الكبير (رنجيت سنغ) واسمه (دليب-سنغ) ولما يبلغ الحلم وعين (هيرا سنغ بن دهيان سنغ) رئيسا للوزراء إلا أن (هيرا سنغ) كان يعادى عمه (سجيت سنغ) ومن ثم كان هيرا سنغ قد قتل فى ٢١ من ديسمبر ١٨٤٤م على مقربة من قرية (شاهدرة) . وفى ١٨٤٦م انهزم السيخ أمام الجيوش الإنجليزية وتمت السيطرة البريطانية على إقليم (بنجاب) فقسموا الدولة السيخية إلى ثلاثة أقسام فأعطوا حكومة (لاهور) وما جاورها (للسيخ) ، أما (كشمير) فباعوها رخيصة للأمير (حارب سنغ دوجرة) تقديرا لخدماته ، وأما القسم الثالث وهو باقٍ من إقليم (بنجاب) فصار إلى السيطرة البريطانية وكان لابد للأمير السيخى (دليب سنغ) أن يدفع غرامة؛ وذلك تعويضا عن الأضرار الحربية للإنجليز ، وكان حكمه مقصورا على مدينة (لاهور) وعين (لال سنغ) رئيسا للوزراء، وكان الإنجليز قد عينوا المستر (لورانس) مندوبا ساميا لهم فى (لاهور) .

وفى مايو ١٨٤٨م وفبراير ١٨٤٩م اصطدم (السيخ) بالإنجليز مرة أخرى فى (ججرات) فلاقوا هزيمة نكراء، وكانت النتيجة هى الاحتلال البريطانى الكامل لمدينة (لاهور) ، وهكذا تمت السيطرة الإنجليزية الكاملة على إقليم (بنجاب) ونفى (دليب سنغ) من إقليم (بنجاب) فعاش مدة فى (الهند) على معاش كان الإنجليز يمنحونه إياه، ثم ذهبوا به إلى إنجلترا فى ١٨٥٤م حيث ترك الديانة السيخية وتنصر واختار اسما جديدا لنفسه وهو (فكتور دليب سنغ) وتوفى فى (باريس) سنة ١٨٩٣م (٨) وأما ابنته الأميرة (باميا) التى كانت تعرف (إقبالاً) وتقدره أحسن تقدير فقد كانت تعيش فى منزل من منازل مدينة (مادل تاون) فى (لاهور) ولعلها ماتت بعد إنشاء (باكستان) .

وكان الشيخان (عنايت على) و(ولايت على) يفتيان بأن (الهند) البريطانية ما تزال دار حرب ومن ثَمَّ كان من واجب المسلمين أن يهاجروا من (الهند) أو يخرجوا

مجاهدين في سبيل الله لتحريرها من الاستعمار الإنجليزى . ومن ثَمَّ خرجوا من (بتنة) بعد أن قضوا بها أربع سنوات مع جميع أعضاء أسرهم ووصلوا إلى (ستانة) حيث توفى بها (الشيخ ولايت على) بعد أيام ، وفى ١٨٥٢م هاجم المجاهدون مع أفراد قبيلة (حسن زائى) إمارة (امب) وكان أميرها حليفا للإنجليز .

ولم يزل الإنجليز يرسلون فوجا بعد فوج من جيشهم للقضاء على المجاهدين فبعثوا ستة عشر فوجا من ١٨٥٠م إلى ١٨٥٧م وفشل كل فوج من هذه الأفواج ، وخلال الثورة الهندية فى سنة ١٨٥٧م خرج الشعب الهندى على الاستعمار البريطانى فى كل مكان وكاد أن ينقضى الحكم البريطانى فى الهند، فانتهز المجاهدون هذه الفرصة فى مناطق (سرحد) فقاتلوا الإنجليز فى كل من (شيخ جانان) و (سليم خان) و (تشنج لى) و (بنجتار) و (منجلتانة) و (ستانة) وفى النهاية انتصر الجيش الإنجليزى على معسكر (ستانة) فى ١٨٥٨م ودمروا المدينة ، وكان الشيخ (عنايت على) قد توفى قبل هذا الحادث باثنى عشر يوما فى مدينة (ستانة) فساد الصمت والسكون جميع مناطق (سرحد) واستمر لمدة سنتين ، وفى خلال هذه المدة كان المجاهدون قد أنشئوا جبهة أخرى فى (ملكا) ومن هناك هاجموا الجيش البريطانى فى ١٨٦١م وأخذوا يتقدمون شيئا فشيئا حتى استعادوا معسكرهم (ستانة) فى ١٨٦٣م فبعث الإنجليز جيشا كبيرا فبدأت سلسلة جديدة من الحروب وفى النهاية انتصر الإنجليز على معسكر (ملكا) ودمروه ، إلا أن الحرب بدأت من جديد بعد خمس سنوات فبعثت مهمة عسكرية لمقاومة المجاهدين فى هذه المنطقة فى سنة ١٨٦٨م إلا أن هذه الحرب لم تصل إلى نتيجة مرضية ، أما المجاهدون الذين كان الانجليز قد قبضوا عليهم فى سرحد فقد حوكموا هم وأنصارهم فى (الهند) فى سنة ١٨٦٤م و ١٨٦٦ وصدر حكم الإعدام ضد البعض منهم، كما أن معظمهم نفوا إلى جزيرة (انديمان) فى حبس مؤبد هناك وكان ذلك يسمى (عقوبة الماء الأسود) حتى أن جميع مكاتب الحركة الإصلاحية ومنظمة الجهاد كانت قد أغلقت إغلاقا نهائيا فى (الهند) فى ١٨٧٠م (٩) .

وفى هذه الفترة من تاريخ شبه القارة كان الإنجليز يعتبرون أن المسلمين عامة والمجاهدين خاصة هم أعدى أعدائهم فى شبه القارة، وهذا ما جعل (اللورد إيلن برو)

يكتب في ١٨٤٣ م : إنه لا يمكن الإغضاء من حقيقة أن المسلمين هم أعدى أعدائنا فى شبه القارة وعلى هذا من الأنسب أن نتصادق مع الأغلبية الهندوكية ونقربهم منا وتكون الوظائف المحلية الحكومية حكرا عليهم (١٠) .

وكان الإنجليز يعتقدون اعتقادا جازما أن الجنود الثوار الذين ثاروا ضدهم فى ١٨٥٧ م كانوا على صلة بالمجاهدين ، وكان مما يدل على هذه التهمة فى رأيهم أن (الشيخ ولايت على) عندما هاجر من (بتنة) قبل هذه الثورة الهندية ببضع سنوات وذهب إلى ستانة قد أعلن الجهاد ضد الإنجليز فى مدينة (دلهى) وذلك بعد الموافقة من ملكها المغولى ، وكان السير (جيمس أوترام) يرى أن هذه الثورة التى قامت ضد الإنجليز كان المسلمون هم الذين قد ابتدروها؛ وذلك لأن الواعظين المسلمين أخذوا يعلنون الجهاد ضد الإنجليز فى شبه القارة كلها قبل هذه الثورة بسنوات عديدة؛ فقد جاء فيما كتبه هذا الإنجليزى أن المجاهدين كانوا قد توجوا الملك المغولى قبل ثورة ١٨٥٧ م وأعلنوا له الوفاء والطاعة، واشتركوا فى العديد من الحروب ضد الإنجليز قبل تدمير معسكرهم فى (ستانة) بل استمرت هذه الحروب حتى بعد تدميرها .

وكان الجيش الإنجليزى قد لاقى خسائر فاضحة فى هذه المعارك ، ويرى (أوتران) أن القضايا ضد المجاهدين التى رفعت فى المحاكم سنة ١٨٦٤ م و١٨٦٦م اتضح منها أن المسلمين كانوا قد دبروا المؤامرات لطرد الإنجليز من (الهند) ، كما أنه كان يرى أن وجود المسلمين فى شبه القارة خطر عظيم على دعم الحكم البريطانى فيها لأنهم لم يرضوا بالتغيير السياسى الحكومى فى (الهند) كما رضى به الهنادكة، ومن ثَمَّ لا فائدة فى ولاء المسلمين أو صداقتهم أو الثقة فيهم بل يجب أن يحذر الإنجليز منهم .

أما ثورة ١٨٥٧ م فأصلها عصيان الجيش البنجالى وخروجه على الإنجليز ، وكان السبب الفورى فى ذلك هو الرصاصات المغطاة بشحم الخنزير إلا أن هذه الثورة أو العصيان لم يكن قاصراً على الجيش وإنما شمل السكان غير العسكريين ، ونشأ فى نفوسهم اضطراب وقلق على نطاق واسع جدا ، ومن ثم قام الشعب بالثورة

على عاتق المسلمين حتى أنهم كانوا قد أصبحوا هدفا للانتقام الإنكليزى فى سنة ١٨٥٨ م حين احتل الجيش الإنجليزى عاصمة (دلهى) وما جاروها من المدن . فقام الجنود و(السيخ) بعملية التعذيب والاضطهاد ضد المسلمين الأبرياء فى المدينة ، فمنهم من قتل بالمدافع ومنهم من سلخ جلده ومنهم من نصب فى جسده المسامير ومنهم من شدت كتفاه ورجلاه فكوى بالفلوس الساخنة من النحاس، ومنهم من جرح وجهه فحرق فى النار الخفيفة البطيئة؛ وغير ذلك من أنواع التعذيب والاضطهاد ، كما أن المسلمين كانوا هم الهدف للنهب والغارة الفظيعة التى ارتكبها الجيش فى مدينة (دلهى) . وأما منازل المسلمين ودورهم التى كانت قد صودرت فقد احتلها الهنادكة وامتلكوها، وأصبح المسجد الجامع ثكنة لجنود (السيخ) كما أن مسجد(زينة المساجد) قد أصبح مسكنا للجنود البيض ، وأما مسجد (نواب حامد علي خان) وهو أكبر المساجد الشيعية فكان قد أصبح اصطبلا للحمير والبغال . وكانت المشانق قد نصبت فى كل مكان بمدينة (دلهى) حيث صلب عليها مئات من المسلمين [١٢] .

وقد جاء فى مذكرة المستر (رسبل) أن الإنجليز كانوا يضعون المسلم فى جلد الخنزير ويخيطونه قبل أن يعدموه شنقا ، أو كانوا يمسحون أجسام المسلمين بشحم الخنزير ويحرقونهم بعد الموت [١٣] وعلى ما ذكره المستر (تراوليان) فيما كتبه عن الثورة أن الإنجليز عندما احتلوا مدينة دلهى كانوا يقبضون على كل من ينسب إلى الغزاة أى اتباع حضرة السيد أحمد البريلوى بعد موته شنقا بدون أية تهمة أو محاكمة ، فهو يقول إن القضاة الإنجليز كانوا إذا وجدوا شيئا يشبه الغزاة فى وجهه أو ملابسه أو رأوا علامة السجود فى جبهته أو كان ذا لحية أصدروا أمرا فوريا بإعدامه شنقا [١٤] .

ويصرح (كمال الدين حيدر) بأن من أُعدم شنقا من المسلمين بلغ عددهم سبعة وعشرين ألفا، واستمر القتل والنهب والغارة سبعة أيام حتى أنهم قتلوا الأطفال الصغار الأبرياء، وأما تصرفهم مع النساء فلا تسأل عن ذلك فإن النفس ترتعد من ذكر الفظائع التى ارتكبت ضد النساء المسلمات [١٥] .

ويذكر (ألطاف حسين حالى) أن السبب الأصلى وراء العصيان يرجع إلى الهنادكة؛ فهم الذين كانوا قد اعترضوا على الرصاصات الشحمية إلا أن التهمة في ذلك كانت قد وجهت إلى المسلمين [١٦] . وقد أيد الهنادكة هذه التهمة الموجهة إلى المسلمين وشهدوا عليها ، وفوق ذلك كله فإن الصحافة الهندوكية كانت تحذر الإنجليز من المسلمين وتلح عليهم أن يبعدوا المسلمين عن المناصب الحكومية؛ لأنهم يميلون إلى جماعة مسلمة من العصاة أى أتباع حضرة السيد (أحمد البريلوى) [١٧] .

أما بغض المسلمين ونفورهم من الحكومة الإنجليزية وتبرؤهم منها فكان يرجع إلى أسباب كثيرة؛ فكان المسلمون يعتقدون - وهم على الحق فى ذلك - أنهم كانوا ولاة شبه القارة وحكامها قبل الاحتلال البريطانى ، ومن البديهى أنه لم يكن من السهل أن يقنعوا بهذا التغيير الحكومى والسياسى ، وعلى ذلك فإن خطوات المكر والكيد التى اتخذها الإنجليز لدعم حكمهم فى البلاد كلها كانت ضربة للمسلمين ومصالحهم ، وعلى سبيل المثال فإن الإنجليز عندما تولوا أمر الإدارة والتنفيذ فى (بنغال) و(بهار) و(اريسة) وغيرها من الأقاليم عزلوا الموظفين المسلمين الإداريين وعينوا مكانهم الموظفين الجدد ، وكذلك عندما غيروا عملة (الهند) انتهت عملة المسلمين فى (الهند) . وعندما ألغيت اللغة الفارسية بوصفها لغة رسمية للبلاد لم يخسر بذلك إلا المسلمون الذين كانوا يعرفونها ويجيدونها فحرموا من العمل واكتساب الرزق . وفى ١٨٥٢م كونت (لجنة أنعام) طلبت الوثائق التى تؤيد خمسة وثلاثين إقطاعا ثم صادرت عشرين إقطاعا منها وكلها كانت ملكا للمسلمين ، ومصادرة هذه الإقطاعات سببت اضطرابا وقلقا شديدا فى إقليم (اود) (الذى تم انضمامه فى ١٨٥٦م) وكذلك فإن الفلاحين المسلمين كانوا مضطربين قلقين من التصرفات الإنجليزية الماكرة ؛ وذلك لأنهم كانوا قد طبقوا القوانين التى جعلت الهنادكة المرابين يستغلون بها الفلاحين الفقراء المسلمين [١٨] .

ويقول السير (سيد) : أن إحصاءات ١٨٧٢م تدل على أن خمسين فى المائة من القضايا لوصول الديون والقروض فى الإقليم الأعلى التى رفعت إلى المحاكم كانت ضد المسلمين ، وفى هذه السنة نفسها كان الهنادكة قد تملكوا أراضى المسلمين وعقاراتهم وممتلكاتهم التى بلغ ثمنها حوالى مليون ونصف المليون تقريبا من الجنيه الإسترلينى ، إما رهنا أو بيعا فى إقليم (بنجاب) [١٩] .

وأما الملك المخلوع فى ١٨٥٧م فقد كان مسلما [١٩] ، وأما الذين حملوا مسئولية العصيان العسكرى فكانوا هم المسلمون ، وأما من أغلق دونه أبواب الرزق والمناصب الحكومية فلم يكن غير المسلمين ، ولم يعد شيء من المكانة للغة العربية والفارسية والمعارف الإسلامية الأخرى فى النظام التعليمى الجديد ، وكانت الجمعية الآسيوية قد قصرت جهودها على البحث والتحقيق باللغة السنسكريتية فقط . أما دراسة الحضارة الإسلامية فكانت ممنوعة منعًا باتًا ، وكانت الحكومة البريطانية تشرف على المدارس التى كانت تملكها الإرساليات المسيحية والتي كانت تهتم بدعاية المسيحية وانتشارها، وكان المبشرون المسيحيون ينشرون ديانتهم بين عامة الناس بمساعدة الشرطة يلقون الخطب ويجادلون ويسبون زعماء الديانات الأخرى ويحطون من قدرهم ويطعنون فيهم مما كان يثير عواطف العامة . وكان الأطفال اليتامى المسلمون ينشئون فى المآتم الحكومية فينصرهم المبشرون المسيحيون ، كما أن الموظفين الإنجليز كانوا يُكرهون من كان يعمل معهم على اعتناق المسيحية، وفى ١٨٦٤ م ألغى القضاء الإسلامى فسبب اضطرابًا شديدًا بين المسلمين، وكان القضاة المسلمون يقومون بمهمة الإمامة فى المساجد بالإضافة إلى واجبهم القضائى كما أن عقد النكاح والإشراف على الأوقاف كان من اختصاصهم، وبعد عزلهم عن مناصبهم تأخر المسلمون عن أداء الصلوات فى المساجد ولم تتحذر الحكومة الإنجليزية من خيانتها فى الوقف الإسلامى؛ فقد كان (صندوق محسن) فى (بنجال) و(صندوق اعتماد الدولة) فى (بنجاب) و قفا على المعاهد التعليمية للمسلمين ، إلا أن هذه المعاهد التعليمية كانت مقصورة على تعليم الهنادكة أما قبول المسلمين فيها فكان ممنوعا منعًا باتًا [٢٠] .

فهذه الظروف المعادية والأوضاع الراهنة التى كان قد تأثر بها كل أسرة مسلمة فى البلاد. والسؤال الآن: كيف تأثر أجداد (إقبال) بهذه الظروف والأوضاع ؟ إن مدينة (سيالكوت) مدينة صغيرة وكان (إقبال) ينتمى إلى أسرة متوسطة الحال كانت تشتغل بمهنة التجارة، وكانت هذه الأسرة تمتاز بشرف وتحمس للدين . وليس من الصحيح الاعتقاد بأن مدينة (سيالكوت) كانت قد سلمت من هذه الهزة العنيفة التى كانت قد هزت (الهند) كلها بجميع جوانبها ، والتى كانت قد شملت إقليم (بنجاب)

أيضا ، ومن الممكن أن يكون دعاة الحركة الإصلاحية ومنظمة الجهاد للشيخ (السيد أحمد) وأتباعه قد وصلوا إلى هذه المدينة أيضا، وأن تكون أصداء مسموعة لتعاليم السيد فى مدينة (سيالكوت) ، إلا أنه لم يكن من السهل لجد (إقبال)(الشيخ محمد رفيق) الذى كان قد هاجر من (كشمير) إلى (سيالكوت) للبحث عن موارد الرزق أن يهاجر من هذه المدينة ويتجه إلى مدينة أخرى فى (الهند) وأن يأتى إلى (سرحد) من طريق (السند) فيقاتل ضد (السيخ) أو الإنجليز.

ويصرح (سيد نذير نيازى) بأن (إقبالاً) كان قد حكى له يوما أن جده (الشيخ محمد رفيق) كان قد قاتل مع الشيخ ضد الإنجليز فى (كجرات) [٢١] إلا أنه لم يفصل القول تفصيلا فى ذلك ، وكان الصدام الأخير بين الجيش السيخى والإنجليز قد قام فى مايو ١٨٤٨م وفبراير ١٨٤٩م حيث انهزم السيخ فى (كجرات) . على كل حال فإنه لم يسمع بذلك أحد عن جد (إقبال) قبل ذلك فلا يذكر (الشيخ فوق) فى أى كتاب أو تأليف فى الموضوع فإذا كان (إقبال) قد حكى ذلك وكان (سيد نيازى) لم يخطئ فى فهم كلامه فذلك مما لا يترك مجالا للشك أو المزيد من البحث والتحقيق . ولو بقى المقال فمن الذى يمكن الرجوع إليه الآن فى هذه الباب ؟

وأما والد (إقبال) (الشيخ نور محمد) فإنه كان قد أدرك عصر الظلم والاضطهاد للإنجليز، ذلك العهد البغيض الذى كان قد ملأ نفوس المسلمين بالنفور والبغضاء ضد الحكم الإنجليزى ، وحسب تصريح (الشيخ فوق) كان الجنود قد أعلنوا ثورتهم ضد الإنجليز فى ٩ من يوليو عام ١٨٥٧م فى مدينة (سيالكوت) وأعدم الإنجليز ضابطين شنقا فى (سيالكوت) ، كما أنهم قد أعدموا ١٣٩ جنديا بالمدافع وذلك بعد احتلالهم العاصمة (دلهى) ، وكان معظم هؤلاء المعدمين من المسلمين ، وفرض الإنجليز غرامة جماعية على سكان (سيالكوت) وقدرها خمسون ألف روبية [٢٢] . وقد كان (الشيخ نور محمد) بطبيعته إنسانا حليما مسالما يفضل الصلح والأمن، ولم يكن من همه غير الاهتمام بمهنته التجارية أو الحضور فى حلقات العلماء والمتصوفة المعاصرين؛ حيث كان يقضى جل أوقاته فى ذكر الله ، ولعله كان قد أدرك كما أدرك الآخرون من العلماء .

المعاصرين أن الحكم الإسلامى فى شبه القارة قد انتهى الآن وأنه لا يرجى النجاح أو الفائدة من الجهاد ضد الإنجليز؛ وذلك لأنه لم يكن من الممكن أن يقاوموا ثروة الإنجليز وغناهم إلى جانب السلاح والفنون الحربية الحديثة بالوسائل المحدودة والفنون الحربية القديمة . كما أن هجرة المسلمين جميعهم من بلاد (الهند) إلى أية دولة إسلامية أخرى كان أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا لهم .

أما الزمن الماضى فكان قد مضى وأما المستقبل فلم يكن قد انتهى ، ومن ثَمَّ كانت حياة المسلمين فى ذلك العصر حياة القلق والكربه والاضطراب . وكان المسلمون قد بدءوا يعتقدون أن نهاية اللغة الفارسية والعربية والمعارف الدينية فى المعاهد التعليمية، وجدال المبشرين المسيحيين حول الإسلام وهجومهم على الشخصية المقدسة لرسول الإسلام ﷺ خطوات تعبر عن القضاء الحاسم النهائى على المسلمين وآثارهم فى البلاد كما تعبر عن نوايا الإنجليز الخبيثة .

ومن ثَمَّ رأى المسلمون لسلامة الفرد والمجتمع أن يعلموا أولادهم المعارف الدينية قبل أن يلتحقوا بالمدارس الإنجليزية لكى يكون الأطفال المسلمون على قدم راسخة من الإيمان بالإسلام؛ حتى لا يتأثروا بالتعليم غير الإسلامى فيما بعد ، وهذا ما جعل العلماء المسلمين ينشئون الكتاتيب والمدارس فى المساجد والمنازل ليمكنوا الجيل الناشئ من المسلمين من تعلم المعارف الدينية فى كل قرية ومدينة بمساجدها وكتاتيبها .

وقد أنشئت أربعة كتاتيب فى مدينة (سيالكوت) فى ذلك الوقت أما كُتَّاب (الشيخ غلام مرتضى) و(الشيخ أبى عبد الله غلام حسن) و(الشيخ مزمل) فكانت تهتم باللغة العربية وتعليم المعارف الدينية ، وأما مدرسة العلوم التى كان قد أنشأها (الشيخ سيد مير حسن) فكانت تهتم باللغتين العربية والفارسية وآدابهما [٢٣] . وأما (الشيخ نور محمد) فكان يهتم بتدريس المعارف الدينية لأولاده فى المنزل والكتاتيب قبل أن يرسلهم للقبول فى المدارس الإنجليزية . ولأسلاف المسلمين الذين عاشوا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى منة عظيمة على أجيالهم المستقبلة؛ حيث إن اهتمامهم هذا بالمعارف الدينية كان قد جعل الأجيال القادمة تتعصب لدينها وعقيدتها وتؤثرهما على

كل ما تملكه من النفوس والنفيس، وهذا مما أثار العاطفة القومية الإسلامية فى شبه القارة كلها . على كل حال فإن شقيق (الشيخ نور محمد) الأصغر (الشيخ غلام محمد) وابنه الأكبر (الشيخ عطا محمد) كانا قد وظفا فى المناصب الحكومية حين كان موقف الإنجليز نحو المسلمين قد أخذ يتغير شيئا فشيئا؛ وذلك بسبب الجهود الجبارة التى بذلها السير (سيد أحمد خان) .

الفصل الثالث

عن تاريخ المولد

وأما مولد (إقبال) فما يزال موضع النقاش والخلافات بين العلماء منذ مدة ، وقد وردت آثار وأقوال عديدة حول السنة التى ولد فيها (إقبال)، وأما المقالات والكتب عن (إقبال) التى ألفت وهو حى فإنها تتضمن آراء تختلف فى مولده؛ فمنها أن مولده سنة ١٨٧٠م أو ١٨٧٢م أو ١٨٧٥م أو ١٨٧٦م أو ١٨٧٧م ، وأما المؤلفون لهذه الكتب والمقالات فقد كان البعض منهم من أصحاب (إقبال) وأصدقائه إلا أن معظمهم لم يكونوا يعرفون (إقبالاً) معرفة قريبة والواقع أن (إقبالاً) لم يكن يهتم بترجمته أو وقائع حياته ومما يدل على ذلك ما قاله (إقبال) فى سنة ١٨٢٢م وهو يرد على رسالة (الشيخ فوق) الذى كان قد سأله عن ترجمته ووقائع حياته [١] :

«أما ترجمتى ووقائع حياتى فلست أرى أن فيها شيئا جديرا بالذكر»

وخلال إقامته فى (أوربا) سنة ١٩٠٧م حين قدم (إقبال) أطروحته للحصول على الدكتوراه باللغة الإنجليزية من جامعة (ميونخ) فى (ألمانيا) وكان عنوانها (تطور فلسفة ما بعد الطبيعيات فى إيران) كان المطلوب منه حسب لائحة الجامعة أن يقدم ترجمته الموجزة مع الأطروحة بخط يده . وقد جاء فيما كتب فى هذه الترجمة الموجزة ما نصه [٢] :

(مولدى ثلاثة ذى القعدة ١٢٩٤هـ (الموافق لسنة ١٨٧٦م) بمدينة (سيالكوت) (بنجاب) (الهند) .

وهذه العبارة التى كتبها (إقبال) بخط يده توضح أنه كتب تاريخ مولده طبقا للتقويم الهجرى ثم أضاف بين القوسين التقويم الميلادى حسب تقديره أو تخمينه

إلا أنه لم يستطع أن يوفق بين التقويمين توفيقا صحيحا، ثم إنه أراد أن يسافر إلى (إنجلترا) فى ١٩٣١م وذلك للمشاركة فى مؤتمر المائدة المستديرة ، وقدم الوثائق اللازمة للحصول على جواز السفر وهنا أيضا كتب تاريخ مولده ١٨٧٦ م بخط يده [٣] وأما جواز سفر (إقبال) الذى حصل عليه فى ١٩٠٥م من أجل رحلته التعليمية إلى (أوربا) فلا يوجد الآن وقد يمكن أن يكون (إقبال) قد كتب تاريخ مولده ١٨٧٦م فى هذه الوثائق أيضا .

وأما (لاله سرى رام) صاحب كتاب (خم خانه جاويد) أى (الحانوت الخالد) وفى المجلد الأول منه الذى طُبع فى ١٩٠٨م فإن مولد (إقبال) فى هذا الكتاب هو ١٨٧٠م وكان (إقبال) فى (إنجلترا) حين نشر هذا الكتاب وقد يمكن أن (لاله سرى رام) هذا كان قد حصل على المعلومات عن (إقبال) أو حياته من بعض أقاربه أو ممن كانوا يعرفون (إقبالاً) جيدا؛ وذلك لأن هذا المؤلف يذكر فى مقدمة كتابه بعض الرجال من أمثال (الشيخ عبد القادر) و (بانديت كيفى) والأمير (السير ذو الفقار على خان) الذين كانوا من أصدقاء اقبال وخاصته . فمن الممكن أن هؤلاء الأصدقاء كانوا قد أخبروا المؤلف على وجه التقدير والظن بأن مولد (إقبال) هو ١٨٧٠م وأما السير (سيد رأس مسعود) صاحب كتاب (انتخاب زرين) أو (المختارات الذهبية) فيذكر فى كتابه الذى طُبع فى ١٩٢١م أن تاريخ مولد (إقبال) هو شهر أغسطس ١٨٧٠م، الموافق ١٢٨٧هـ . ويذكر (مطامى بدايونى) فى الجزء الأول من كتابه (قاموس المشاهير) الذى طُبع فى ١٩٢٤م أن سنة ١٨٧٠م هى مولد (إقبال) . وكذلك (جلال الدين أحمد جعفرى) فى كتابه (قند اردو) الذى طبع فى ١٩٢٤م (إقبال) كان قد ولد فى ١٨٧٠م وهؤلاء المؤلفون جميعا لم يكونوا من أصدقاء (إقبال) أو ممن يتصل به بأية صلة غير السير (سيد رأس مسعود) وقد يمكن أيضا أن صلات (إقبال) مع (السيد رأس مسعود) لم تكن قوية فى ذلك الوقت أيضا كما تدعمت هذه العلاقات فيما بعد . إذا فمن الممكن أن نقول على وجه التقدير والقياس بأن هؤلاء المؤلفين جميعا كانوا قد أخذوا المعلومات عن مولد (إقبال) من كتاب (خم خانه جاويد) الذى طُبع فى ١٩٠٨م .

وأما الدكتور (خليفة عبد الحكيم) و(عبد القادر سروري) فإنهما ذكرا فيما كتبا من المقالات عن (إقبال) أنه كان قد ولد في ١٨٧٢م، وهذه المقالات كانت قد نشرت في مجموعة اسمها (آثار (إقبال) وقد أعدها السيد (غلام دستگير رشيد) ونشرت هذه المجموعة من (حيدر آباد الدكن) .

ومن أصدقاء (إقبال)(الشيخ فوق) الذي كان قد أعد مقالا عن حياة (إقبال) وعنوانه (حالات (إقبال) ونشر في (كشميري ماجازين) أي (المجلة الكشميرية) الصادرة من (لاهور) في ١٩٠٩م [٤] . وفي هذا المقال جاء أن مولد (إقبال) سنة ١٨٧٥م، ثم أعد الأمير (السير ذو الفقار على خان) كتيبا باللغة الإنجليزية عن (إقبال) وعنوانه (صوت من الشرق) وطبع في ١٩٢٢م . وجاء فيه أن (إقبال) كان قد ولد في ١٨٧٦ تقريبا . وأما (الشيخ أحمد دين المحامي) فإنه ألف كتابا عن (إقبال) وسماه) (إقبال) الطبعة الأولى ١٩٢٤م والطبعة الثانية ١٩٢٦م) وذكر في كتابه هذا أن مولده ١٨٧٥م [٥] . ثم إن (الشيخ فوق) ذكر في الطبعة الثانية من كتابه (مشاهير كشمير) أن سنة ١٩٧٥م هي مولد (إقبال) إلا أن (الشيخ فوق) هذا ذكر ولأول مرة أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٦م وذلك في مقال له أعده خاصة لمجلة (نيرنك خيال) أي (بدائع الخيال) في عددها الخاص عن (إقبال) . وكذلك في الجزء الثاني من كتاب (تاريخ أقوام كشمير) قال (الشيخ فوق) : إن مولد (إقبال) هو ١٨٧٦م وليس ١٨٧٥م والجدير بالذكر بهذه المناسبة أن (الشيخ فوق) والأمير (السير ذو الفقار على خان) و(الشيخ أحمد دين) كانوا على صلة وثيقة طيبة (بإقبال) . ويرى الشيخ إعجاز أحمد أن (الشيخ فوق) قد يمكن أن يكون قد صحح تاريخ المولد على إشارة من (إقبال) نفسه [٦] إلا أن الدكتور (وحيد قريشي) يرد على هذا الرأي قائلا : إن (إقبالاً) إذا لم يكن قد ساعد (الشيخ فوق) من ١٩٢٢م إلى ١٩٣٠م فأنى له أن يساعده فيما بعد عن ترجمته وتاريخ مولده ؟ ويرى الدكتور أن (الشيخ فوق) إما قد أخذ مما كتبه الأمير (السير ذو الفقار على خان) أو اعتمد على مقالة كتبها (ملك راج انند) وقد أخذه هو الآخر من كتاب الأمير (السير ذو الفقار على خان) والدكتور يعتقد أنه من الممكن أن يكون (إقبال) رأى صوابا قاله (السير ذو الفقار على خان) و(الشيخ أحمد دين المحامي) [٧] .

ويبدو من رسالة (إقبال) التى بعث بها إلى (الشيخ فوق) والتى كتبها فى ١٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٢م أنها كانت قد كتبت فى شيء من التواضع والتكلف، وأغلب الظن أن (الشيخ فوق) كان قد طلب من (إقبال) أن يكتب له ترجمته إلا أن (إقبالاً) أعرض عن ذلك تواضعا منه وأضاف قائلا [٨] :

(أما عن سكنى فإننى أعيش حياة الشرقيين ولك أن تشرفنى بقدومك متى شئت) .

ومن الممكن أيضا أن (الشيخ فوق) كان قد حاول خلال لقاءاته فيما بعد أن يقنع (إقبالاً) بأهمية الموضوع فأخبره (إقبال) عن تاريخ مولده والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : ما المرجع غير (إقبال) الذى أخذ عنه الأمير (السير ذو الفقار على خان) معلوماته هذه ؟ والظاهر أن (إقبال) هو الذى كان قد أخبره بذلك قائلا : أن مولدى هو ١٨٧٦م تقريبا فكتب كما أخبره (إقبال) إلا أن ما ذكره هو من تاريخ المولد بقوله (تقريبا) جعله (الشيخ فوق) و(ملك راج انند) تاريخ المولد الأكيد ، وكذلك فإن (إقبالاً) أيضا كان قد كتب تاريخ مولده ١٨٧٦م فى جواز السفر الذى استخرجه سنة ١٩٣١م . ونظرا إلى هذه الخلفية لا يصح القول بأن ما كتبه الأمير السير ذو الفقار على خان و(الشيخ أحمد دين) كان قد أقره (إقبال) أو أعجبه ذلك .

وقد ذكر (محمد عبد الرازق عليج) فى مقدمته لكليات (إقبال) (أى مجموعة دواوينه الشعرية) المطبوعة فى ١٩٢٢م أن ١٨٧٥م هو مولد (إقبال) .

وقد ألف (رام بابو سكسينه) كتابا باللغة الإنجليزية عن تاريخ الأدب الأردى طبع فى ١٩٢٩م وقد جاء فيه : مولد (إقبال) ١٨٧٥م . وكذلك فى كتاب (ياد إقبال) أى (ذكرى إقبال) لصاحبه (تشودرى غلام سرور فكّار) وفيه مقال كتبه (محمد حسنين) عن حياة إقبال وذكر فيه أن مولد إقبال هو ١٨٧٥م وفى كتاب (جديد شاعرى) أى (الشعر الأردوى الجديد) لصاحبه (عبد القادر سرورى) أن مولد (إقبال) هو ١٩٧٥ وكذلك فى كتاب (سرماية أردو) أى (ثروة اللغة الأردوية) (لصاحبه حافظ محمود شيرانى أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٥م ومن الممكن أيضا أن هؤلاء المؤلفين جميعهم كانوا قد اعتمدوا على المجلة الكشميرية (كشميرى ماجازين) أو (مشاهير كشمير) فى موضوع تاريخ مولد (إقبال) .

وقد ألف المستشرق الألمانى (هلماس فان جلاس نيب) كتابا عن الأدب الهندى الذى طبع فى ١٩٢٩م، وذكر فيه أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٦م، وكذلك فإن (ملك راج اننـد) كان قد أعد مقالا عن (إقبال) باللغة الإنجليزية ونشر فى مجلة الأكاديمية الملكية والذى ترجم إلى اللغة الأردوية فى ١٩٣٢م ونشر فى مجلة (نيرنك خيال) فى عددها الخاص عن (إقبال) وذكر فيه أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٦م وألف (شيخ أكبر على) كتابا عن (إقبال) باللغة الإنجليزية (إقبال) وشعره ورسالته) والذى طبع فى ١٩٣٢م، قد جاء فيه أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٦م، وقد جاء فيما يلى من المؤلفات أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٦م :

١ - (مختصر تاريخ أردو) (أى موجز تاريخ الأدب الأردوى) للسيد (إعجاز حسين) المطبوع فى ١٩٣٤م .

٢ - (تذكرة شعراء بنجاب) أى (تراجم شعراء بنجاب) لصاحبه (محمد نسيم رضوانى) المطبوع فى ١٩٣٧م .

٣ - (مجلة أنجمن ترقى أردو) فى عددها الخاص عن (إقبال) المطبوع فى ١٩٣٨م .

٤ - كتاب (إقبال كامل) للشيخ (عبد السلام الندوى) المطبوع فى ١٩٤٨م .

٥ - (كلستان هزار رنك) أى (الحديقة ذات ألف لون) لصاحبه (سيد بهاء الدين أحمد) .

٦ - (مرآة الشعراء) الجزء الأول للشيخ (محمد يحيى تنها) .

ويمكن القياس بأن هذه المؤلفات كلها كانت قد اعتمدت فيما ذكرت عن مولد (إقبال) إما على ما جاء فى كتيب الأمير (السير نو الفقار على خان) أو على ما جاء فى المقالتين (للشيخ فوق) و(ملك راج اننـد) فى مجلة (نيرنك خيال) فى عددها الخاص عن (إقبال) .

وقد جاء فيما يلى من الكتب أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٧م :

١ - (دائرة المعارف الهندية) التى دونها (ب . د تشندرا) باللغة الانجليزية والمطبوعة فى ١٩٢٨ م .

٢ - و (أعلام الهند) للمستر (طامس بيتر) باللغة الإنجليزية المطبوع في ١٩٣٦م .

ويبدو أن المستشرق الألماني (جات فيلد سائمن) كان قد اعتمد على هذه المؤلفات في كتابه عن الإسلام المطبوع في ١٩٣٧ م حيث ذكر أن مولد (إقبال) سنة ١٨٧٧ م .

والتفاصيل التي مرت بنا فيما ذكرناه عن مولد (إقبال) تدل على أن تاريخ المولد الذي كان قد اشتهر و (إقبال) حي، وقد يمكن أنه كان قد أيده أيضا إنما هو سنة ١٨٧٦م ، ولم يذكر أحد من هؤلاء أن مولد (إقبال) هو١٨٧٣م . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما المصدر للمعلومات التي تقول بأن مولد (إقبال) هو ١٨٧٠ أو ١٨٧٢ أو ١٨٧٥ أو١٨٧٧م ويمكن الرد على هذا السؤال بأن هذه الأقوال والآراء كلها إنما هي ظن وتخمين وتقدير بغير برهان، ويرجع ذلك كله إلى إعراض (إقبال) وعدم التعاون منه في هذا الموضوع .

وفي اليوم الثاني من وفاة (إقبال) أي في ٢٢ / أبريل ١٩٣٨م نشرت تعليقة في الجريدة اليومية الإنجليزية (سول ايند ملتر جازيت) أي (الجريدة المدنية والعسكرية) وقد جاء فيها : مولد (إقبال) سنة ١٨٧٧م ، ثم بعد بضعة أيام نشرت مقالة موجزة عن حياة (إقبال) في جريدة (انقلاب) اليومية وكانت قد أعدت على ما حكاه الشيخ عطا محمد من المعلومات عن حياة اقبال وقد جاء في هذه المقالة على ما صرح به الشيخ عطا محمد على وجه الظن والتخمين أن مولد (إقبال) كان في شهر ديسمبر ١٨٧٦م ثم نشرت تعليقة أخرى بعد عدة أيام في جريدة (انقلاب) اليومية هذه في عددها الصادر في ٧ مايو ١٩٣٨م تحت عنوان (تاريخ مولد العلامة (إقبال)) وقد جاء فيها ما نصه :

> **(وقد جاء في بعض الأعداد الماضية لجريدة (انقلاب) اليومية ترجمة العلامة (إقبال) الموجزة على ما صرح به شقيقه الأكبر (الشيخ عطا محمد) على وجه الظن والتخمين منه بأنه كان قد ولد في شهر ديسمبر ١٨٧٦م إلا أنه تحقق الآن بأن حضرة العلامة كان قد ولد في ٢٢ فبراير ١٨٧٣م في ٢٣/٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٨٩ حسب التقويم الإسلامي أي الهجري . ويبدو**

من ذلك أن حضرة العلامة كان قد عاش ٦٥ سنة وشهرين حسب التقويم الشمسى و ٦٧ سنة وشهرين حسب التقويم القمرى)

إلا أن هذه التعليقة لا تصرح بمصدرها ومرجعها، إلا أنه من الممكن أن جريدة (انقلاب) اليومية كانت قد أخذت هذه المعلومات عن سجل المواليد والوفيات لمدينة (سيالكوت) لسنة ١٨٧٣م، وقالت : إن مولد (إقبال) هو ٢٢ فبراير ١٨٧٣م، ثم إن عبد المجيد سالك كان قد اعتمد على هذا المرجع فى كتابه (ذكر إقبال) أى (ذكرى اقبال) الذى طبع فى ١٩٥٥م . وقد كتب بهامش كتابه هذا ما نصه : [٩].

"حسب التصديق من قبل المحافظ لمحافظة (سيالكوت) على أساس سجل المواليد والوفيات) .

والظاهر أن محافظ (سيالكوت) فى ١٨٥٤م أو ١٨٥٥م لم يكن من الممكن له أن يصادق على تاريخ مولد (إقبال) بأنه ٢٢ فبراير ١٨٧٣م وإنما كان هذا المحافظ قد صادق على ما جاء فى سجل المواليد والوفيات ؛ حيث جاء فيه أن ولدا كان قد ولد لشخص كان يعرف باسم (نثو الكشميرى) فى حى الكشميريين فى ٢٢ فبراير ١٨٧٣م .

فلو أن مكتب جريدة (انقلاب) كان قد استفسر شقيق (إقبال) الأكبر (الشيخ عطا محمد) عن هذا الخلاف الذى وقع بين ما قدره هو على وجه الظن والتخمين وبين ما جاء فى سجل المواليد والوفيات عن تاريخ مولد (إقبال) ، ولو أنهم اتصلوا ببعض أخوات (إقبال) واستفسروهن عن ما جاء فى هذا السجل عن مولد (إقبال) لكان من الممكن إصلاح سوء الفهم هذا الذى وقع، إلا أنهم افترضوا أن ما جاء فى سجل المواليد والوفيات إنما هو مولد (إقبال) ولم يحاولوا البحث الذى كان بإمكانه أن يوصلهم إلى الصواب . والجدير بالذكر أن عميد كلية (مرى) فى (سيالكوت) التى كان (إقبال) قد التحق بها عندما قرأ عميدها ما جاء فى جريدة (انقلاب) عن مولد (إقبال) ظنه تاريخ مولده الصحيح فأضاف فى سجلات الكلية أن جريدة (انقلاب) قد اتصلت بأسرة (إقبال) وعثرت فى سجلاتها على تاريخ مولد (إقبال) ولكن أسرة (إقبال) لم تكن تملك شيئا من السجلات أو الملفات عن تاريخ مولد (إقبال) بأنه كان قد ولد فى

٢٢ فبراير ١٨٧٣م وكذلك يجب أن نعرف بهذه المناسبة أن سجلات كلية (مرى) تقول أن (إقبالاً) كان قد التحق بالكلية في ٥ مايو ١٨٩٣م إلا أنها لا تصرح عن مولده بشيء وإنما جاء فيها أنه كان قد بلغ السنة الثامنة عشرة من عمره حينذاك إذا كان صحيحا إن (إقبالاً) كان قد بلغ السنة الثامنة عشرة من عمره حينذاك في ١٨٩٣ م فإن مولده حينذاك إنما هو ١٨٧٥ م وليس ١٨٧٣ م .

على كل حال فقد كانت النتيجة لهذا كله أن بعض من ألف عن ترجمة (إقبال) وحياته ظن أن هذا هو التاريخ الصحيح لمولد (إقبال)، وكذلك فإن مصلحة الحفريات والآثار قد علقت اللافتات على المساكن والمنازل التى كان (إقبال) قد نزل بها فى (سيالكوت) و(لاهور) وتاريخ المولد الذى ورد فى هذه اللافتات كلها هو ١٨٧٣م، حتى أن مصلحة حكومة (باكستان) للبريد كانت قد أصدرت طابعا بريديا خاصا فى سنة ١٩٥٨م بمناسبة ذكرى (إقبال) العشرينية، وذكرت فيه تاريخ مولده ١٨٧٣م .

وأما المراجع التى عولت على ما جاء فى جريدة (انقلاب) وكتاب (ذكر إقبال) عن مولد (إقبال) فإنها كلها تنص على أنه ولد فى ٢٢ فبراير ١٨٧٣م ومن بين هذه المؤلفات :

١ - (حياة إقبال) لصاحبه (تشرا غ حسن حسرت) الذى طبع سنة ١٩٣٨م فى (لاهور) .

٢ - (إقبال) (لمحمد حسين خان) المطبوع فى ١٩٣٩م .

٣ - (شاعر مشرف) لـ (عبد الله أنور بك) باللغة الإنجليزية ، المطبوع فى ١٩٣٩م .

٤ - (سيرة إقبال) لـ (محمد طاهر فاروقى) طبعات ١٩٣٩ و ١٩٤٤ و ١٩٤٩

٥ - (إقبال) لصاحبه (سجيده ننده سنها) بالإنجليزية المطبوع فى (اله آباد) ١٩٤٧م .

٦ - (حياة إقبال) (لإقبال سنع) بالإنجليزية طبع فى ١٩٥١م .

٧ - (تذكرة شعراء متغزلين) لـ (محمد إسماعيل بانى بتى) طبع فى ١٩٥٦م .

٨ -) (إقبال فنه وفكره) لـ (سيد عبد الواحد معينى) بالإنجليزية طبع فى ١٩٥٩ م .

٩ - (كليات إقبال) طبع فى مطبعة نظامى بدايون .

١٠ - (كليات إقبال) طبع فى مكتبة نسيم لكنؤ .

١١ - (يادكار إقبال) لـ (سيد محمد طفيل بدر الأمروهوى) .

١٢ - (دائرة المعارف الأردية) طبع فى فيروز سنز .

١٣ - (تاريخ أدب أردو) لـ (محمد صديق) بالإنجليزية (*) .

١٤ - (شعر إقبال) (لسيد عابد على عابد) .

١٥ - (حياة إقبال) لـ (عنايت الله) .

ويجب أن نذكر بهذه المناسبة أن ضريح (إقبال) كان قد اكتمل بناؤه فى ١٩٥٠ تقريبا وكانت حكومة (أفغانستان) قد أعدت لافتة الضريح وغلافه فبعثت بهما، وقد نحت مولد (إقبال) فى لافتة الضريح الحجرية سنة ١٢٩٢هـ وذلك مما لا يوافق أى تاريخ من تواريخ المولد المتداولة أو المفترضة ، وكذلك فإن ملفات (لجنة ضريح (إقبال) ووثائقها لا تنص على شىء عن تاريخ المولد الذى جاء فى هذه اللافتة ولا تصرح بالمصدر الذى أبلغ هذا التاريخ إلى سلطات (كابول) ، ويمكن أن يقال إن سلطات (كابول) كانت قد نحتت هذا التاريخ الهجرى حسب تقديرها وتخمينها رغم أنها لم تكن لديها شواهد تؤكد لها شيئًا فى ذلك .

وأما مولد (إقبال) الذى اكتشفته جريدة (انقلاب) فإنه لا يعترف به أحد من (الإقباليين) الذين اشتغلوا بحياة (إقبال) وشعره وفنه ، وإنما اكتفى جميعهم بتاريخ مولده الذى تيسر لهم ، أما ١٨٧٦م أو ١٨٧٧م فنرى (وليام كينات ويل سميس) يذكر فى كتابه عن (الإسلام المعاصر فى الهند) طبعة ١٩٤٦ بالإنجليزية أن مولد

(*) لعله محمد صادق . (المترجم)

(إقبال) هو ١٨٧٦م، وأما المستشرق الألمانى (فلوك) فيذكر فى كتابه عن (إقبال) الذى نشر فى ألمانيا سنة ١٩٥٤م أن مولد إقبال هو ١٨٧٧م كما أن المستشرق السوفيتى (كوبى كووا) يذكر فى كتابه (نودو بيسكن لتريشرر) طبعة ١٩٥٢م أن مولد إقبال هو ١٨٧٧م .

وأما أول من شك فيما اكتشفته جريدة (انقلاب) عن مولد (إقبال) على ما صرح به (سيد عبد الواحد معينى) فهو (تى سى رائى) أستاذ اللغة الأردية فى (بان) ألمانيا . فقد كتب (رائى) هذا رسالة إلى الملحق الثقافى بسفارة (باكستان) فى (جادس برك) قال فيها إنه قد التبس عليه تاريخ مولد (إقبال)؛ لأن المؤلفين والكتاب يختلفو ن فى تاريخ مولده وسنته ، ومن ثم يجب البحث الشامل فى هذه القضية حتى يمكن الوصول إلى مولد صحيح إلا أنه لم يستطع أى واحد فى (باكستان) أن ينهض بما يجب فى هذا المجال [١٠] .

وفى ١٩٥٨م أعد الأستاذ (جان ميرك) فى جامعة براج (تشيكوسلافاكيا) مقالا حقق فيه تاريخ مولد (إقبال) ونشره فى مجلة (أرتشو أورانتيلى) الصادرة من (براج) وكان لديه ما كتبه (إقبال) بخط يده عن ترجمته معا أطروحته للدكتوراه قدمها فى جامعة ميونيخ (ألمانيا) . ما كتبه (إقبال) عن ترجمته قد جعل الأستاذ (جان ميرك) يستنتج أن مولد (إقبال) الصحيح إنما هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م [١١] .

وقد ألفت المستشرقة الألمانية (اين . ميرى . شمل) كتابا عن فكر (إقبال) باللغة الإنجليزية وسمته (جناح جبريل) وذكرت فى كتابها هذا ما قاله الأستاذ (جان ميرك) عن الخلافات التى تو جد فى مولد (إقبال) الصحيح وقالت إن ٢٢ فبراير ١٨٧٣م يعد مولد (إقبال) إلا أن (إقبالاً) قد كتب بخط يده ترجمته مع أطروحته وصرح بأن مولده هو ٣ ذى القعدة ١٢٩٤ هجرية الموافق لسنة ١٨٧٦م. وكانت سنة ١٢٩٤ هجرية قد بدأت فى يناير ١٨٧٧ م ومن ثم ٩ نوفمبر ١٨٧٧ يوافق ما كتبه (إقبال) من السنة الهجرية ، ومما يدل على صحة هذا التاريخ أنه يطابق جميع المراحل التعليمية التى مر بها (إقبال) فى حياته أى مراحل الامتحانات فى الكلية فى الجامعة فى حين لا يوافق هذه المراحل التعليمية ما جاء عن مولده فى ١٨٧٣م، وعليه فإن مولد (إقبال) هو ٩ نوفمبر١٨٧٧م [١٢] وفى هذه السنة نفسها ظهرت الطبعة الثانية من كتاب (روزجار

فقير) (لفقير سيد وحيد الدين وقد سرد (الشيخ إعجاز أحمد) فى مقال طويل من الشواهد والبراهين التى تؤيد أن مولد (إقبال) الصحيح هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧ م .

وأما المؤلفات والمقالات عن (إقبال) التى ظهرت بعد ذلك فإن جميعها أقرّت تاريخ المولد هذا واختارته ؛ فعلى سبيل المثال تبع هذا الرأى (سيد عبد الواحد معينى) فى كتابه بالإنجليزية عن (إقبال) وفنه وفكره الذى طبع فى ١٩٦٤م وصرح فى كتابه هذا بأن مولد (إقبال) إنما هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م رغم أنه كان فى كتابه هذا الذى طبع فى ١٩٥٩م قد صرح بأن مولده ٢٢ فبراير ١٨٧٣م وكذلك مجلة (نقوش) فى عددها الخاص عن تراجم الرجال بأقلامهم كانت قد صرحت بأن مولد (إقبال) ٩ نوفمبر هـ ١٨٧٧م . وذلك فى ١٩٦٤م، على الرغم من أن هذه المجلة نفسها كانت قد ذكرت فى أعدادها الخاصة عن الغزل والرسائل والفكاهة وعددها عن (لاهور) مولد (إقبال) هو ١٨٧٥م أو ١٨٧٦م. وأما كتاب (رام بابو سكسينه) عن تاريخ الأدب الأردى باللغة الإنجليزية الذى ترجمه (السيد العسكرى) إلى الأردية وظهرت طبعته الثانية فى ١٩٦٥م فقدم له (مرتضى حسين فاضل) وصرح بأن مولد (إقبال) ليس ١٨٧٥م وإنما هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م وكذلك فإن (محمد طاهر فاروقى) كان قد رجع عن قوله فى مولد (إقبال) فى سنة ١٩٦٦م وصرح بأن مولد (إقبال) الصحيح إنما هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م رغم أن طبعات كتابه فى ١٩٣٩م ١٩٤٤ و ١٩٤٩م تصرح بأن مولد (إقبال) هو ٢٢ فبراير ١٨٧٣م .

وكانت حكومة (باكستان) قد أصدرت طابعا بريديا خاصا بمناسبة ذكرى إقبال فى ١٩٦٧م ، وهذه الطوابع البريدية تحمل ١٨٧٣م بوصفه مولد (إقبال)، ولما كانت حكومة (باكستان) قد أصدرت أيضا طوابع بريدية فى ١٩٥٨م تحمل ١٨٧٣م كمولد (لإقبال) ومن ثم نبهت إلى هذا التعارض بعض الجرائد الباكستانية فى تعليقاتها ، مما جعل حكومة (باكستان) تصدر تصريحا رسميا فى ٢٧ أبريل ١٩٦٧ جاء فيه أن سنة ١٨٧٧م بوصفها مولد (إقبال) قد أيدتها أكاديمية (إقبال) وحلقة (إقبال) (بكراتشى) كما أن العقيد (وحيد الدين) كان قد ذكر فى كتابه (إقبال باتصوير) (أى كتاب (إقبال) المصور) أن مولده هى هذه السنة نفسها، بالإضافة إلى ما جاء فى بحث

أعده الأستاذ (جان ميرك) بجامعة (تشيكو سلافاكيا) إلا أن الكتب التى ورد ذكرها فى جريدة من بين هذه الجرائد لا تنص على تاريخ مولد (إقبال) الصحيح [١٤] .

ثم نشر المجلد الثانى عشر من دائرة المعارف البريطانية حيث جاء ٩ نوفمبر١٨٧٧ م بوصفه تاريخ مولد (إقبال) ، كما أنه نشر مقال للشاعر (حفيظ هوشيابورى) فى عدد من أعداد جريدة (جنك) أى (الحرب) عن هذا الموضوع فى سنة ١٩٦٩م، حيث حقق الكاتب على أساس الدلائل والشواهد مرة أخرى أن تاريخ مولد (إقبال) الصحيح إنما هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م وفى هذه السنة نفسها ظهر كتاب (نقش إقبال) (السيد عبد الواحد معينى) وقد تناول المؤلف تاريخ مولد (إقبال) فى الباب الأول منه، وفصل القول فيه وحقق أن (إقبالاً) كان قد ولد فى ٩ نوفمبر ١٨٧٧م .

ولعل هذه الخلافات حول تاريخ مولد (إقبال) كانت قد جعلت إدارة جمعية (إقبال) (لاهور) (وهى مؤسسة حكومية) تكون لجنة خاصة تحت رئاسة القاضى (أس أى رحمان) (رئيس القضاء الباكستانى سابقا) ، فى سنة ١٩٦٩م لتقوم بمهمة البحث فى مولد (إقبال) و تحديده على وجه صحيح ، واستمرت اللجنة فى بحثها للعديد من السنوات ، وفى أثناء ذلك نشرت جمعية (إقبال) هذه فى ١٩٧١م كتاب (إقبال) درون خانه) أى (إقبال) داخل منزله) لصاحبه (خالد نظير صوفى) حيث حقق المؤلف فى كتابه هذا أن تاريخ مولد (إقبال) الصحيح إنما هو ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م، و(خالد نظير صوفى) هذا هو ابن ابنة (الشيخ عطا محمد) الصغرى ، وأما والده (نظير صوفى) فهو ابن أخت (إقبال) الكبرى السيدة (طالع بى) واسمه (خورشيد أحمد) . وقد حقق هذا المؤلف أنه وجد فى سجل المواليد والأموات لبلدية (سيالكوت) أن (نثو الخياط) المسلم القاطن فى حى (صناع الحلقات الزجاجية) قد ولد له ابن فى ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م، وقد أبلغ هذا الخبر إلى سلطات البلدية رجل اسمه (على محمد بن غلام محيى الدين) ، ويرى هذا المؤلف أن هذا هو تاريخ مولد (إقبال)؛ وذلك لأنه ينص على والد (إقبال) (الشيخ نور محمد) الملقب (بنثو) الذى كان مشتغلا بمهنة الخياط، وهو الذى كان قد ولد له ابن، وأن الذى أعلم سلطات البلدية بذلك هو (على محمد بن غلام محيى الدين) وهو ابن عمة (الشيخ نور محمد) [١٥] .

وأما اللجنة التى كان يترأسها القاضى (أس أى رحمان) فلم تصل إلى أية نتيجة فيما قامت به من البحث والتحقيق، وأخيرا كونت حكومة (باكستان) لجنة فى ١٩٧٢م تحت رئاسة الوكيل الاتحادى لوزارة التربية والتعليم لتقوم بمهمة التحديد لتاريخ مولد (إقبال) فاجتمعت اللجنة غير مرة واستمر بحثها .

وفى ١٩٧٣م أعلنت حكومة الهند أنها سوف تحتفل بذكرى (إقبال) المئوية خلال ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ولعل الذى جعل حكومة الهند تعلن هذا الاحتفال هو ما اكتشفته جريدة (انقلاب) أو ما حققه خالد نظير صوفى عن تاريخ مولد (إقبال) ثم كونت لجنة قومية تحت رئاسة السيدة أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند وبدأت الاستعدادات للاحتفال بذكرى (إقبال) .

ومما تجب الإشارة إليه بهذه المناسبة أن الكتاب الهنود كانت لهم آراء مختلفة فى هذا الموضوع؛ وعلى سبيل المثال حقق الكاتب [١٦] فى مقاله عن (إقبال) أنه كان قد ولد فى ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م كما أن (الشيخ عبد القوى) كان مترددا فى تأييده لقول القائلين بأن مولد (إقبال) هو ٣ ذى القعدة ١٢٩٤هـ ؛ وذلك لأنه كان يرى أن الشواهد والدلائل التى اعتمد عليها القائلون بهذا التاريخ ليست بمقنعة شافية [١٧] ، أما (الشيخ السيد أبو الحسن على الندوى) فقد اختار فى كتابه (روائع إقبال) سنة ١٨٧٧م بوصفها تاريخ المولد (لإقبال) وتبعه الشاعر الكاتب (جكن ناث آزاد) فقال إن (إقبالاً) كان قد ولد فى ٩ نوفمبر ١٨٧٧م [١٨] .

على كل حال فإن الإعلان من حكومة (الهند) هو الذى جعل اللجنة الاتحادية لتحديد مولد (إقبال) تسارع بإجراءاتها لأن أعضاءها كانوا يرون أن حكومة (الهند) إذا احتفلت بذكرى (إقبال) فماذا يجعل (باكستان) تتخلف فى هذا المجال وكانت إجراءات اللجنة لمولد (إقبال) قد استمرت سنتين تقريبا ، أخيرا أعلنت حكومة (باكستان) على أساس التوصيات من قبل اللجنة فى ٩ فبراير١٩٧٤ أن مولد (إقبال) الصحيح إنما هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م ، ثم أعلنت حكومة (باكستان) فى ٢٥ يوليو ١٩٧٤م أنها سوف تحتفل بذكرى (إقبال) المئوية خلال ١٩٧٧ - ١٩٧٨م . على أساس تاريخ المولد المذكور أعلاه وتكونت لجنة قومية برئاسة (السيد ذو الفقار على بوتو) رئيس وزراء (باكستان) آنذاك لتقوم بتنظيم الإجراءات للاحتفال بذكرى (إقبال)، وقد تم الاحتفال بذكرى (إقبال) فى ١٩٧٧م فى كل من (الهند) و(باكستان) .

هناك آراء ثلاثة مختلفة فى تاريخ مولد (إقبال)، وهى آراء تناولها الباحثون والعلماء منذ وفاة (إقبال) حتى اليوم وهى هذه :

١ - ٢٢ من فبراير ١٨٧٣م .

٢ - ٢٩ من ديسمبر ١٨٧٣م .

٣ - ١ من نوفمبر ١٨٧٧م .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : ما القول الصحيح من بين هذه الأقوال المختلفة والآراء الثلاثة المتضاربة حول مولد (إقبال) ؟ وللوصول إلى نتيجة قاطعة لابد من البحث فى هذه الآراء الثلاثة والإلمام بما جاء من الدلائل والشواهد فى تأييدها أو تفنيدها .

١ - ٢٢ فبراير ١٨٧٣م .

هذا هو تاريخ مولد (إقبال) الذى اكتشفته جريدة (انقلاب) الصادرة فى (لاهور) ، وعولت الجريدة فى البحث عن هذا المولد على ما عثرت عليه فى سجل المواليد والوفيات لبلدية (سيالكوت)، حيث جاء أن شخصا اسمه (نثو الكشميرى) من سكان حى الكشميريين كان قد ولد له ابن فى ٢٢ من فبراير ١٨٧٣ م ، وقد جاء فى هذا السجل أن الذى كان قد أعلم سلطات البلدية بالمولد كان اسمه أيضا (نثو). ويتفق كبار أسرة (إقبال) الموثوق بهم على أن (الشيخ نور محمد) كان قد ولد له ابن قبل مولد (إقبال) إلا أنه كان قد توفى وهو طفل رضيع ، وعليه يرى (الشيخ إعجاز أحمد) أن هذا المولد لا صلة له (بإقبال) رغم أن (فقير سيد وحيد الدين) يقول إن البحث الذى قام به قد قاده إلى أن يقول بأن الذى جاء فى السجل إنما هو عن ولد آخر كان قد ولد للشيخ نور محمد ، والذى كان قد توفى وهو طفل رضيع قبل مولد (إقبال) بثلاثة أو أربعة أعوام[٢٠]، وكذلك يذكر (خالد نظير صوفى) على ما سمعه من والده أن هذا الذى جاء فى السجل إنما هو عن ولد كانت أم (إقبال) قد سلمته إلى زوجة عم (إقبال) لتتبناه حيث لم يكن لها أولاد ذكور، إلا أن الولد هذا كان قد مات وهو طفل رضيع[٢١] .

فقد تحقق خطأ من قال بأن الذى جاء فى سجل المواليد والوفيات هو مولد (إقبال) ، وممن أخطأ فى هذا الرأى أصحاب جريدة (انقلاب)؛ فإنهم ليس لديهم شىء من الوثائق يؤيد ما ادعوه غير ما جاء فى هذا السجل ؛ لأنه لا صلة له (بإقبال) وإنما يتعلق ذلك بولد آخر كان قد ولد (للشيخ نور محمد) ومات وهو طفل رضيع قبل مولد (إقبال) بسنوات، و(الشيخ إعجاز أحمد) يحتفظ معه بشهادة من قبل أخت (إقبال) التى شهدت وأكدت له أن ولدا كان قد ولد (للشيخ نور محمد) ومات وهو طفل رضيع قبل مولد (إقبال) (٢٢) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن (الشيخ نور محمد) كان يسكن فى ذلك الوقت فى حى يعرف بحى صناع الحلقات الزجاجية . والوثائق الرسمية المسجلة عن ذلك العهد تنص على وجود المنزل السكنى (للشيخ نور محمد) فى سوق صناع الحلقات الزجاجية أو فى حيهم (٢٣) ، وهذا المنزل نفسه كان هو عنوان البريد دائما، وحى صناع الحلقات الزجاجية وحى الكشميريين حيان مستقلان إلا أنهما متجاوران متقابلان ، وأما ما جاء فى كتاب (إقبال داخل منزله) عن المعلومات التى جمعها صاحب الكتاب من سجل المواليد والوفيات لبلدية (سيالكوت) لا يوجد فيها بيان موثوق به غير بيان واحد، وهذا البيان هو عن مولد أخت (إقبال) الكبرى (طالع بى) ويقول هذا البيان بأن (نتو الكشميرى) من سكان حى صناع الحلقات الزجاجية كانت قد ولدت له بنت فى ٦ سبتمبر ١٨٧٠م وأعلم السلطات بذلك شخص اسمه (محمد رفيق) (وهو والد الشيخ نور محمد وجد (إقبال) (٢٤) . ولا يوجد بيان عن مولد (الشيخ عطا محمد) والسيدة (فاطمة بى) من أولاد (الشيخ نور محمد) ، ولعل السبب فى ذلك أن بلدية (سيالكوت) لم تكن قد فتحت سجلا للمواليد والوفيات إلى ذلك الوقت ، والبيان الذى جاء فى سجل المواليد والوفيات عن مولد (طالع بى) فى ١٨٧٠م يوضح جليا أن (الشيخ محمد رفيق) هو الذى كان يهتم بإعلام المواليد لأحفاده مادام حيا، ولكن ليس لدينا ما يؤكد لنا أن (الشيخ نور محمد) أيضا كان يهتم بهذا الأمر كذلك . على كل فإن البيان الذى جاء فى هذا السجل ينص على أن الوالد لم يكن من سكان حى صناع الحلقات الزجاجية وإنما كان يسكن فى حى الكشميريين، فهل يمكن لنا أن نتأكد من صحة هذا البيان

الذى جاء فى سجل المواليد والوفيات أنه صحيح ؛ لأن الحيين - أى حى الكشميريين وحى صناع الحلقات الزجاجية - حيان متقاربان ، وإنه يمكن القول بأن الكاتب المسئول لم ير من فرق بين الحيين ؟ أما مؤلف هذا الكتاب فلا يرى أن هذا الرأى مصيب وإنما يرى ، ويوافقه فى رأيه هذا (الشيخ إعجاز أحمد)، بأن كل بيان فى الوثائق للبلدية عن أولاد (الشيخ نور محمد) الذى لا ينص على مسكن الوالد فى حى صناع الحلقات الزجاجية يجب ألا يصدق وسوف يكون مشكوكا فيه ؛ وذلك لأن هذا البيان لا صلة له بالولد الذى مات وهو طفل رضيع قبل مولد (إقبال) ومن الممكن أيضا أن هذا البيان الذى جاء فى السجل إنما هو عن ولد يمكن أن يكون قد ولد لرجل كان اسمه أيضا (نثو الكشميرى) ولم يكن يسكن فى حى صناع الحلقات الزجاجية وإنما كان يسكن فى حى الكشميريين ، وأن الذى أعلم السلطات بذلك كان هو والد الطفل نفسه .

٢ - ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م .

وأما هذا التاريخ لمولد (إقبال) فقد اكتشفه (خالد نظير صوفى)، وهذا الاكتشاف يقوم على ما جاء فى سجل المواليد والوفيات لبلدية (سيالكوت) بأنه فى ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م كان قد ولد ابن لرجل فى حى صناع الحلقات الزجاجية وكان اسمه (نثو الخياط المسلم ، والذى أعلم السلطات بهذا المولد اسمه (على محمد بن غلام محيى الدين ويرى مؤلف كتاب (إقبال داخل منزله) أن هذا البيان هو عن مولد (إقبال) وأنه كان قد ولد بعد الولد الذى مات وهو طفل رضيع قبل مولد (إقبال) بعشرة أشهر وربع الشهر، وهو يصرخ قائلا بأن هذا البيان الذى يذكر الوالد باسم (نثو) الخياط إنما هو إشارة إلى مهنة (الشيخ نور محمد) المعروف (بنثو) ، ثم يذكر قائلا إن الذى كان قد أعلم السلطات بذلك اسمه (على محمد بن غلام محيى الدين) وهو ابن عمة (الشيخ نور محمد) (٢٥) .

أما المصدر الذى اعتمد عليه (خالد نظير صوفى) فى معلوماته هذه فهو ليس إلا والده (نظير صوفى) ، وهو الذى أخبر ابنه بأن الذى كان قد أخبر السلطات بالمولد هو (على محمد بن غلام محيى الدين) وهو ابن عمة (الشيخ نور محمد) إلا أن (نظير

صوفى) هذا كان قد أدلى بتصريح صحفى لجريدة (أخبار جهان) الصادرة من (كراتشى) حيث قال أن الذى كان قد أعلم السلطات بالمولد هو (على محمد) وهو ابن عم (الشيخ نور محمد) [٢٦] .

أما (الشيخ إعجاز أحمد) فهو يقول إنه لم يعرف ولم يسمع بشخص بين أقاربه كان اسمه على محمد بن غلام محى الدين ولم يذكره أحد من الأقارب قط . كما أنه لم يشارك شخص فى أفراح الأسرة ومآتمها كان يعرف بهذا الاسم . وقد صرح (الشيخ فوق) و(الشيخ إعجاز) فيما كتباه بأن والد (الشيخ نور محمد) كان قد هاجر من (كشمير) إلى مدينة (سيالكوت) ولم يذكر أحد أن عمة لوالد (إقبال) أى أختا (للشيخ محمد رفيق) أيضا كانت قد هاجرت مع إخوتها ، وأما شجرة النسب لأسرة (إقبال) التى كان الشيخ فوق قد أعدها وسجلها فى الجزء الثانى من كتابه (تاريخ أقوام كشمير) طبعة ١٩٤٣م فلم تذكر عمة من عمات (الشيخ نور محمد) فى هذه الشجرة ، كما أنه لم يذكر عم من أعمامه فيها كان اسمه (غلام محيى الدين) ولا ابن له كان اسمه (على محمد)، وشجرة نسب أسرة (إقبال) التى قد أعدها (الشيخ إعجاز أحمد) قبل سنوات على أساس المعلومات التى حصل عليها من كبار الأسرة الموثوق بهم، وبعد جهد كبير بذله فى ذلك أيضا لا يوجد فيها ذكر لأى شخص بهذا الاسم وكذلك شجرة النسب التى أعدها (جكن ناث ازاد) لا تنص على وجود شخص بهذا الاسم [٢٧] .

والسؤال الآن هو: ما مدى صحة المعلومات التى حكاها (نظير صوفى) عن أجداد (إقبال) وأسرته ؟ فنرى (عبد المجيد سالك) يقول فى كتابه (ذكر إقبال) أى (ذكرى إقبال) على أساس المعلومات عن أجداد (إقبال) وأسرته التى حكاها له (نظير صوفى) هذا [٢٨] .

> **«يقال إن شخصا من السادة الأشراف كان قد ورد مدينة سرينجار ورأى الجد الأعلى للعلامة (إقبال) فى هذا السيد الشريف من السيرة الطاهرة والأخلاق الكريمة ما جعله يحبه ويعتقد فيه ، وتأثر بصحبة ذلك الشريف وحبه فاعتنق هذا البرهمى الإسلام على يد السيد الشريف وسمى بصالح، وعندما**

رأى السيد الشريف صلاحا وتقوى فى صديقه زوجه ابنته وبلغ المدارج العليا من الصلاح والتقوى بعد اعتناقه الإسلام حتى عرف باسم (بابا صالح) وأخذ عامة الناس يقبلون عليه وضريحه فى (كشمير) ولكن مكانه لايعرف» .

وهذا الذى رواه (نظير صوفى) لا يؤيده ما قاله (إقبال) أو ماكتبه (الشيخ فوق) وقد اتضح من التفاصيل التى مرت بنا فى الباب الأول أن (الشيخ فوق) كان يرى أن الجد الأعلى (للشيخ نور محمد) والد (إقبال) كان يعرف بلقب (بابا لول حج) أو (حاجى لولى) وأنه كان قد اعتنق الإسلام فى عهد (بد شاه) فى القرن الخامس عشر الميلادى، وليس لدينا ما يؤيد أنه كان قد أسلم على يد شريف من الأشراف وكان سمى بصالح أو كان قد تزوج بابنة شريف من الأشراف أو عرف بلقب (بابا صالح) فيما بعد ، إلا أن البعض ممن ترجم (لإقبال) قد أخذ هذه الحكاية التى حكاها (نظير صوفى) من كتاب (ذكرى إقبال) بدون أى بحث أو تحقيق [٢٩] .

وأما مؤلف هذا الكتاب فهو يشك فى أن (على محمد) هذا كان من أقارب أسرة (إقبال)، ولكن الدكتور (وحيد قريشى) يثير سؤالا قائلا : هل يجب أن يكون المخبر دائما من الأقارب ؟ فإن التقاليد المعمول بها أن حارسا أو كناسا من العاملين فى الحى قد يقوم بمهمة الإعلام والإخبار، وقد يمكن أن يقوم بهذه المهمة بعض سكان الحى من غير الأقارب، وقد يمكن أن يكون الذى قد أعلم السلطات بالمولد من أخوال (إقبال) [٣٠] . أما تقاليد الإعلام بواسطة الحارس أو الكناس فقد يمكن وجودها فى بعض القرى ، أما المدن فإن التقاليد تمنعنا من أن نرى هذا الرأى ؛ لأن تقاليد المدن دائما تجعل الأقارب يقومون بالمهمات مثل هذه، وأما أن يكون أحد من سكان الحى من غير الأقارب أو أحد من أخوال (إقبال) قد قام بهذه المهمة فإن هذا هو ظن وتقدير ولا يقوم على أساس يؤيده ، ولا يجوز الثقة به دون شهادة أو وثيقة تؤيده .

وأما ولد (الشيخ نور محمد) الذى مات وهو طفل رضيع فإن وثائق البلدية لا تنص على وفاته بشىء ، فلو فرضنا أن ما سجل فى وثائق البلدية ٢٢ فبراير ١٨٧٣م هو مولد ذلك الطفل الرضيع فيجب أن تكون وفاته أيضا قد سجلت فى تلك الوثائق البلدية والأمر ليس كذلك؛ لأننا قد صرحنا فيما مر بنا بأن الذى جاء فى سجل

البلدية من البيانات لا يتعلق بمولد ذلك الطفل الرضيع الذى ولد ومات قبل مولد (إقبال). ويجب بهذه المناسبة أن نصرح بأن (الشيخ نور محمد) وشقيقه (الشيخ غلام محمد) كانا يسكنان معا فى بيت واحد ، وتنص الوقائع الخاصة بالأسرة على أنهما كانا قد رزقا بابن وابنة فى وقت واحد تقريبا، وقد تم التبادل بين الأمّيْنِ كما ذكر فيما مضى . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل سجل مولد تلك الطفلة فى وثائق البلدية أم لا ؟ والجواب على هذا السؤال : ..... لا .

أما تاريخ وفاة (طالع بى أى شقيقة (إقبال) فقد سجل فى الوثائق ، حيث جاء أنها كانت قد توفيت فى ١٣ من يوليو ١٩٠٢ م وأن الذى أعلم السلطات بذلك كان اسمه (تاج دين) . وكانت السيدة (طالع بى) هذه قد زُوجت من (غلام محمد) الذى كان يعمل مع (الشيخ نور محمد) فى محله التجارى وهو صبى وأن (غلام محمد) هذا هو نفس الصهر (للشيخ نور محمد) الذى كان قد وهب له ذلك المحل التجارى ، وأما (تاج دين) الذى كان أعلم بالوفاة فهو ابن (الشيخ فتح محمد بن الشيخ عبد الله) الذى كان ابن عم (الشيخ نور محمد) . وبوصفه ابنا لابن عم (الشيخ نور محمد) كان يعد من أقرب الأقارب له . وكذلك فإن الوثائق تنص على وفاة السيدة / (كريم بى) شقيقة العلامة (محمد إقبال) [٣١] وكانت قد توفيت فى ٤ يوليو ١٩٥٨م فى المنزل الموروث لأسرة (إقبال) فى حى صناع الحلقات الزجاجية بمدينة (سيالكوت) والذى أعلم سلطات البلدية بوفاتها اسمه (افتخار أحمد) وهو شقيق (الشيخ إعجاز أحمد) وابن (الشيخ إمتياز أحمد) . فهذه الوفيات أو الموالد كلها قد قام بالإعلام عنها الأقارب لا غير .

أما الاعتراض الثانى الذى أورده الشيخ إعجاز أحمد على صحة هذا البيان المذكور الذى مر بنا بأن (الشيخ نور محمد) كان يعرف إما (بالشيخ نثو) أو (بنثو الكشميرى) بوصفه كشميريًا، أو كان يعرف (بنثو صاحب القلانس) بحكم مهنته ولم يكن يعرف (بنثو الخياط) لأنه لم يكن من أسرة الخياطين ، وفيما قاله الشيخ (إعجاز أحمد) هذا بأنه يوجد أسرة خاصة تعرف بالخياطين بمدينة (سيالكوت) وكان بعض أعضائها قد نزلوا فى حى صناع الحلقات الزجاجية أيضا، وأنه كان يعرف شخصا من سكان ذلك الحى الذى كان يعرف (بنثو الصراف) ، وكذلك فإن شقيقه الأصغر (الشيخ مختار)

يحكيٰ أن أحد زملائه في المدرسة والذي كان من أسرة الخياطين كان جده يعرف باسم (نثو) .

وقد صرح صاحب كتاب (إقبال داخل منزله) بأن الناس كانوا يلقبون (الشيخ نور محمد) وأسرته بأصحاب الطرابيش أو أصحاب القلانس ، وهذا البيان الذي جاء في الوثائق ينص على مهنة الرجل وأسرته وديانته خياطا وذلك بحكم مهنته التي كان يشتغل فيها . وكذلك فإن الدكتور (وحيد قريشي) يذكر أن وثائق مدرسة الإرسالية الإسكاتشية تنص على أن استمارة قبول (إقبال) بتلك المدرسة تحمل اسم والده (الشيخ نور محمد تيلر) (أي الخياط) [٣٣] وقد أدلى صوفي (نظير صوفي) بتصريح صحفي لمجلة (أخبار جهان) الصادرة من (كراتشي) [٣٤] :

> **« والواقع أنه لم يكن يوجد شخص في حي الكشميريين عرف باسم نثو غير الوالد الكريم للعلامة (إقبال) وعليه فإن البيانات التي جاءت في الوثائق للبلدية عن أولاد الرجل الذي كان يعرف باسم نثو والذي كان يسكن في حي الكشميريين أو الأزقة المجاورة لها إنما هو والدالعلامة (إقبال) الشيخ نور محمد وهذه البيانات كلها عن أولاده » .**

أما الاسم (نثو) فهو اسم عرفي يعرف به الإنسان عامة بسبب تلك الحلقة (أي الخزام) التي تكون في أنفه . وأنه من الممكن أن يكون الناس الكثيرون يعرفون باسم (نثو) في مدينة واحدة أو في حي واحد ، والذي صرح به (نظير صوفي) هو تصريح قطعي رغم أنه أصغر سنا من (الشيخ إعجاز أحمد) و(الشيخ مختار أحمد) . وبالإضافة إلى ذلك فإن (نظير صوفي) هذا كان قد أدلى بتصريحين متناقضين عن قرابة (على محمد) (بالشيخ نور محمد)، وقد اتضح أن هذين التصريحين قد تحقق خطؤهما وأن معلوماته عن أجداد (إقبال) وأسرته لا تقوم على بحث قوي، ومن ثَمَّ من الجائز المناسب أن نفضل ما صرح به (الشيخ إعجاز أحمد) و(الشيخ مختار أحمد) في هذا الموضوع الذي نحن فيه الآن .

ومما لا شك فيه أن (الشيخ نور محمد) كان من أسرة كشميرية ولم يكن من أسرة الخياطين ، والذى جاء فى وثائق مدرسة الإرسالية الاسكاشية عن الشيخ نور محمد بأنه تيلر (أى الخياط) فقد يمكن أن يكون ذلك بحكم مهنته التى كان يشتغل فيها ، أما إذا كانت أسر عديدة من الخياطين تسكن فى حى صناع الحلقات الزجاجية، وكان أحد من رجالها يعرف باسم (نثو) فكيف يمكن الاعتراف بأن الذى أعلم السلطات يملى عليها الشيخ نور محمد الخياط بحكم مهنته فى هذه المرة خاصة ولا يذكره باسم (نثو الكشميرى) أو (نثو صاحب القلانس) .

وقد تحقق الشك فى قرابة الرجل (بالشيخ نور محمد) والذى كان قد أعلم السلطات بالمولد .

وقد يمكن أيضا أن هذه البيانات فى الوثائق إنما هى عن ولد كان قد ولد لشخص كان اسمه (نثو) وكان من أسرة الخياطين وأن الذى كان قد أعلم السلطات بذلك هو أيضا من تلك الأسرة نفسها .

ويقول مؤلف كتاب (إقبال داخل منزله) أنه لم يعثر على مولد السيدة (زينب بى) شقيقة (إقبال) الصغرى فى وثائق البلدية وأنه قد عثر على مولد السيدة (كريم بى) شقيقة (إقبال) حيث جاء أن شخصا من حى الكشميريين واسمه (نثو بن محمد رفيع) المسلم الكشميرى قد رزق بابنة فى ١٤ نوفمبر ١٨٧٦م ويذكر المؤلف بهامش كتابه أن اسم والد (الشيخ نور محمد) هو (الشيخ محمد رفيق) إلا أنه ورد هنا (محمد رفيع) وهو [٣٤] خطأ. ومؤلف هذا الكتاب يرى أن هذا البيان أيضا مشكوك فيه؛ فإن اسم الوالد لتلك البنت فى هذا البيان هو (نثو بن محمد رفيع)؛ لأننا لسنا على حق إذا قلنا إن الذى ورد فى هذا البيان هو خطأ، فلو سلمنا بأنه خطأ يرجع إلى الكتابة الخاطئة فإن سكن الوالد هو حى الكشميريين فى حين أن (الشيخ نور محمد) كان يسكن فى حى صناع الحلقات الزجاجية .

وهذه التفاصيل التى مرت بنا توضح جليا أن البيانات التى جاءت فى كتاب (إقبال داخل منزله) عن مواليد أولاد (الشيخ نور محمد) التى أخذها المؤلف من سجل المواليد والوفيات لبلدية مدينة (سيالكوت) كلها مشكوك فيها غير بيان واحد .

أما البيان الذى لا يمكن الشك فيه فهو مولد السيدة (طالع بى) ، والذى أخبر السلطات بذلك هو (الشيخ محمد رفيق) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل تاريخ مولد (إقبال) هذا يؤيده ما جاء فى الملف التعليمى (لإقبال) أو ما سرده كبار الرجال والبارزون من أسرة (إقبال) من التصريحات والبيانات ؟ أما الملف التعليمى (لإقبال) فإن أقدم ما نعثر عليه من ذلك هو الشهادة التى منحته إياها جامعة (بنجاب) فى ١٨٩١م حين نجح (إقبال) فى امتحان المدارس المتوسطة و(الشيخ إعجاز أحمد) يحتفظ بنسخة من هذه الشهادة التى استخرجت فى ١٩٠٧ م . وجاء فى هذه الشهادة أن سن (إقبال) كانت خمسة عشر عاما وأما طلب القبول لهذا الامتحان فكان قد قدمه إما (إقبال) أو والده أو شقيقه الأكبر، وإذا كان (إقبال) قد بلغ الخامسة عشرة من عمره فى ١٨٩١م فمعنى ذلك أن مولده هو ١٨٧٦م [٣٦] .

وكان (إقبال) قد نجح فى امتحان الشهادة الثانوية فى ١٨٩٣ م ثم التحق بكلية الإرسالية الإسكاشية فى السنة الأولى للثانوية المتوسطة وقد تم قبوله بالكلية كما جاء فى الملف التعليمى فى ٥ مايو ١٨٩٣م وكان فى الثامنة عشرة من عمره حينذاك [٣٧] ونظرا إلى هذه البيانات يكون مولد (إقبال) فى سنة ١٨٧٥م، وكان إقبال قد نال شهادة التخرج من جامعة بنجاب فى ١٨٩٧م وقد جاء فى تقويم جامعة (بنجاب) لسنة ١٨٩٧- ١٨٩٨ أن عمره كما جاء فى استمارة القبول كان تسع عشرة سنة [٣٨] ، وكانت استمارة القبول قد أرسلت إلى الجامعة حسب اللائحة الجامعية قبل عام ، أى فى ١٨٩٦م وبذلك يكون مولد (إقبال) ١٨٧٧ م . وجملة القول فإن الملف التعليمى (لإقبال) لايؤيد قول القائلين بأنه قد وُلد فى ١٨٧٣ م .

ويقال إن هذا الفرق الذى يوجد بين ما جاء فى الملف التعليمى وبين ما قاله القائلون بأن مولده ١٨٧٣م يرجع إلى ما اعترف به (إقبال) نفسه قائلا إنه كان قد بدأ دراسته فى الكُتَّاب حيث بقى يدرس لبضع سنوات ، ثم التحق بالمدرسة وليس لدينا ما يجعلنا نجزم القول بالمدة التى قضاها (إقبال) فى الكتاب، أما (فوق) فيعبر عن ذلك

بكلمة (بضعة أيام) [٣٩] وأما (إقبال) فجعل ذلك بضع سنوات وأما كتاب (إقبال داخل منزله) فإنه يقدر هذه المدة بسنة أو سنتين [٤٠] إلا أن الدكتور (وحيد قريشى) يعتمد على ما قالته سيدة كانت زميلة (لإقبال) فى الكتّاب واسمها (كرم بى بى) ويحدد المدة التى قضاها (إقبال) فى الكتاب بخمس سنوات ويرى أن (إقبالاً) يمكن أن يكون قد التحق بالصف الأول فى المدرسة بعد خمسة أعوام قضاها فى الكتاب [٤١] .

والواقع أن الملف التعليمى (لإقبال) لا يوافق قول القائلين بأن مولده ١٨٧٣ م إلا إذا فرضنا أنه كان قد قضى خمس سنوات فى الكتاب، حيث بقى يدرس اللغة الأردية والفارسية والعربية خمس سنوات فى الكتاب ثم التحق بالصف الأول للمدرسة فى العاشرة من عمره، ثم بدأ دراسته من جديد وبذلك يكون (إقبال) قد نجح فى امتحان المدارس الثانوية فى الثامنة عشرة من عمره وليس فى الخامسة عشرة كما نصت عليه الشهادة لذلك الامتحان، إلا أن (خالد نظير صوفى) يقول إن الناس كانوا يبعثون أولادهم إلى المدارس ويكتبون فى الاستمارات أقل عمر ممكن وذلك ليتمكن الطالب من الحصول على الوظيفة الحكومية بعد إكمال الدراسات، وعليه فإن (إقبالاً) التحق بالمدرسة متأخر وكان لابد من أن يكتبوا تاريخ مولده ما يجعله أصغر من عمره إلى أقصى قدر ممكن [٤٢].

إن ملف المدرسة لا يساعدنا بشىء على تحديد تاريخ مولد (إقبال) أو قبوله بها أو عمره حين التحق بها ، ولو سلمنا بأنه كان قد التحق بالمدرسة متأخرا عن أوان القبول العادى فإن ملفه التعليمى يدل على أنه كان طالبا ذكيا قويا جادا فى عمله ومتقدما فى الدرس عن أقرانه ، وكان قد قضى معظم أوقاته فى الكتاب عند (الشيخ السيد مير حسن) الذى منه تعلم (إقبال) اللغة الأدية والفارسية والعربية وآدابها، وكان (السيد مير حسن) هذا مدرسا بمدرسة الإرسالية الإسكاشية وهو الذى كان سببا فى التحاق (إقبال) بتلك المدرسة نفسها، وقد يمكن أن (السيد مير حسن) كان قد ألحقه بالصف الثانى أو الثالث للمدرسة نظرا إلى ذكاء (إقبال) وبراعته الفائقة ، وقد جاء فى بعض المصادر ما يدل على أنه كان يدرس فى الصف الرابع للمدرسة [٤٣] وكان الطالب فى ذلك الوقت يدرس المواد كلها باللغة الأردية فى الصفوف الأربعة الابتدائية الأولى وكانت دراسة اللغة الإنجليزية تبدأ من الصف الخامس ، فهل

يجوز لنا فى مثل هذه الظروف أن نفترض أن (إقبال) كان قد درس الأردية والفارسية والعربية فى الكتاب خمس سنوات، ثم بدأ دراسته بالمدرسة فى الصف الأول الابتدائى من جديد وذلك بعد أن كان قد بلغ عشر سنوات من عمره ؟

والدكتور (وحيد قريشى) يصر على أن (إقبالاً) لو كان قد قُبل بصف متقدم مباشرة لكان قبوله قبولا فوق العادة، وكان لابد من أن يحكيه (إقبال) لأقاربه وأصدقائه فى وقت من الأوقات [٤٤] وليس مما يجدر بالذكر أنه قبل فى الصف الثانى أو الثالث للمدرسة مباشرة فى العاشرة من عمره بعد أن كان قد قضى خمس سنوات فى الكتاب. وكان من الممكن أن يكون قبول (إقبال) فى الصف المتقدم حدثا مهما يجدر بالذكر أو الافتخار به إذا كان قد قبل فى صف متقدم فى حداثة عمره وعلى أساس الذكاء والبراعة . على كل فإنه ليس لدينا ما يحقق أن (إقبالاً) كان قد قبل فى الصف الأول للمدرسة بعد فراغه من الكتاب، وإنما يبدو لنا هذا المقياس خلافا لما عرف من ذكاء (إقبال) وفطنته الفائقة .

وعلى ما يحكى صاحب كتاب (إقبال داخل منزله) أن شقيقتين (لإقبال) (كريم بى) و (زينب بى) كانتا ترددان بين حين وآخر أن شقيقة (إقبال) (طالع بى) كانت أكبر منه بثلاث سنوات تقريبا وأن (كريم بى) كانت أصغر منه بثلاث سنوات ويصرح المؤلف قائلا بأنه كان قد سمع (كريم بى) تقول إنها أصغر من (إقبال) بثلاث سنوات وقد ذكر المؤلف فى كتابه تاريخ المولد لشقيقتى (إقبال) هاتين ويرى أن (طالع بى) كانت قد ولدت فى ٦ سبتمبر ١٨٧٠م كما أن (كريم بى) كانت قد ولدت فى ١٤ نوفمبر ١٨٧٦م وعلى هذا الأساس ذكر أن مولد (إقبال) هو ١٨٧٣م ولا شك أن مولد (طالع بى) فى هذا الكتاب صحيح، أما مولد (كريم بى) فهو مشكوك فيه وأن هذه التفاصيل التى أوردها المؤلف ليس لها شواهد تؤيدها أو دلائل تحققها [٤٥] ، وأما الدكتور (وحيد قريشى) فإنه يستنتج معتمدا على ما جاء فى تصريح أدلت به السيدة (كريم بى بى) زميلة إقبال فى الدرس من أهل (سيالكوت) أن الشواهد التى تجعلنا نقول بأن مولد (إقبال) هو ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م شواهد قوية متينة جدا . وأما تصريح (كرم بى بى) هذه فلم نسمع به إلا فى ١٩٧٤م خلال البحث الذى أجرى عن مولد (إقبال) وتقول السيدة (كرم بى بى) إن (إقبالاً) كان قد بلغ التاسعة عشرة من عمره عند زواجه الأول وإنها هى

(أى كرم بى بى) كانت قد بلغت السابعة عشرة من عمرها وقد أدلى بهذا التصريح بعد مدة طويلة وعلى أساس الذاكرة وحدها ، والذاكرة قد لا تستطيع أن تحتفظ بالأشياء إلى مدة طويلة من الزمان، والجدير بالذكر أن الدكتور (وحيد قريشى) قد سبق فى بعض ما كتبه عن هذا الموضوع، ورأى أن ٩ نوفمبر ١٨٧٧م هو مولد (إقبال) الصحيح مكان هذا المولد الذى ذكره على أساس تصريح السيدة (كرم بى بى) (٤٧) .

٣ - ٩ نوفمبر ١٨٧٧م

أما هذا التاريخ من مولد (إقبال) فلا يوجد فى وثائق بلدية (سيالكوت)، إلا أن هذا التاريخ للمولد بالتقويم الميلادى يوافق ما كتبه (إقبال) بخط يده بالتقويم الهجرى، وفيما يلى ترجمة حرفية لما كتبه (إقبال) بخط يده باللغة الإنجليزية معرفا بنفسه مع أطروحته للدكتورا فى ١٩٠٧م :

«قد ولدت فى ٣ ذى القعدة ١٢٩٤هـ الموافق لسنة ١٨٧٦م بمدينة (سيالكوت) ، بنجاب الهند . وقد بدأت دراستى بتعلم اللغتين العربية والفارسية والتحقت بمدرسة من مدارس المدينة بعد بضع سنوات . ثم أخذت أتدرج فى الدراسات الجامعية فنجحت فى الامتحان الأول لجامعة (بنجاب) سنة ١٨٩١م ثم التحقت بكلية الإرسالية الإسكاشية بمدينة (سيالكوت) بعد أن نجحت فى امتحان الثانوية سنة ١٨٩٣م حيث أكملت دراستى لسنتين فنجحت فى امتحان الثانوية المتوسطة من جامعة (بنجاب) فى ١٨٩٥م ثم حصلت على شهادة التخرج والماجستير من الكلية الحكومية (بلاهور) فى ١٨٩٧م، و ١٨٩٩ على التعاقب ، وقد كان ذلك من حسن حظى حيث نلت العديد من الأوسمة الذهبية والفضية والمنح المالية . وبعد الحصول على الماجستير عينت مدرسا بالكلية الشرقية لجامعة (بنجاب) فى وظيفة كانت تسمى بوظيفة (مدرس ميكلود العربى، (وألقيت المحاضرات عن التاريخ والاقتصاد السياسى لمدة ثلاث سنوات . ثم عُينت أستاذا مساعدا للفلسفة بالكلية الحكومية (بلاهور) ، وقد حصلت على إجازة بدون راتب من الجامعة لإكمال دراساتى العليا فى (أوربا) سنة ١٩٠٥ ولهذا الغرض أنا نازل الآن فى هذا المكان) .

وهذه الترجمة كتبها (إقبال) بخط يده فى سنة ١٩٠٧ واختار التقويم الهجرى لتاريخ مولده وذكر بين القوسين التقويم الميلادى الموافق له ، وقد ناقش العديد من أهل

العلم الفقرة الأولى من هذه الترجمة ووردت فى ذلك شتى الآراء والأقوال؛ فمثلا من ولماذا أخبر (إقبال) بأن يذكر تاريخ مولده حسب التقويم الهجرى ؟ وهل هذا التاريخ صحيح أو أنه يمكن أن يكون خطأ من ناحية أو لسبب من الأسباب ؟ ولماذا كتب (إقبال) تاريخ مولده حسب التقويم الميلادى بين القوسين وذكر السنة فقط دون اليوم والشهر وكيف طابق بين التقويمين؟ ولماذا لم يحاول أن يحول التقويم الهجرى إلى التقويم الميلادى تحويلا صحيحا حسب المبادئ والقواعد المعروفة ؟

كان (إقبال) قد ولد فى (الهند) وقد تدعم فيها الحكم البريطانى ، والظاهر أن التقويم الميلادى كان قد أصبح المعمول به فى (بنجاب) بعد انضمامها إلى الحكم البريطانى إلا أن المسلمين كانوا يبغضون الحكام الإنجليز بغضا شديدا وكانت العلاقات بين المسلمين والإنجليز قد أخذت تتحسن منذ ١٨٧٠م وذلك بالجهود التى بذلها (السير سيد أحمد) خان واعترف المسلمون بالحكم الإنجليزى وهم له كارهون؛ وذلك من أجل الحصول على الوظائف الحكومية والوصول إلى موارد الرزق ، إلا أنهم لم يرضوا بالنظام التعليمى الإنجليزى من أعماق قلوبهم . وكذلك التقويم الميلادى لم يكن لهم من الممكن أن يعترفوا به ، ورغم أن التقويم الميلادى كان قد بدأ يطبق فإن المسلمين كانوا يستخدمون التقويم الهجرى إذا أرادوا أن يسجلوا أهم الشئون والوقائع من حياتهم الاجتماعية ، وكان التقويم الميلادى بغيضًا لديهم من ناحية العقيدة والدين .

ومما أورد على هذا أن التقاليد المتداولة بين عامة الناس فى ذلك الوقت أنهم كانوا يسجلون أعمار أولادهم أقل مما كانت فى واقع الأمر وذلك تسهيلا للحصول على الوظائف الحكومية، ومن ثَمَّ يمكن أن (إقبالاً) كان قد أبلغ عن تاريخ مولده إبلاغا خاطئا . ويقول (الدكتور وحيد قريشى) إنه من الممكن أن (إقبالاً) لم يكن لديه معلومات كافية عن تاريخ مولده كما أنه من الممكن أن تكون مصادر معلوماته هذه غير كاملة . إن الإنسان يمكن أن يكون لديه شعور نابه ولا يمكن لشخص أن يلاحظ عملية ميلاده ملاحظة مباشرة، وإن جميع المعلومات عن مولده يحصل عليها كل إنسان من غيره من الناس وعليه فإن المعلومات التى كانت لدى (إقبال) عن مولده إنما كانت قد بلغته من غيره من الناس ويمكن أن تكون المعلومات خاطئة [٤٩] . ويقول (الشيخ إعجاز أحمد) وهو يرد على هذا الاعتراض بأن هذه الترجمة التى كتبها (إقبال) فى

ذلك الوقت لم يكتبها من أجل الحصول على وظيفة حكومية إذن فليس هناك ما يبرر أو يجعل (إقبالاً) أن يكتب تاريخ مولده غير صحيح، وبالإضافة إلى ذلك فمن الممكن أن نقول إن أبوى (إقبال) إذا كانا قد أخبراه بتاريخ مولده غير الصحيح لم يكن من الممكن أن يخفى ذلك رجل من أمثال (إقبال) . على كل فمن المستحيل أن يختلق أبوا (إقبال) تاريخ مولده ؛ لأنه يعارض طبيعتهما التى جلبت على الصدق والديانة . وكذلك فليس من الصحيح أن نزعم أن (إقبالاً) هو الذى كان قد اختلق تاريخ مولده من عنده؛ لأن ذلك أيضا لا يوافق طبيعة (إقبال) وسيرته؛ فقد كان رجلا يؤمن بالمبادئ الصادقة ولم يكن ليكذب حتى لو رأى فيه فائدة مؤقتة. وقد سرد (الشيخ إعجاز أحمد) حدثا من الأحداث لحياة (إقبال) تدل على سيرته وتعبر عن طبيعته، وذلك أن (إقبال) أراد أن يبيع الدار التى كان يملكها فى مدينة (سيالكوت) لأحد من أقاربه وكان هذا القريب (لإقبال) يخشى من الجار أن يرفع قضية الشفعة فى المحكمة، وعليه طلب هذا القريب إلى (إقبال) أن يكتبوا مبلغا أكثر من الثمن المطلوب فى الوثيقة الرسمية كما كانت التقاليد حينذاك، إلا أن (إقبالاً) قد رفض إطلاقا أن يكتب ذلك فى الوثيقة الرسمية أو يشهد له عند مسجل الوثائق الرسمية . فقال له قريبه بأنه سيدفع له بين يدى المسجل المبلغ نفسه المكتوب فى الوثيقة الرسمية وعليه فإن شهادة (إقبال) لن تكون كاذبة إلا أن (إقبالاً) لم يوافق على ذلك، وكانت النتيجة أن الجار كان قد رفع قضية الشفعة ضد قريب إقبال وحقق دعواه ونجح .

ويقول (سيد عبد الواحد معينى) بأن (إقبالاً) كان قد كتب السنة الميلادية الموافقة للسنة الهجرية بين القوسين فى ترجمته الموجزة التى كتبها بخط يده؛ وذلك لأنه لم يكن لديه شيء من المذكرات التى كان بإمكانها أن تساعده على تحويل التقويم الهجرى إلى التقويم الميلادى و بالعكس تحويلا صحيحا مضبوطا . وأما فى أوربا فلم تكن توجد المذكرات من هذا النوع إطلاقا، فيمكن أنه حول التقويم الهجرى إلى التقويم الميلادى على أساس التخمين والتقدير من عنده بدون أن يكون قادرا على أن يستعين بالمذكرات (٥١) .

أما الدكتور (وحيد قريشى) فهو لا يقتنع بهذا الدليل ويرى أن المذكرات من هذا النوع كانت قد بدأت تطبع وتنشر وتوزع باللغة الألمانية فى ذلك الوقت أيضا ، وأن (إقبالاً) كان استفاد منها فى أطروحته للدكتوراه حين أراد أن يحول التقويم

الهجرى إلى التقويم الميلادى، فكيف من الممكن أنه لم ير من اللازم أن يستفيد من تلك التقاويم فى ترجمته واكتفى بأن يحول السنة على أساس التخمين بدون أن يذكر اليوم والشهر من السنة (٥٢) .

ويقول إن الطريقة التى اتبعها (إقبال) فى تحويل التقويم الهجرى إلى التقويم الميلادى يمكن أن يقوم على أساسين أحدهما أنه فضل أن يعرف الفرق على أساس التخمين بدون الرجوع إلى المذكرات ، والثانى يمكن أنه كان قد استعمل المذكرة التى طبعها ونشرها ديوان (بوتاشنغ) من مطبعة (افتاب بنجاب) بلاهور سنة ١٨٧٦م ؛ لأن هذه المذكرة قد كتبت فيها سنة ١٢٩٣ هجرية فى صفحة ٢٢ منها، وقد يمكن أن يقرأها القارئ ١٢٩٤هـ قراءة خاطئة (٥٣) . على كل فإن الدكتور (وحيد قريشى) يرى أن هذا العمل يرجع إلى عدم الاحتياط من قبل (إقبال) (٥٤) .

ومن التقاليد المتعارفة فى الجامعات الأوربية أن الترجمة من هذا النوع تحضر وتقدم مع الأطروحة فى نهايتها، وهذه الترجمة تكون عملا ارتجاليا مستعجلا أكثر الأحيان فمن الممكن أن (إقبالاً) كان قد استخدم المذكرات حين أراد أن يحول السنوات الهجرية إلى السنوات الميلادية داخل أطروحته؛ لأنه من البحث والتحقيق ، وأما ترجمته الموجزة فيمكن أنه كان قد أعدها على سبيل الاستعجال والارتجال .

على كل فإنه لا يمكن الإنكار أن (إقبال) لم يحاول طول حياته أن يحول تاريخ مولده من التقويم الهجرى إلى التقويم الميلادى وقد يمكن أن يكون السبب فى ذلك أن (إقبال) كان يفضل التقويم الهجرى على التقويم الميلادى ، وأيضا قد اعترف به الدكتور (وحيد قريشى) قائلا بأن (إقبالاً) وإن كان يكتب الرسائل إلى أصحابها حسب التقويم الميلادى وذلك تسهيلا لهم ولكنه نظم العديد من الوقائع الهامة مع تاريخها وكلها حسب التقويم الهجرى غير ثمانى قطع شعرية (٥٥) وعليه فقد أبقى (إقبال) تاريخ مولده واحتفظ به فى ذاكرته كما أخبره أبواه بذلك إخبارا صحيحا قاطعا؛ إذن فتاريخ مولده الذى كان يراه (إقبال) صوابا موثوقا به عنده هو الذى يوافق ٩ نوفمبر١٨٧٧م (٥٦).

ونظرا إلى ما مر بنا فليس من الصواب أن يقال إن (إقبالاً) لم يأخذ بالاحتياط حين حول تاريخ مولده من التقويم الهجرى إلى التقويم الميلادى فى ترجمته الموجزة وإنما يمكن أن (إقبال)اً كان قد فعل ذلك على علم وثقة ثم أخذ بذلك واستقام عليه طوال حياته، وكان كلما سئل عن تاريخ مولده حول ما أخبره أبواه إلى التقويم الميلادى وأخبر كل سائل عن تاريخ مولده بانه ١٨٧٦م . إلا أن (إقبالاً) لم يتبع هذه الطريقة فى تسجيل تاريخ المواليدلأولاده ولعل هذا الذى جعل الأمير السير (ذو الفقار على خان) يجعل مولده ١٨٧٩م تقريبا . أو أن فوق هو الذى ذكر فيما كتبه عن (إقبال) أن مولده هو ١٨٧٦م وهذا هو تاريخ المولد الذى كان (إقبال) قد كتبه فى جواز سفره .

وننتقل الآن إلى سؤال آخر وهو : إلى أى مدى يوافق تاريخ المولد هذا ما جاء فى الملف التعليمى (لإقبال) فقد جاء فى شهادة الامتحان المتوسط التى حصل عليها (إقبال) فى ١٨٥١م حين كان عمره خمسة عشر عاما ويرى (الشيخ إعجاز أحمد) أن عمره فى ذلك الوقت كان أربعة عشر عاما حسب التقويم الميلادى ونظرا إلى ذلك فإن سنة مولد (إقبال) هى سنة ١٨٧٧م وكذلك فإن (إقبالاً) كان قد حصل على شهادة التخرج فى ١٨٩٧م وأما استمارة القبول التى بعث بها إلى الجامعة فى ١٨٩٦م فقد جاء فيها عمره تسعة عشر عاما، وبذلك يتحقق أيضا أن مولده هو ١٨٧٧ م إلا أن ما جاء فى استمارة القبول بكلية الإرسالية الإسكاشية فى١٨٩٣ ينص على أن عمره كان إذ ذاك ثمانية عشر عاما فهذا مما لا يوافق تاريخ المولد؛ لأن هذا يجعل مولده فى ١٨٧٥م وهذا ليس صحيحا .

وأما (بضع سنوات) التى قضاها (إقبال) فى الكتاب فيجعلها الدكتور (وحيد قريشى) خمس سنوات وذلك على أساس زعمته السيدة (كرم بى بى) إلا أن مؤلف هذا الكتاب يرى أن كلمة (تشند) (بضع أو بضعة) تعنى أن أقلها سنتان وأقصاها أربع سنوات فهو يضيف قائلا إنه لا يصح أن نقول بأن كلمة (تشند) تعنى (كئى) بالأردية ومعناها (العديد)؛ لأنه إذا أريد الكثير فتستعمل كلمة (كئى) بالأردية [٥٧] ويرى الدكتور وحيد قريشى أن الأطفال عادة يبدءون دراساتهم فى السنة الخامسة من العمر، وعليه فمن الممكن أن (إقبالاً) كان قد أرسل إلى الكتاب وهو فى الخامسة من عمره ولكن مؤلف الكتاب يرى أن التقاليد العامة المتوارثة عند المسلمين تقول بأن

أولادهم يبدءون دراسة القرآن الكريم وعمرهم أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام وهم يسمون ذلك (رسم بسم الله) أى (الاحتفال ببداية الدراسات القرآنية) ويقول (الشيخ إعجاز أحمد) إن جده (الشيخ نور محمد) كان قد أرسله إلى (الشيخ سيد مير حسن) لقراءة القرآن وعمره أربع سنوات وأربعة أشهر وعليه فإنه من الممكن أن والد (إقبال) كان قد بعث ابنه لقراءة القرآن فى هذه السن من عمره فإذا كان (إقبال) قد التحق بالكتاب حسب التقاليد العامة وعمره، أربع سنوات ونصف السنة تقريبا فيمكن أنه كان قد بقى فى الكتاب أربع سنوات تقريبا أكمل خلالها الدراسات المتداولة ثم التحق بالمدرسة وعمره ثمانى سنوات ونصف السنة، وبحكم فطنته وذكائه قبل بالصف الثانى وليس بالصف الأول وبذلك يمكن أن يكون قد بلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة فى ١٨٩١ حين نجح فى امتحان الشهادة المتوسطة .

وإن التصريحات التى أدلى بها الكبار من أسرة (إقبال) تستحق الاهتمام الكامل فى هذا الموضوع . إن معلومات (إقبال) عن تاريخ مولده حسب التقويم الهجرى يجب أن يكون مصدرها أبواه ولا يجوز أن نقول إن تاريخ المولد هذا قد اختلقه (إقبال) نفسه، وكان الشيخ عطا محمد قد أخبر جريدة (انقلاب) عن مولد (إقبال) بأنه شهر ديسمبر من سنة ١٨٧٦م على وجه التخمين والتقدير ، ويقول (الشيخ إعجاز أحمد) بأنه كان قد سمع من أبيه (الشيخ عطا محمد) أنه أكبر من (إقبال) سنا ثمانية عشر عاما تقريبا وقد جاء فى كتاب الخدمة الرسمى (للشيخ عطا محمد) أن مولده ١٨٥٩م وبذلك يكون مولد (إقبال) ١٨٧٦م أو ١٨٧٧م وأيضا كان الشيخ إعجاز أحمد سمع من أمه (زوجة الشيخ عطا محمد) بأن (إقبالا) كان يدرس فى الصف الخامس فى ١٨٨٨م عند زواجهما وكان عمره عشرة أعوام أو اثنى عشر عاما تقريبا وهذا ما يؤيده الملف التعليمى (لإقبال) وكانت شقيقة (إقبال) (كريم بى) قد شهدت عند الشيخ إعجاز أحمد بأنها كانت قد سمعت من أمها أن (إقبالاً) كان قد ولد يوم الجمعة عند الفجر ويكون الثالث من ذى القعدة لسنة ١٢٩٤هـ يوم الجمعة، ولا يصح أى تاريخ آخر لمولد (إقبال) يمكن أن يكون يوم الجمعة فى تلك السنة (٥٨) .

ويرى الدكتور وحيد قريشى أننا لو سلمنا بأن هذا التاريخ لمولد (إقبال) صحيح فيمكن أن يصح ما جاء على لسان أسرة (إقبال) بأنه ولد صباح الجمعة إلا أن الذى

جاء على لسان الأسرة من أنه ولد فى شهر ديسمبر لا يصح حينئذ ، ويقول إننا إذا أردنا أن نطابق بين ما جاء على لسان الأسرة أنه ولد يوم الجمعة وأن ذلك كان فى شهر ديسمبر فلابد أن نصدق أحد القولين ونرفض الآخر وإلا فلابد لنا أن نبحث عن تاريخ آخر لمولد (إقبال) [٥٩] . ويرى مؤلف هذا الكتاب أن ما جاء من ذكر شهر ديسمبر على لسان الأسرة إنما يرجع إلى الظن والتخمين وإلا إذا كان شهر ديسمبر يعنى فصل الشتاء فيمكن المطابقة بين القولين المرويين على لسان الأسرة .

وقد أورد البعض من أهل العلم المزيد من الاعتراضات على هذا التاريخ لمولد (إقبال) ؛ فمنها أنه أى تاريخ المولد هذا لم يسجل فى الوثائق الرسمية لبلدية المدينة إلا أن عدم التسجيل لا يعنى عدم المولد وخاصة إذا رأينا أن الناس لم يكونوا يهتمون بتسجيل المولد كما يهتمون به فى يومنا هذا ، وقد أوضحنا فيما مر أنه لا يصح من تسجيل المواليد لأولاد (الشيخ نور محمد) إلا تسجيل مولد واحد وهو الذى كان (الشيخ محمد رفيق) قد أعلم به السلطات ، وأما الباقى من المواليد المسجلة فهى كلها مشكوك فيها ولعل (الشيخ نور محمد) لم يكن يهتم بتسجيل المواليد اهتماما كبيرا .

وأما الاعتراض الثانى فقد أورده مؤلف كتاب (إقبال داخل منزله) قائلا :

«أما سوء التفاهم الذى وقع حول ١٨٧٦م فالسبب فى ذلك أن اختلاف السن بين شقيقتى (إقبال) الكبريين ثلاث سنوات وكذلك بين شقيقتيه الصغريين اختلاف السن ثلاث سنوات أيضا ، وكذلك الطفل المولود فى فبراير ١٨٧٣م أصغر من شقيقته الكبرى المغفور لها (طالع بى) بثلاث سنوات تقريبا . وكأن هذه الفترة المشابهة بين المواليد ظنتها الأسرة ظاهرة مستقلة للمواليد لأبوى (إقبالاً) وذلك مما جعل أعضاء الأسرة يعتقدون بان العلامة اقبال كان قد ولد فى ١٨٧٦م بعد الطفل المولود والمتوفى فى فبراير ١٨٧٣م بثلاث سنوات ، وفكرة الفترات التى تقع بين المواليد عادة هى التى كانت سببا فى دعم هذه الفكرة بين أعضاء الأسرة وخاصة إذا نظرنا إلى أن البسطاء

من الناس فى ذلك الوقت كانوا لايهتمون بالتفكير الكثير فى مثل هذه الفروق وسوء التفاهم هذا هو الذى اشتهر شيئا فشيئا حتى أصبح ٢٩ ديسمبر ١٨٧٦م تاريخا لمولد إقبال ولم يتذكر أحد منهم أن شقيقة العلامة (إقبال) الصغرى هى التى كانت قد ولدت فى سنة ١٨٧٦م وهذا الذى جعل شاعر الإسلام نفسه يعتمد على هذا التقليد المتوارث فى الأسرة ويكتب فى ترجمته الموجزة المقدمة مع أطروحته للدكتور وفى جواز سفره سنة ١٨٧٦م تاريخا لمولده حسب التقويم الميلادى» .

وقبل كل شىء يجب التصريح بأن العلامة (إقبالاً) لم يكتب ١٨٧٦ م فى ترجمته الموجزة بوصفها تاريخ مولد له فحسب وإنما كتب تاريخ مولده مع تصريح باليوم والشهر وهو ٣ من ذى القعدة ١٢٩٤ هـ ، والأمر الثانى الذى يقتضى التوضيح هو أنه لم تعرف ظاهرة متشابهة دائمة عن المواليد فى أسرة إقبال إطلاقا إننا نستطيع أن نقول إن أبوى (إقبال) كانا قد رزقا بسبعة أطفال مات أحدهم وهو طفل رضيع، ولكنه لا يوجد ما يدل على أن هؤلاء الأولاد كانوا قد ولدوا حسب ظاهرة متشابهة دائمة من المواليد فى الأسرة أى بعد كل ثلاث سنوات . و يرى المؤلف لهذا الكتاب أنه إذا كان (إقبال) قد ولد بعد الطفل الذى مات بعشرة أشهر والربع فذلك مما يكذب هذه الظاهرة المزعومة وإن مولد الطفلين خلال سنة واحدة إنما هو حدث كان يجب أن يتذكره أعضاء الأسرة إلا أنه لا يوجد شىء من هذا .

والاعتراض الثالث قد أورده أيضا مؤلف كتاب (إقبال داخل بيته) قائلا إن زوجة (إقبال) الأولى (كريم بى) تقول بأن سن (إقبال) كانت عشرين عاما أو أقل شيئا ما من ذلك فى ١٨٩٣ م عند زواجهما [٦١] . والجدير بالذكر أن العقيد الخواجا (عبد الرشيد) كان قد كتب مقالا فى مجلة (تشتان) الصادرة من لاهور فى ٢٧ نوفمبر ١٩٧٢ م وعنوانه (البنجابيون أصحاب المناصب) والعقيد الخواجا (عبد الرشيد) هو ابن أخى الخواجا (فيروز الدين) وهو - أى الخواجا فيروز الدين - كان عديلا (لإقبال) وكانت تحته أخت زوجة (إقبال) من بين شقيقاتها الصغيرات وقال العقيد الخواجا (عبد الرشيد) فى مقاله هذا إن (كريم) كانت قد حكت له أن عمرها عند الزواج

كان خمسة عشر عاما ، وكان (إقبال) أكبر منها بخمس سنوات أى أنه كان ابن عشرين عاما ، وقد ماتت زوجة (إقبال) الأولى فى ١٨٤٦ م فإذا كانت قد أخبرت العقيد الخواجا بذلك فلابد أنها حكت له قبل وفاتها ، إلا أن العقيد الخواجا (عبد الرشيد) هذا كان قد كتب مقالا عن حياة (إقبال) الابتدائية فى جريدة (باستان تائمز) الصادرة فى ١٢ يوليو ١٩٦٤م وفى هذا المقال كان قد نشر وثيقة عقد نكاح (إقبال) عن وثيقة زواجه الأول وذكر فيه تاريخ مولد (إقبال) أيضا، وقال إنه تحدث مع (كريم بى) عن (إقبال) أكثر من مرة إلا أنه لم يذكر فى مقاله هذا ما مر آنفا . قال فى مقاله هذا باللغة الإنجليزية ما معناه :

«وثيقة عقد النكاح هذه تدل على أن زواج (إقبال) الأول كان قد تم فى ٤ مايو ١٨٩٣م فى مدينة كجرات حين كان قد نجح فى امتحان الشهادة الثانوية وعمره لم يتجاوز ستة عشر عاما ، وذلك لأن مولده هو ٩ نوفمبر١٨٧٧م» .

وفى مقاله هذا كان العقيد قد ذكر أن أحد الشاهدين على عقد النكاح اسمه (الحاج نور محمد بن حاتم مير الكشميرى) الساكن بمدينة (سيالكوت) وظن أن هذا الشاهد هو والد (إقبال) واستنتج من هذا أن ما يدعيه إقبال بأنه من سلالة البراهمة أو من قبيلة (سبرو) ليس صحيحا؛ لأن والده ذكر مع اسمه فى هذه الشهادة بأنه (مير) ، و (مير) قبيلة كشميرية من أصل مغولى أو تركى ، ولم يحاول هذا الكاتب أن يعرف (بالحاج نور محمد) أبدا ، واسم والده ليس (حاتما) وإنما هو (الشيخ محمد رفيق) وأن (الحاج نور محمد بن حاتم مير) هذا إنما هو قريب من أقاربه وكان ابن أخيه (فضل دين مير) قد تزوج حفيدة (الشيخ غلام محمد) الشقيق الأصغر (للشيخ نور محمد) .

وقد جاء فى رسالة بعث بها (الشيخ عطا محمد) إلى (الشيخ إعجاز أحمد) أن السيدة (كريم بى) هذه كانت أكبر من (إقبال) بثلاث سنوات عند الزواج وهذا مما أيدته شقيقات (إقبال) ، وقد جاء فى صفحات ٨٣ و ١٧٢ من كتاب (العلامة (إقبال) وزوجته الأولى) للسيد (حامد الجلالى) أن السيدة (كريم بى) كانت قد توفيت فى ١٩٤٦، وقد جاء فى صفحة ٢٦ من هذا الكتاب نفسه تحت صورة لها ما نصه :

« فى ٧٠ سنة من عمرها قبل وفاتها بأربعة أيام ، فإذا كانت السيدة (كريم بى) كانت قد توفيت فى ٧٠ سنة من عمرها فى ١٩٤٦ فلابد أنها كانت قد ولدت فى ١٨٧٥م أو ١٨٧٦ م، فإذا كان (إقبال) أكبر منها بخمس سنوات فلابد أنه كان قد ولد فى ١٨٧٠ م أو ١٨٧١م وهذا لا يصح إطلاقا واللجنة المركزية لتاريخ مولد (إقبال) كانت قد رجعت فى بحثها إلى الوثائق الرسمية لبلدية مدينة (كجرات) لتعرف تاريخ المولد للسيدة (كريم بى) هذه فوجدت اللجنة فى سجل المواليد والوفيات أن تاريخ مولدها هو ٢٢ مارس ١٨٧٤م، وبذلك إذا كان (إقبال) أكبر منهما بخمس سنوات فلابد أن يكون قد ولد فى ١٨٦٩ وهو خطأ فاحش . إما إذا كان أصغر منها بثلاث سنوات فكان مولده ١٨٧٧م ».

ويستحق الاهتمام بهذه المناسبة ما حققه الدكتور (وحيد قريشى)؛ حيث نشر فى مقاله عن هذا الموضوع ما جاء فى الوثائق الرسمية للبلدية عن مولد البنتين الأخريين للدكتور (عطا محمد) (والد السيدة كريم بى) فقد ولدت إحداهما كما يظهر من الصورة الفوتوغرافية للوثائق فى ٢٢ مارس ١٨٧٤م والثانية فى ٢٠ أبريل ١٨٧٧م، واستنتج من هذا أن ما جاء فى الوثائق فى ٢٢ مارس ١٨٧٤م ليس عن السيدة (كريم بى) وإنما هو عن بنت أخرى للدكتور (عطا محمد) التى ولدت له فيما بعد ؛ لأن السيدة (كريم بى) كانت قد ولدت بمدينة جدة كما حكاه السيد (حامد الجلالى)؛ حيث كان والده يحتل وظيفة نائب القنصل ، وقد أقام بجدة عشر سنوات وكان يتحدث بالعربية بطلاقة ويرى الدكتور وحيد قريشى أن السيدة كريم بى يمكن إن كانت قد ولدت فى ١٨٧١ م وبذلك إذا كان ما تقوله تقاليد الأسرة بأنها كانت أكبر من (إقبال) بثلاث سنوات فيكون (إقبال) قد ولد فى ١٨٧٣م [٦٢] .

ونسلم بأن المعلومات التى حصل عليها السيد (حامد الجلالى) عن السيدة (كريم بى) مصدرها هو (افتاب إقبال) ابن العلامة (إقبال) وقد ذكر السيد (حامد الجلالى) أن مولد الدكتور (عطا محمد) ١٨٥٩م [٦٣] وعلى هذا إذا كان ما افترضه

الدكتور (وحيد قريشى) عن مولد السيدة (كريم بى) صحيحا؛ فالفرق بين مولدها مولد أبيها الدكتور (عطا محمد) اثنا عشر عاما، فكأنه كان قد عين نائب القنصل بجدة وعمره اثنا عشر عاما، وفى هذه السن نفسها ولدت له السيدة (كريم بى) وهذا الاستدلال لا يمكن أن يكون صحيحا .

على كل فإن البعض من أهل العلم لا يعترفون بمولد (إقبال) فى ٩ نوفمبر ١٨٧٧م فمنهم فريق يقول إن الإعلان بهذا التاريخ من المولد يرجع إلى مصلحة سياسية [٦٤] . إلا أن الذى استدل به هذا الفريق من مولد (إقبال) فى ١٨٧٣م استدلال ضعيف كما هو الظاهر ؛ فعلى سبيل المثال يسلم الدكتور (وحيد قريشى) على أساس ما جاء فى الملف التعليمى (لإقبال) ويرى أيضا أن التصريحات التى أدلى بها أعضاء أسرة (إقبال) متناقضة أو جاءت على أساس الذاكرة ، وهذا التناقض كما يراه الدكتور (وحيد قريشى) يرجع إلى ما جاء فى كتاب (إقبال داخل منزله) أو ما جاء فى مقال العقيد الخواجا عبد الرشيد من التصريح المزعوم الذى أدلت بها زوجة (إقبال) الأولى السيده (كريم بى) وذلك على أساس ما حكاه عن ذاكرة السيدة (كرم بى بى) زميلة (إقبال) ونظرا إلى إمكان مولد السيدة (كريم بى) فى ١٨٧١م يستنتج الدكتور (وحيد قريشى) أن مولد (إقبال) يمكن أن يكون ١٨٧٣م لأنه كان أكبر من زوجته بثلاث سنوات كما تقول التقاليد للأسرة .

وأما مؤلف هذا الكتاب (أى جاويد (إقبال) فهو يرى أن ما جاء فى الملف التعليمى (لإقبال) يوافق ما كتبه هو بخط يده عن تاريخ مواده موافقة قريبة وبكل سهولة ولا يوافق القول بمولده فى ١٨٧٣م ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الظروف والوقائع وما أدلى به كبار أسرة (إقبال) من تصريحات تؤيد هذا التاريخ عن المولد بالنسبة إلى ١٨٧٣ م ، وفى ضوء هذه الدلائل يمكن القول بأن تاريخ .. مولد (إقبال) هو ٣ ذى القعدة ١٢٩٤ هجرية الموافق للتاسع من نوفمبر ١٨٧٧م .

الفصل الرابع

عهد الطفولة والصبا

كان والد إقبال المتصوف قد رأى فيما يرى النائم قبل مولد إقبال بأيام كأنه فى ميدان واسع وفيه كثير من الناس وحمامة تحلق فى السماء طائرة واقعة ، ويحاول كل واحد من الناس أن يمتلك تلك الحمامة ، فيرفعون أيديهم فى شىء من القلق والتهالك عليها ، وهى طائرة فوق رءوسهم ، وأما الحمامة فكانت تهبط مرة وترتفع أخرى نحو السماء طائرة محلقة ، وأخيراً نزلت الحمامة فجأة ووقعت فى حجر الشيخ المتصوف ؛ فعبر الشيخ نور محمد رؤياه هذه بأنها بشارة خفية من عالم الغيب يولد له ويقوم بخدمة الإسلام [1] .

وفى الصباح الباكر حين ارتفعت أصوات المؤذنين من مآذن المساجد لمدينة سيالكوت يوم الجمعة فى ٣ / ذى القعدة ١٢٩٤ هـ (الموافق ٩ / نوفمبر ١٨٧٧ م) ولد طفل جميل أبيض البشرة أحمرها للشيخ نور محمد فى ضوء مصباح ضئيل داخل غرفة صغيرة من الغرفات المظلمة من ذلك المنزل ذى الطابق الواحد ، فأقبل على الطفل كل من كان داخل المنزل حينئذاك ، وسمى الشيخ نور محمد وهو فى السنة الأربعين من عمره طفله المولود (بمحمد إقبال) وذلك تعبيراً صادقًا لرؤياه التى كان قد رآها قبل ذلك .

وكان لهذا الطفل الصغير (إقبال) شقيق فى الثامنة عشرة من عمره واسمه الشيخ عطا محمد ، ولعله كان متزوجًا فى ذلك الوقت ، وكانت شقيقة إقبال (فاطمة بى) أصغر من الشيخ عطا محمد ، ولعلها كانت متزوجة أيضًا ، ولكن شقيقته (طالع بى)

كانت قد بلغت السابعة من عمرها ، وكانت عائلة عمه الشيخ غلام محمد أيضًا نازلة في المنزل نفسه ؛ ففي هذه العائلة الفقيرة أو متوسطة الحال كان إقبال قد ولد ونشأ في حجر أمه الحنون السيدة (إمام بى) وفي هذا المنزل الذى لم يكن فيه الكهرباء أخذ إقبال يتعلم المشي واللعب داخل فناء الدار ، ثم أخذ يتدرج في المراحل المختلفة للتعليم الابتدائي ويتذاكر دروسه الابتدائية في ضوء المصباح داخل الغرفات الصغيرة المظلمة .

ولما كان الشيخ نور محمد رجلاً متدينًا رأى أن يقصر ابنه على التعليم الديني فقط . وكان على صلة طيبة بعلماء مدينة سيالكوت وفضلائها ، وكان يحضر في حلقات الدروس الدينية للشيخ أبي عبد الله غلام حسن في بعض الأحيان . وكان الشيخ غلام حسن يفسر القرآن الكريم في مسجد من مساجد حي (شواله) أيضًا . ومن ثم أخذ الشيخ نور محمد ابنه محمد إقبال وهو ابن أربع سنوات وأربعة أشهر إلى مسجد الشيخ غلام حسن [٢] ، وفي هذا المسجد تعلم إقبال القرآن الكريم ، ولا يمكن أن نجزم القول عن المدة التى قضاها إقبال عند الشيخ غلام حسن وهو يقرأ القرآن المجيد ، إلا أن هذه المدة يمكن أن تكون سنة واحدة تقريبًا .

وذات يوم جاء الشيخ مير حسن إلى ذلك الكُتّاب فرأى إقبالاً وهو يتلقى الدروس هناك فتأثر الشيخ بما رأى للطفل من جبينه الواسع ووجهه الجاد وشعره البنى فسأل الشيخ غلام حسن عن ذلك الطفل وحين عرف بأنه ابن الشيخ نور محمد اقترب منه وجلس إليه ، وكان يعرف الشيخ نور محمد جيدًا ، فنصحه أن لا يكتفى بالتعليم الدينى لابنه بل يجب أن يرسله للتعليم المعاصر أيضًا ، واقترح عليه أن يسحب ابنه من الكتاب ويسلمه إليه ، إلا أن الشيخ نور محمد لم يزل مترددًا لأيام ، ولكنه سلم ابنه إقبالاً إلى الشيخ سيد مير حسن حين ازداد إصراره ، ومن ثم التحق إقبال بالمدرسة الدينية للشيخ سيد مير حسن في حارة مير حسام الدين على مقربة من منزله ، وأخذ يدرس اللغة الأردية والفارسية والعربية .

ويحدثنا إقبال نفسه عن تعليمه الابتدائى قائلاً [٣] :

« كـانت العلوم والمعـارف الحكمـيـة تدرس فى بنجـاب فى ذلك الوقت ، وكـان والدى يتـمنى أن يرسلنى للتـعليم فـأرسلنى فى البداية إلى مسجد الحى ثم أرسلنى إلى حضرة الشيخ سيد مير حسن » .

وكان إقبـال ذكيًا بارعًا للغاية ، ومن ثم اهتم الشيخ سيد ميـر حسن بتعليمـه اهتمامًا خاصًا استمر ذلك ثلاث سنوات تقريبًا . وفى أثناء ذلك كان الشيخ سيد مير حسن قد بدأ يعمل مدرسًا بمدرسة (الإرسالية الإسكاشية) ، ولما كان هذا الشيخ من أنصار التعليم المعاصر ويرى من اللازم أن ينتشر بين المسلمين فـأقنع الشيخ نور محمد أن يرسل ابنه إلى مدرسة الإرسـالية الإسكاشية ، وليس لدينا ما يحقـق لنا سن إقبال وعن أى صف قبل فيه حين أرسله أبوه إلى تلك المدرسة ، ولكنه كان طفلاً ذكيًا بارعًا للغاية ومن الممكن أن يكون قد قبل فى الثامنة أو التاسعة من عمره فى الصف الثانى أو الثالث فى المدرسة ، ولم يكن إقبـال يدرس على أسـاتذة المدرسـة فحسب ، وإنما كان يدرس كذلك على الشيخ سيد مير حسن فى بيته أيضًا ، وكان من دأب الشيخ سيد مير حسن أنه كان يخرج بائعًا مشتريًا إلى السوق . فيرافقه تلاميذه حتى لا يقطع صلته بالتدريس والتعليم (٤) .

وأما الجو داخل منزل إقبال فكان بسيطًا ونقيًا للغاية ، وكان الدخل يأتيه إما من المحل التجارى للشيخ نور محمد أو من الراتب الشهرى الذى كان يبعث به الشيخ غلام محمد من مدينة (روبر) لنفقة أسرته ، وكانت السيدة (إمـام بى) هى ربة البيت والمشرفة على شئون الأسرة طوال إقامتهم هناك . وحدث مرة أن قل الدخل الشهرى من المحل التجارى مما أكره الشيخ نور محمد على أن يعمل موظفًا عند غنى من أغنياء سيالكوت وهو النائب (وزير على البلجرامى) فى وظيفة الخياطة إلا أنه ترك هذه الوظيفة بعد بضعة أشهر ، ويقول البعض ممن ترجم لإقبال بأن السبب فى الاستقالة من الوظيفة أن السيدة إمام بى لم تكن تمس مبلغ الراتب الشهرى للشيخ نور محمد ؛ لأنها كانت تعتقد أن ما اكتسبه النائب (وزير على) من الثروة لم تأت له من الموارد الشرعية ، وإنما اكتسبه من الوسائل المشكوك فيها .

إلا أن هذا رأى مفترض ومحاولة لاتهام النائب المسكين بدون مبرر ؛ لأن سبب الاستقالة الذى حكاه الشيخ نور محمد لبعض أقاربه بمحضر الشيخ إعجاز أحمد يختلف تمامًا عن ذلك . فيقول الشيخ إعجاز أحمد إن الشيخ نور محمد قال وهو يتحدث فى موضوع الكسب الحلال أنه كان قد اكتشف بعد أيام خلال توظيفه عند النائب (وزير على) أن صناعة الخياطة لم تكن إلا بالاسم ، وأنه ليس فى حاجة إلى خياط يشتغل دائمًا ، وإنما كان النائب يحب أن يكون له نديم مصاحب ؛ لأنه كان شغوفًا بالتصوف ، وكان يتحدث مع الشيخ نور محمد عن هذا الموضوع خلال أوقات الفراغ ، ومن ثم كان الشيخ نور محمد يشعر فى قرارة نفسه بالألم ويعتقد أن ما يتقاضى من الراتب كخياط لا يجوز أن يأخذ معظمه ، وأنه لم يكن كله كسبًا حلالاً ، وحاول مرة أو مرتين أن يستأذن النائب إلا أنه كان يسوف ويماطل ، يومًا أصر الشيخ نور محمد على الاستقالة فسأله النائب عن السبب حتى يتمكن من إصلاح ذلك وهكذا أكره الشيخ (نور محمد) على أن يحكى له ما كان يشعر فى قعر ضميره من الألم وحين سمعه النائب تأثر بذلك كثيرًا وأذن له بالاستقالة ، وحين أراد الشيخ أن يخرج من عند النائب أمر بعض خدامه بأن يأخذ ماكينة الخياطة التى كان قد استوردها على حسابه ويوصلها إلى منزل الشيخ نور محمد إلا أن الماكينة كانت ملكًا للنائب فتردد الشيخ نور محمد فى أخذها فقال له النائب إننى لست فى حاجة إليها أما أنت فتعرف تشغيلها والعمل عليها وبالإضافة إلى ذلك فإنك سوف تقوم أيضًا بما نحتاج إليه من خياطة الملابس ثم قال الشيخ نور محمد لقريبه ذلك بعد أن حكى له هذه الحكاية كلها أنه رغم استقالته من الوظيفة عند النائب فقد استمر على الصلات الودية معه حتى وفاته .

وبعد أن استقال الشيخ نور محمد من الوظيفة أخذ يصنع قلانس البراقع النسوية والطرابيش فى محله التجارى فاشتهرت هذه القلانس وتلقت شعبية كبيرة للغاية ثم أخذ يبيع الدثارات والبطانيات ، وفى أثناء ذلك تزوج الشيخ عطا محمد بفتاة كشميرية من قبيلة (راثور) ، وكان أصهار الشيخ عطا محمد من رجال الجيش البريطانى ، وكان الشيخ عطا محمد أيضًا طويل القامة ورشيقًا مما جعله ينضم إلى الجيش ، وهكذا أخذت الظروف المالية للأسرة تتحسن شيئًا فشيئًا .

ويحدثنا إقبال نفسه قائلاً [٥] :

« وكان ثمن بطانية عادية في ذلك الوقت لا يزيد عن روبيتين ، وكان الوالد الكريم قد أعد أربعمائة بطانية ، أو أكثر ومن حسن الحظ أن هذه البطانيات كلها كانت قد بيعت بأثمان جيدة جداً ؛ لأن بطانية واحدة لم تكلف أكثر من نصف روبية وحين بيعت أربعمائة بطانية أو أكثر حصل على مبلغ ضخم من الروبيات فهذه كانت هي البداية لتغير ظروفنا المالية ثم وظف أخونا أيضاً » .

ولم يكن الشيخ نور محمد يرغب في التجارة كثيراً ، ومن ثم كان يكتفي بما يقوت به نفسه وأهله ، وكان يقضي كل أوقات فراغه في صحبة العلماء والأفاضل ، وكان شغوفاً بالتفكير الديني إلى جانب اهتمامه بالتصوف ، وكان قد بلغ من التصوف حتى إن مؤلفات الشيخ محيي الدين بن عربي مثل « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » كانت تدرس في بيته ، ويحدثنا إقبال نفسه عن ذلك وهو يقول [٦] :

« إنني لا أسيء الظن بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رحمه الله فقد كان والدي من الدارسين المتوغلين في الفتوحات والفصوص ، وكنت قد بدأت أسمع اسم الشيخ في تعاليمه ولم تتجاوز سني أربع سنوات ولم يزل يُدرس هذان الكتابان في منزلنا للعديد من السنوات ، ورغم أنني لم أكن أفهم هذه المباحث وأنا طفل صغير ، فإنني كنت أواظب على الحضور في حلقة الدرس ثم أخذت أفهم الكتابين حين تقدمت في اللغة العربية وكلما ازداد علمي وتوفرت الخبرة ازدادت المعرفة بالكتابين والاشتياق إليهما » .

وكان الشيخ نور محمد قد تأثر كثيراً بتعاليم الشيخ ابن عربي . وأما عن مدى تأثير التصوف الوجودي في شخصيته فيحدثنا إقبال نفسه عن ذلك حيث يقول [٧] :

« إن ألف مكتبة مليئة بالكتب لا تساوى النظرة المشفقة للوالد وهذا ما يجعلنى دائمًا أحضر عنده كلما أتيح لى ذلك ، وأنا أفضل أن أستفيد من صحبته على الذهاب إلى المصايف الجبلية . ولقد سمعته أول أمس وهو يأكل الطعام ويذكر بعض أقاربه الذى كان مات حديثًا . وحكى خلال حديثه هذا قائلاً : « من يعرف متى كان العبد قد فارق ربه ؟ » ؛ فهذه هى الفكرة التى أثرت فى نفسه وسقط مغشيا عليه واستمرت حاله هذه حتى الساعة الحادية عشر ليلاً . إن هذه محاضرات صامتة لا يمكن الحصول عليها إلا عند الشيوخ الكبار الشرقيين . أما المعاهد التعليمية الأوروبية فلا يوجد فيها أى أثر لها » .

وقد ذكر فيما مر بنا أن الشيخ سيد مير حسن كان من الدعاة إلى التعليم المعاصر ونشره بين المسلمين ، وكان قد تعرف على (السير سيد أحمد خان) ١٨٧٣ م ، وكان يشارك فى الاجتماعات السنوية للمؤتمر التعليمى الإسلامى ، وشارك فى حفلة التأسيس لكلية عليكره الإسلامية فى ١٨٧٧ م ؛ أى فى السنة التى ولد فيها إقبال [٨] .

ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نشير إلى الجهود التى بذلها والحركة التى قادها السير سيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٦٨ م) لنشر التعليم المعاصر بين المسلمين ودعوتهم إليه ، فقد ذكر فيما مر بنا من أن الحكومة الإنجليزية فى شبه القارة كانت تعادى المسلمين معاداة شديدة إلا أن موقفها نحو المسلمين قد أخذ يتغير شيئًا فشيئًا بالجهود والمحولات التى قام بها (السير سيد) الذى كان قد أكد للحكام الإنجليز أن المسلمين لا يعارضون الحكم البريطانى ، وذلك ليتمكن من تحسين العلاقات بين الإنجليز والمسلمين وبالإضافة إلى ذلك ألح على المسلمين أن يغيروا موقفهم ووجهة نظرهم فى الظروف التى كانت تحيط بهم فى حياتهم الفردية والاجتماعية وإلا فإن موقفهم الصلب قد يقودهم إلى الدمار النهائى والقضاء عليهم بوصفهم شعبًا مسلمًا .

وأراد (السير سيد) أن يؤكد للحكام الإنجليز ولاء المسلمين وطاعتهم لهم فألف كتيبًا صغيراً عن ثورة ١٨٥٧ م وسماه « أسباب بغاوت هند » أى (أسباب العصيان الهندى) وفى ١٨٦٠ م و ١٨٦١ م بدأ يكتب سلسلة من المقالات أكد فيها ولاء المسلمين وإطاعتهم للإنجليز ، ونشر كتابه « تبيين الكلام » (تفسير الإنجيل غير الكامل) فى ١٨٦٢ م ثم نشر كتابه « أحكام طعام أهل الكتاب » فى ١٨٦٨ م، كما أنه كان قد نشر تعليقاته على كتاب الدكتور (هنتر) بالإنجليزية ، والذى كان قد سماه « المسلمون الهنديون » . وبالإضافة إلى مؤلفاته هذه ألف العديد من الكتب اتخذ فيها موقف الاعتذار والمناظرة والمجادلة ، ففى ١٨٧٠ م نشر مجموعة أبحاثه عن السيرة النبوية وسماها بـ « الخطبات الأحمدية » ثم نشر تفسيره الأحمدى (غير الكامل) فى ستة أجزاء فيما بين ١٨٨٠ و ١٨٩٥ م إلى جانب سلسلة من الخطبات والمقالات والبحوث (٩) .

وفى كتابه « أسباب بغاوت هند » دافع السير سيد عن المسلمين وتهمة العصيان العسكرى المسلح التى وجهت إليهم، وكان مما رأى عن هذا العصيان أن له أسبابًا وعلى رأسها النظام العسكرى الخاطئ واقترح مشاركة الهنود فى المجلس التشريعى لنائب الإمبراطور الهندى ، كما أنه طالب الحكومة بأن توظف المسلمين الهنديين فى المناصب الإدارية العليا والمحاكم القضائية (١٠) .

وفى سلسلة من مقالاته عن المسلمين الهنود الأوفياء حاول أن يحقق أن الإنجليز أهل الكتاب بصفتهم المسيحيين ، ومن ثم ليس المسلمون من أعدائهم وألف كتابه « تبيين الكلام » ليعرف المسلمين بالديانة المسيحية لكى يكونوا على علم بموقفهم الدينى قبل أن يدخلوا مجالات المباحثة والمجادلة مع الإرساليات المسيحية ورجالها المبلغين، وأما كتاب « أحكام طعام أهل الكتاب » فكان قد ألفه لتوطيد الروابط الاجتماعية وتوثيقها بين المسلمين والإنجليز وقد حقق فى كتابه هذا أنه يجوز للمسلم أن يأكل ويشرب مع أهل الكتاب بدون أن يمس الأشياء المحرمة ، كما أنه كان قد حقق فى تعليقه على كتاب الدكتور هنتر أن الجهاد الذى قد أعلنه أتباع السيد أحمد

البريلوى وأنصاره لم يكن ضد الإنجليز ، وإنما كان ضد السيخ ، وأما « الخطبات الأحمدية » فيمثل موقفًا اعتذاريًا وقد ألفه السير سيد وهو فى إنكلترا . وفى هذا الكتاب ردود على اتهامات وجهها (وليام ميور) فى كتابه عن السيرة النبوية ، وأما تفسيره للقرآن الكريم فقد كان يهدف إلى أن يحقق بأن الإسلام دين علمى يقوم على المبادئ العقلية وكذلك فإن السير سيد كتب الكثير من المقالات عن الجهاد الإسلامى ويرى فى مقالاته هذه أن الجهاد الإسلامى لم يفرض على المسلمين للاعتداء وإنما فرض عليهم للدفاع عن نفوسهم (١١) .

وكان السير سيد قد اتخذ زيا تركيا (أوربيا) وتوسع فى اختلاطه ولقاءاته مع الإنكليز، وفى ١٨٦٩ م كان قد سافر إلى إنكلترا وتجول فى أوربا وتأثر بالمدنية الأوربية كثيرا وعاد فى ١٨٧٧ م من سفره هذا فبدأ حركته الإصلاحية للمسلمين فى مجالات الدين والأخلاق والاجتماع والأدب والتعليم والسياحة والاقتصاد ، والسبب الذى جعله يقوم بحركته الإصلاحية هو التغيير الذى كان قد حدث فى شبه القارة بدعم الحكم الإنجليزى الذى كان المسلمون حديثى العهد به (١٢) .

وأما فى المجال الدينى فإن ما ألف فيه السير سيد من المؤلفات كانت قد نشرت فيما بين ١٨٧٠ م و ١٨٩٨ م وألح فيها على البحث والابتكار بدل التقليد والركود، ويقول ألطاف حسين حالى فى كتابه « حيات جاويد » (وهو كتاب عن حياة السير سيد) إن السير سيد لم يستطع أن يكمل تعليمه الدينى الابتدائى كما أنه لم يكن قد تعرف على التعليم الإنجليزى المعاصر تعرفًا شاملاً ، ومن ثم لم يستطع أن يدرك غور المدنية الغربية ، ويرى (حالى) أن هذا الوضع كان وضعا مناسبا للغاية ؛ لأنه لو كان قد أكمل تعليمه الدينى لكان قد شد نفسه بالسلاسل التقليدية ولم يكن من الممكن له أن يقبل على الحضارة الجديدة ويطلع عليها، وفى الجانب الآخر فإن الكثيرين من الطلاب الهنود الذين كانوا يتأثرون بالمدنية المتقدمة الأوربية كان يتغلب عليهم اليأس حول مستقبل الحضارة لبلادهم ، وأما السير سيد فلم يتأثر كما تأثر هؤلاء ؛ لأنه لم يتمكن من أن يدرك أغوار المدنية الغربية إدراكًا شاملاً (١٣) .

ولعل السير سيد كان يرى أن العلوم المعاصرة خطر على الإسلام ، إلا أنه كان يرى من اللازم أن يدرس المسلمون هذه العلوم المعاصرة، ومن ثم رأى من اللازم أن يشرح الأفكار والعقائد الإسلامية من وجهة نظر جديدة تختلف عن الأساليب المتوارثة القديمة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الهجوم على الإسلام الذى كان مصدره الإرساليات المسيحية كان قد دفع السير سيد أن يتخذ موقفا دفاعيا فكانت الإرساليات المسيحية تزعم دائما أن الإسلام دين يعارض العقل ، ومن ثم لا يوافق التقدم الحضارى البشرى ، وكان السير سيد يرى أن العلوم المعاصرة تقوم على التجربة والمشاهدة فبإمكانها أن تقود إلى المادية الإلحادية ، ولكن لو وضع علم الكلام الجديد يشرح الإسلام على مبادئ جديدة نظرًا إلى البحوث العلمية الحديثة فبإمكان المسلمين أن يوافق دينهم الأوضاع المعاصرة العلمية ومن ثم يقوى ذلك إيمانهم بالإسلام ؛ فكان يرى أن الإسلام هو دين فطرى أو طبيعى؛ لأن النتائج التى وصلت إليها العلوم المعاصرة إنما توافق ما جاء فى التعاليم القرآنية (١٤) .

وكان أسلوب السير سيد الفكرى يقوم على وجهة نظر متغيرة ولم يكن هناك شىء جديد أو تجدد فى أفكاره هذه لأنها كانت توافق آراء بعض الشخصيات البارزة فى التاريخ الإسلامى وليس من الصحيح أن يذهب الظن بنا إلى أن المبادئ العقلية التى يقوم عليه تفسير السير سيد للإسلام إنما هو رد فعل للفلسفة أو الأفكار المتداولة المعاصرة فى الغرب كما أن ما ألفه فى مجال الديانة لم يكن رد فعل لحركة فلسفية فى أوروبا وذلك لأنه لم يتمكن من دراسة الفلسفة الغربية ، وإنما يمكن القول بأنه كان قد تأثر بالمدرسة الفكرية للمعتزلة من المسلمين، وكان يرى السير سيد أن عمل المسلمين ظل إبداعيًا ابتكاريًا مادامت فيهم روح البحث والتحقيق حية مستمرة ، وأنه لم يكن صدام أو تشابك بين العلوم أو التقدم والإسلام إلا عند ما اتخذ المسلمون موقف التقليد والركود ، ولم يعد الإسلام « قوة فعالة وحركة حيوية ودينًا إبداعيًا ، وإنما أصبح دين الجمود والركود واختلط بالأفكار الإسلامية أفكار اليهود والنصارى والهنادكة والتقاليد المحلية (١٥) .

وكانت أفكار السير سيد الدينية أفكاراً شخصية ذاتية تقصر على نفسه ، ولم يكن يريد أن يكره الآخرين على الاعتراف بها أو الاستسلام دونها، كما أنه لم يكن يريد أن يؤسس فرقة دينية جديدة ، ومن ثم لم تؤثر حركته في مجال الدين كثيراً. وبالإضافة إلى ذلك فإن الآخرين من المصلحين من أمثال القاضي سيد أمير علي والشيخ خدا بخش والشيخ تشراغ علي قاموا بمحاولات لتفسير الإسلام طبقًا لأساليبهم الخاصة ، وألفوا العديد من الكتب في ذلك إلا أنها كلها تتخذ موقفا دفاعيا واعتذاريا .

وقد عارض رجال الدين السير سيد وأفكاره الدينية معارضة شديدة وهذه المعارضة قد أثرت في حركته الإصلاحية التي كانت تنادي بالتعليم المعاصر والعلوم الجديدة ونشرها بين المسلمين ؛ لأن عامة المسلمين كانوا يظنون أن السير سيد إنما يريد أن ينشر أفكاره الدينية بين الجيل المسلم الجديد باسم التعليم المعاصر والعلوم الجديدة ومن ثم صدرت الفتاوى من قبل رجال الدين والفتوى بمكة المكرمة تكفر السير سيد، ونشرت هذه الفتاوى ووزعت واتهمته بأنه دجال ملحد وقد تمت محاولة لاغتياله أيضًا إلا أن السير سيد لم يزل ثابتا على موقفه الديني ولعل هذا الذي جعل رجال الدين في الهند يؤسسون ندوة العلماء في لكنؤ في ١٨٦٠ م ثم يؤسسون دار العلوم بها (١٦) .

وكانت حركة السير سيد الإصلاحية للأخلاق والمجتمع إنما هي نتيجة للتغيير السياسي الذي حدث في شبه القارة فقد كان (راجا رام موهن رائي) من المصلحين الهنادكة قد قام بدعوة بين أبناء ديانته إلى المدنية الغربية وإدراك أهميتها ومن ثم كان الهنادكة قد قاموا ببناء المجتمع الجديد وتقدموا المسلمين بخمسين عاما تقريبا (١٧) .

وأصدر السير سيد مجلته « تهذيب الأخلاق » عقب عودته من إنكلترا فأخذ هو وأنصاره ينشرون المقالات فيها ويلحون على المثقفين من المسلمين أن يتركوا التغيير الذي حدث فيغيروا وجهة نظرهم نحو الأوضاع الراهنة . وكان السير سيد يرى أن الأمراض الاجتماعية التي أنقضت ظهر المجتمع الإسلامي لم يكن سببها الوحيد هو

إنشاء الحكم الإنجليزى فى شبه القارة وإنما كانت هناك أسباب أخرى كثيرة قادت المسلمين إلى الاستعباد والفوضى ومنها الجهل وضعف العقيدة والأثرة والكبر والرجعية وضيق الأفق والحرمان من الإقدام والقوة العملية والعواطف الأخوية وكان يرى أن عظمة أمة إنما تقصر على الأسلوب الفكرى والعملى لأفرادها الذين يؤثرون المصالح الاجتماعية والأهداف الشعبية العظيمة على أغراضهم الشخصية ومصالحهم الفردية ، وكانت مجلة « تهذيب الأخلاق » تنادى بمبادئ العدل والتعاون والتقدم والسعة فى وجهات النظر، كما أنها كانت تؤيد وتنادى بالعواطف الأخوية الإسلامية ونشرها فى المجتمع الإسلامى وكانت تلح على المسلمين أن يهتموا بالتعليم المعاصر وخاصة العلوم الحديثة وفى الوقت نفسه كانت تعارض الرجعية والإهمال والبطالة وسوء الخلق وضعف العقيدة وتمنع المسلمين وتحذرهم من التقاليد المحلية غير الإسلامية ، وأن يجتنبوا كل ما يسيء إلى التمدن الإسلامى .

استمرت مجلة « تهذيب الأخلاق » تصدر لاثنتى عشرة سنة ، ويرى الشيخ (حالى) أن هذه المجلة كانت قد أثرت كثيرا فى نفوس متوسطى الحال من المسلمين الذين لم يكونوا غير متعلمين، كما أنهم لم يكونوا قد تأثروا كثيرا بالتعليم المعاصر . أما الشيوخ ورجال الدين فقد كانوا يعارضون هذه المجلة لأنها فى رأيهم كانت تحمل أفكارا مضادة للإسلام ومضرة للمسلمين .

وقد أثرت جهود السير سيد فى الأوضاع الراهنة وكان من نتائجها الإيجابية أنها نجحت فى إيجاد نخبة متذوقة فى العلم والأدب من المسلمين فقد كان شعراء اللغة الأردوية يتبعون الأسلوب الفارسى فى الشعر وكانت لديهم موضوعات شعرية ضيقة جدا ، وكذلك النثر الأردوي لم يستطع أن يحقق تقدما ملموسا ، إلا أن الشعراء الجدد كانوا قد أوجدوا بناء جديداً للشعر الأردى الهادف إلى تقدم الأمة الإسلامية وخيرها وصلاحها وكذلك حدث تغيير فى النثر الأردوبى وأنشأ السير سيد مطبعته فى ١٨٦٣ م بمدينة غازى فور ومنذ ذلك اليوم بدأت حركة الطبع والنشر والتوزيع تنتشر بين المسلمين على نطاق وسيع (١٩) .

وأما الخدمات التى قام بها السير سيد فى مجال التعليم الجديد ونشره بين المسلمين فهى خدمات عظيمة جدا، وكان المسلمون يرغبون عن التعليم المعاصر لأسباب؛ فيرى الشيخ حالى أن المسلمين لم يكونوا يملكون كفاءة ليدرسوا اللغات الأجنبية ، وذلك لأنهم أينما اتجهوا أو نزلوا فى مكان رافقتهم لغاتهم وآدابهم وكانوا قد كونوا نظامهم التعليمى الخاص خلال القرون الطويلة . وكان هذا النظام التعليمى يجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية بشكل غريب مدهش ولم يمر وقت طويل حتى بدأوا يعتبرون هذا النظام التعليمى من دينهم الإسلامى فكان المسلمون يعتزون دائمًا بنظامهم التعليمى ويعتقدون أنه أفضل من جميع النظم التعليمية الأخرى ، ومن ثم كانوا قد رفضوا النظام التعليمى الجديد الذى كانت الحكومة البريطانية قد طبقته بعد أن كانت قد ألغت النظام التعليمى الإسلامى وذلك فى ١٨٣٥ م ، وكان المسلمون يظنون أن النظام التعليمى الجديد إنما الغرض منه إبعاد الجيل الناشئ المسلم عن دينه الإسلامى وهذا ما جعل المسلمين يرسلون أولادهم إلى المدارس الدينية أو الكتاب ليكملوا تعليمهم الدينى قبل أن يرسلوهم إلى المدارس الجديدة الإنجليزية . وأما الهنادكة فكان الأمر عندهم بالعكس ومن ثم كان يلتحق الأطفال المسلمون بالمدارس الإنكليزية وهم أكبر سنا بكثير من الأطفال الهنادكة الذين كانوا يسبقونهم إلى المدارس الثانوية الإنكليزية ، ولم يكن الشاب المسلم يأمل فى الحصول على وظيفة حكومية كبيرة بعد إكمال الدراسات؛ لأن الحكومة البريطانية كانت قد أغلقت أبواب هذه المناصب دون المسلمين كما أن المسلمين كانوا قد تخلفوا عن الهنادكة فى المجالات الاقتصادية والتجارية ولم يكن من الممكن لهم الحصول على التعليم المعاصر . ويقول الشيخ حالى إن عدد الطلاب المتخرجين المسلمين من معاهد كلكتة ومدراس بومباى والجامعات المعروفة الأخرى فى شبه القارة ، والذين كانوا يعيشون على المساعدات الحكومية لم يكن يزيد عن عشرين متخرجا بين سنة ١٨٥٨ م و ١٨٧٥ م وأما بالنسبة إلى المتخرجين الهنادكة فإن عددهم يبلغ ثمانمائة وستة وستين متخرجًا خلال هذه المدة (٢٠) .

وأما أكبر ما اعترض به المسلمون على النظام التعليمى الجديد هو أنه كان نظاما علمانيًا أو إلحاديا وكانوا يخشون على أجيالهم من انتشار العقائد الإلحادية بينهم .

وكذلك كان المسلمون يعتقدون أن النظام التعليمى الجديد إنما هو نظام أجنبى وقد جاء به شعب غير مسلم وكان الغرض من ذلك هو القضاء على التقاليد الاجتماعية والثقافية الإسلامية وتطبيق المدنية الأجنبية على الأجيال الناشئة المسلمة تطبيقًا إجباريا . على كان فإن الحكومة البريطانية كانت قد بدأت تهتم بنشر التعليم المعاصر بين المسلمين فى ضوء الاعتراضات التى جاءت من قبلهم وذلك فى ١٨٧٠ م كما أن الحكومة البريطانية أخذت تحس بأهمية اللغات العربية والفارسية والأردوية فاتخذت خطوات لتدريسها فى المعاهد التعليمية بجانب اللغة الإنجليزية وفى الوقت نفسه قدمت الحكومة مساعدات مالية للمعاهد التعليمية الإسلامية كما كانت تقدمها للمعاهد التعليمية غير الحكومية، كما أنها قدمت المنح المالية للطلاب المسلمين وكانت اللجنة التعليمية لسنة ١٨٨٢ م قدمت تقريرها وأبدت فيه تعاطفها نحو المسلمين واقترحت ضرورة التغييرات المناسبة فى النظام التعليمى الجديد نظرا لحاجات المسلمين الثقافية (٢١) .

وكان السير سيد قد بدأ يؤيد فكرة دراسة اللغة الانجليزية منذ ١٨٥٨ م ، وكان يرى فى الوهلة الأولى الاكتفاء بترجمة الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأردوية ليتمكن المسلمون من دراسة العلوم الحديثة فى لغتهم المتعارفة، وكان قد أنشأ جمعية علمية فى مدينة غازى فور سنة ١٨٦٣ م لتحقيق هذا الغرض وبدأت ترجمة الكتب العلمية تحت إشرافه ، ونقلت هذه الجمعية من غازى فور إلى عليكرة فى ١٨٦٤ م ؛ حيث أصدرت الجمعية مجلتها الإنجليزية باسم « مجلة معهد عليكرة » فى ١٨٦٦ م ، وقد استمرت المجلة تصدر إلى ١٨٩٥ م . أما عمل الترجمة أى ترجمة الكتب العلمية الجديدة إلى اللغة الأردية فقد أصبحت محاولة غير ناجحة (٢٢) .

وأراد السير سيد أن يفهم النظم التعليمية والإدارية للجامعات الحديثة فذهب ليزور جامعة كيمبردج خلال إقامته فى انكلترا فأنشأ المؤتمر التعليمى الإسلامى بعد عودته وكان الهدف من إنشائه هو إعداد المناهج الدراسية التى يتمكن بها المسلمون من الحصول على التعليم المعاصر وفى الوقت نفسه يتمكنون من المحافظة على تقاليدهم

الثقافية والدينية ، ثم كون لجنة الصندوق لجمع التبرعات والمساعدات المالية وذلك لانشاء كلية إسلامية لأبناء المسلمين وقد نجحت هذه اللجنة فى جمع المبالغ الضخمة على الرغم من معارضة رجال الدين لها وأخيرا جاء نائب الحكومة البريطانية فى الهند اللورد لتن ليقوم بوضع الحجر الأساسى للكلية الشرقية الإنجليزية فى مدينة عليكرة التى أصبحت جامعة عليكرة الإسلامية فى ١٩٢٠ م (٢٣) .

وكان من بين المناهج الدراسية لجامعة العلوم الإسلامية الشرقية إلى جانب اللغة الإنجليزية وآدابها العلوم المعاصرة والعلوم الحديثة الأخرى، وكانت دراسة العلوم الدينية إجبارية مع دراسة الآداب والعلوم . وكان المسلمون لا يرضون بآراء السير سيد الدينية مما جعلهم لا يهتمون بشعبة العلوم الدينية التى أنشأها السير سيد فى كليته، إلا أن الطلاب المسلمين من السنة والشيعة كانو يتعلمون عقائدهم الدينية كما جاءت فى مبادئهم ومراجعهم الدينية وكانت الكلية تهتم بالألعاب الرياضية إلى جانب البرامج الثقافية الأدبية والاجتماعية، وكان باب الكلية مفتوحًا أمام الطلاب الهنادكة أيضًا ولم تكن دراسة العلوم الدينية إجبارية لهولاء الطلاب، وكان ذبح البقر ممنوعًا فى حرم الكلية كما أنه لم تكن تقدم لحوم البقر على موائد الطعام فى دار الإقامة بالكلية (٢٤) .

وكذلك فإن الإلمام بأفكار السير سيد السياسية بهذه المناسبة لا يخلو من الأهمية فقد كان يعارض المقاومة الإسلامية المباشرة للحكام الإنجليز وإنما كان يتمنى على المسلمين أن تقوم بينهم وبين الحكومة صلات الود والوفاء كى يتمكنوا من الانتفاع والحصول على المناصب الحكومية وليقوموا على قدم راسخة فى المجالات التعليمية والاقتصادية، وتحقيقًا لهذا الغرض كان السير سيد قد أنشأ منظمة شبه سياسية فى ١٨٦٦م وسماها "الرابطة الهندية البريطانية" (٢٥) .

وكان السير سيد عضواً فى المجلس التشريعى لنائب الحكومة البريطانية من ١٨٧٨م إلى ١٨٨٢م، وكان يرى السير سيد أن فقر المسلمين وبؤسهم يرجع إلى ما فقدوه من العواطف الأخوية وإهمالهم وعدم مبالاتهم بتحسين الظروف الاقتصادية لهم ؛ فكان يحث المسلمين على الرغبة فى المجالات التجارية والصناعية كما أنه كان يلح على

الفلاحين المسلمين والإقطاعيين لاستخدام الطرق الزراعية الحديثة فى خطاباته وكلماته العامة .

فقال وهو يخاطب الطلاب المسلمين فى مدينة (لوديانة) سنة ١٨٨٢م "إن من ينتمى إلى الإسلام من الناس فى هذه البلاد يكوّن شعبًا منفردًا أو أمة ممتازة " .

وفى ١٨٨٣ عارض مشروع القانون للحكومة المحلية فى الإقليم المتوسط . والموقف الذى اتخذه السير سيد هو أن الهند ليست بلدًا ، وإنما هى قارة عظيمة يسكنها شعوب متعددة تعتنق شتى الديانات وتتبع مختلف الثقافات ولا يجمع بينهم شىء من الجهة السياسية والاقتصاد ، ففى مثل هذه الظروف إذا أنشئت حكومة محلية فى إقليم من الإقاليم فقد تنشأ المشاكل السياسية والاقتصادية الكثيرة، وكان يرى أن الحكومة النيابية المحلية تعنى تغلب الأغلبية الساحقة والضغط الشديد على الأقليات فيجب قبل كل شىء القضاء على الخلافات الدينية والفروق الاقتصادية، وتكون نتيجة الديموقراطية هى القضاء على الديموقراطية بحكم الأغلبية الساحقة المتعصبة . وكان يرى السير سيد أن الأغلبية الهندوكية يمكن لها القضاء على الأقلية المسلمة متى شاءت وحيثما أرادت وذلك لأن التجارة الداخلية كلها كانت فى أيدى الهنادكة كما أن التجارة الخارجية كانت فى أيدى الإنجليز (٢٦) .

وقد أنشىء المؤتمر الهندى أو كونجرس الهند فى ١٨٨٥م بمدينة بومباى وبعد مضى سنة من ذلك فى سنة ١٨٨٦م أنشأ السير سيد الكونجرس التعليمى المحمدى بمدينة عليكرة وذلك لأنه كان يرى أن لابد للمسلمين أن يتقدموا فى المجالات التعليمية بدل أن يدخلوا فى النشاط السياسى للهند ، وفى ١٨٨٧م ألقى كلمته المعروفة بمدينة لكنؤ حذر فيها المسلمين من الانضمام إلى الكونجرس الهندى لأن الهنادكة كانوا قد تقدموا كثيرًا فى مجال التعليم والاقتصاد بالنسبة إلى المسلمين وأن المناصب الإدارية أو القضائية التى كانت تخصص لسكان الهند كان قد احتل جميعها أو أكثرها الهنادكة، ومن وجهة النظر هذه فإن إنشاء الكونجرس كان يهدف إلى الحصول على

أكبر عدد من المناصب الحكومية للطبقة المتوسطة فى الهنادكة، وأوضح السير سيد للمسلمين قائلاً إنهم أقل عدداً من الهنادكة بكثير كما أنهم لا يستطيعون أن ينافسوا الهنادكة فى مجال التعليم والاقتصاد وعليه فإذا قامت الحكومة النيابية المحلية فى الهند فمعنى ذلك أن الأقلية المسلمة المتخلفة تعليمياً واقتصادياً لن تتحرر من سيطرة الأغلبية الساحقة الهندوكية (٢٧) .

وقد بدأ الاحتجاج من أجل المناصب الحكومية المخصصة لأكبر عدد من الطبقة المتوسطة الهندوكية فى بلاد الهند وذلك فى ١٨٧٦م حين أنشأ الزعيم الهندوكى (سريندا ناس بينرجى) الرابطة الهندية بمدينة كلكتة ، وبعبارة أخرى كان هذا الاحتجاج من أجل هذه المناصب المخصصة للهنادكة قد بدأ من قبل الهنادكة البنغاليين وهم الذين كانوا قد نالوا النصيب الأوفر من التعليم المعاصر والمدنية الحديثة ، وأخذت الصحف الهندوكية فى بنغال تكتب مقالات ضد السير سيد والمسلمين بأسلوب مرير بغيض جداً (٢٨) .

وبعد إنشاء الكونجرس فى ١٨٨٥م صارت رئاسة هذه المنظمة إلى (ب .ج تيلك) الهندوكى فأخذ يقودها نحو تحقيق الأهداف، وكان (تيلك الهندوكى) لهذا رجلاً متشدداً متعصباً للغاية . وكان يؤمن بالسياسة المتشددة ضد المسلمين فكانت كلماته وخطبه التى كان يلقيها ضد المسلمين مليئة بالمرارة والبغضاء وهو الذى قد جدد تقليداً قديماً من تقاليد قوم (مرهتة) من الهنادكة وهذا التقليد يهدف إلى تكريم (شيوا جى) الزعيم الهندوكى القديم، وكان الغرض من إحياء هذا التقليد وتجديده هو تحريض الهنادكة ضد المسلمين وكذلك كان تيلك الهندوكى هذا قد أنشأ جمعية خاصة تطالب بحظر ذبح البقر كما أنه قام بتظاهر على نطاق واسع ضد القانون الحكومى الذى كان يمنع الهناد كة من الضرب على الدفوف وكان يرى (تيلك الهندوكى) هذا أن المسلمين عنصر أجنبى يجب القضاء عليه أو يجب أن يطردوا من أرض الهند ، وقد كانت النتيجة لهذه الخطوات كلها أن نشأ صدام طائفى بين الهنادكة والمسلمين فى ١٨٩٣م ، وذهب عدد ضخم من المسلمين ضحية لهذه الأحداث الطائفية، فالظاهر أن الكونجرس الهندى

كان يعد منذ نشأته تعبيراً عن القومية الهندوكية ودعوة إلى التحزب للديانة الهندوكية وانتشارها كما أنهم كانو يعنون بالحرية والاستقلال للحكم الهندوكى فى شبه القارة وفى مثل هذه الظروف لم يكن بد للمسلمين من أن يتخذوا موقفًا دفاعيًا نحو الأغلبية الساحقة الهندوكية (٢٩) .

وقد أنشئ عدد من منظمات إسلامية شبه سياسية من أجل هذا الموقف الإسلامى الدفاعى فى تلك الظروف؛ فقد كانت الجمعية المحمدية التى أنشأها الأمير عبد اللطيف فى ١٨٦٣م والرابطة المحمدية القومية المركزية التى كان أنشأها (سيد أمير على) بمدينة كلكتة فى ١٨٧٧م تهدف إلى رعاية الحقوق الإسلامية والدفاع عن أهداف المسلمين، وكان السير سيد قد أنشأ الجمعية الوطنية الهندية المتحدة بمدينة عليكرة فى ١٨٨٨م بوصفة رد فعل للكونجرس الهندى إلا أنه كان ألغاها بعد الأحداث الطائفية بمدينة بومباى فى ١٨٩٣م ، وأنشأ جمعية أخرى مكانها وسماها الجمعية الدفاعية الشرقية الإنجليزية المحمدية للهند .

وكان السير سيد قد تأثر كثيراً بالنزاع الذى قام بين أنصار اللغتين الأردوية والهندية فى ١٨٦٧م ؛ فقد كانت اللغة الأردوية قد أصبحت لغة الإدارة والقضاء بعد إلغاء الفارسية والعربية فى ١٨٣٥م ، إلا أن الهنادكة المتشددين نظموا حركة بمدينة (بنارس) فى ١٨٦٧م ؛ ضد اللغة الأردية فكانوا يطالبون بالقضاء على هذه اللغة الإسلامية لتأخذ مكانها اللغة الهندية . وذلك ما جعل الهنادكة ينشئون جمعيات لهم فى الإقليم الأعلى وإقليم بهار والأقاليم الأخرى ليحققوا ما أرادوا من الغاء الأردوية وحلول اللغة الهندية مكانها، فيقول الشيخ حالى فى كتابه "حيات جاويد" : إن هذه المظاهرة المتشددة الهندوكية ضد اللغة الأردوية كانت قد أحزنت السير سيد كثيراً وهذا مما جعله يفكر فى المستقبل الشعبى للأمة الإسلامية فى شبة القارة ولهذا فقد خاطب وهو يتكهن عن المستقبل قائلاً للوالى البريطانى لمقاطعة بنارس المستر شيكسبير بأن حلم التوحيد بين الهنادكة والمسلمين لن يتحقق أبدًا . فإن الخلافات بينهم وإن كانت قليلة ضئيلة الآن كما يبدو إلا أنها سوف تزداد شيئًا فشيئًا كلما ازداد التعليم والثقافة

بين الطائفتين . وإن عدم الثقة بينهم سوف يكون نذيرًا بالافتراق والبغضاء بينهم وهذا مما سيراه من بعدهم رأى العين (٣٠) وجعلت اللغة البهارية لغة رسمية فى إقليم بهار وألغيت اللغة الأردوية وأما الإقاليم الأخرى فاستمرت الحركة الهندوكية تطالب بجعل اللغة الهندية لغة رسمية لها . أما السير سيد فلم يزل يدافع عن اللغة الأردوية حتى الموت .

وقام السير سيد بزيارة لإقليم بنجاب فى ١٨٨٤م ، وألقى عددًا من الخطب والكلمات حرض فيها المسلمين على النهوض والحصول على التعليم المعاصر والعلوم الحديثة وكان أستاذ إقبال الشيخ سيد مير حسين من المكرمين الموثوق بهم من أهل بنجاب فى رأى السير سيد ، وفى ١٨٩٥م عقد اجتماع للمؤتمر التعليمى الإسلامى بلاهور واشترك فيه الشيخ سيد مير حسن (٣١) .

وللشيخ سيد مير حسن (١٨٤٤ - ١٩٣٩) طابع قوى على حياة (إقبال) الابتدائية للدراسة والتحصيل . وكان الشيخ سيد مير حسن عالمًا من أصحاب التفكير المتقدم؛ فكان يرعى المصالح الدينية والدنيوية لتلاميذه فى الوقت نفسه ، وكان من كبار العلماء المتصوفين بالإضافة إلى المعرفة الشاملة بالعلوم الحديثة والآداب واللغات والحساب وكان يتبع أسلوبًا شيقًا فى تدريسه مما كان يجعل تلاميذه يتذوقون اللغة الأردوية والفارسية والعربية ويرغبون فى آدابها ، وكان يحفظ الآلاف المؤلفة من الأبيات الشعرية العربية والفارسية والأردوية والبنجابية فكان عندما يأخذ فى شرح بيت فارسي ينشد العشرات من الأبيات الأردية والبنجابية فى المعنى نفسه وذلك ليسهل فهم البيت على تلاميذه، وكان الشيخ يواظب على القراءة المستمرة الدائمة بالإضافة إلى الأشغال التدريسية، وقد كان مسلمًا صحيح العقيدة يقضى أوقاته فى العبادة والذكر وكان يحفظ القرآن الكريم ويحبه حبًا جمًا . وكان يتحدث باللغة الأردوية الفصيحة السلسة خلال التخاطب العادى وكان حسن الأخلاق متواضعًا جادًا فى عمله قانعًا بما قسم له مستغنيًا بما وجده متواضعًا طلق الوجه يشكر الناس على ما أحسنوا إليه ، وكان تلاميذه ينادونه بكلمة "شاه صاحب" أى "سيدنا الشريف" حين يخاطبونه وكان يصلى صلاة التهجد ويخرج إلى مقابر المسلمين حين ينصرف من صلاة الفجر فيقرأ

الفاتحة لأقاربه وأصدقائه المدفونين فيها ، وكان تلاميذه يلحقون به وهو فى المقابر فكان يعيد عليهم دروسهم وهو عائد منها فيشتغل بتدريسهم حين يصل إلى المنزل ثم يأخذ فطوره بسرعة ويخرج إلى المدرسة وتلاميذه يرافقونه فكان يدرس فى المدرسة خلال أوقاتها ويعود إلى البيت مساء فيستمر فى تدريسه حتى الليل، وكان يشترى حوائجه من السوق شخصياً أما تلاميذه فلم يكونوا يفارقونه وهو يشترى حوائجه من السوق، وكان الشيخ سيد مير حسن يعيش حياة متواضعة بسيطة للغاية وكان يلبس الملابس العادية إلا أنها كانت نظيفة دائمًا ولم يزل يدرس فى مدرسة الإرسالية الاسكاشية طول عمره إلا أن راتبه لم يزدد على مائة وعشرين روبية حتى مات [٣٢] .

وقد اهتم الشيخ سيد مير حسن بتثقيف إقبال وتعليمه فعلمه العربية والفارسية والأردوية وآدابها بالإضافة إلى العلوم الحكمية والمعارف الصوفية وقد امتاز أسلوب الشيخ فى تثقيف التلميذ بأنه لم يعلمه فحسب وإنما جعله يتذوق العلوم الإسلامية القديمة وأنشأ فيه طموحًا وعطشًا مستمراً لا يرويه خطوة إلا وهو يشعر فى نفسه بالمزيد من العطش للعلوم والمعارف . وإن ما امتاز به إقبال من بساطة الطبع والقناعة والاستغناء والظرافة والتذوق الأدبى كل ذلك يرجع إلى الشيخ سيد مير حسن فكأن إقبالاً لم يكن إلا صورة صادقة لأستاذه وشيخه ، ولم يزل إقبال يحضر عند شيخه كلما أحس بالحاجة إلى الاستفادة منه أو اعترضه شىء من المشاكل العلمية كما أنه كان يرسل ما يجده من الكتب الجديدة لمطالعة شيخه وكان إقبال يكثر ذكر شيخه ويقول دائمًا بأنه يجد من الطمأنينة والسكينة فى دخيلة نفسه كلما حضر عند أستاذه وكان إقبال يكرم أستاذه للغاية حتى إنه لم يكن يجترئ على أن ينشد بيت شعر مما نظم بين يديه [٣٣] .

ويحكى لنا إقبال حدثًا من أحداث طفولته أنه كان جالسًا فى حلقة الشيخ وانطلق لسانه بمصراع شعرى له وكان ذلك بالصدفة . كان الشيخ قد خرج من بيته متوجهاً إلى عمله يريده وكان يرافق الشيخ طفل صغير وكان اسمه إحسان فأمر الشيخ تلميذه إقبال أن يحمله عى عاتقه ففعل إقبال ما أمر به إلا إنه لم يمض كثير من الوقت حتى أحس بالتعب فأنزل الطفل (إحسانًا) وأوقفه على دكة خشبية أمام محل تجارى ،

وأخذ يستريح وكان الشيخ قد تقدم فى السير كثيراً فإذا به يلتفت إلى إقبال فلا يجده فيقترب منه عائداً إليه ويخاطبه بكلام صدر كمصراع موزون عفواً منه فقال : أفلا تستطيع حمله ؟ فرد إقبال تلقائيًا فى شيء من الكلام الموزون ما معناه "لأن إحساسك هذا لثقيل" .

وإن صلة إقبال بحركة عليكرة والسير سيد ترجع إلى الشيخ سيد مير حسن فهو الذى دله على ذلك ولعل هذا كان هو السبب الذى جعل إقبالاً يحب حفيد السير سيد (السير رأس مسعود) حين التقيا فأصبحا صديقين مخلصين متحابين ، وكان الشيخ (سيد مير حسن) تلقى برقية عن موت السير سيد فى ١٨٩٨م وهو ذاهب إلى المدرسة فلقيه إقبال فى الطريق وكان قد جاء من لاهور إلى سيالكوت ليقضى الإجازات الصيفية فأخبره الشيخ سيد مير حسن بوفاة السير سيد فطلب منه أن ينظم قطعة شعرية يستخرج تاريخ وفاة السير سيد فدخل إقبال إلى محل تجارى قريب منه ففكر قليلاً ثم أخبره عن كلمات تسجل تاريخ وفاته وهى كلمات قرآنية :

" إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك" (٣٤) .

فعاد الشيخ من مدرسته فاستمع إلى ما أعده تلميذه فأعجبه ذلك فقال قد استخرجت أنا أيضاً تاريخ وفاته فى كلمة وهى "غفر له " (٣٥) .

وكان إقبال قد حضر إلى ضريح (الخواجا نظام الدين أولياء) وهو ذاهب إلى إنكلترا فى سنة ١٩٠٥م فنظم منظومته (التجائى مسافر) أى "رجاء المسافر" ذكر فيها شيخه سيد مير حسن قائلاً .

١ – ذلك المصباح الذى يمثل أسرة على المرتضى رضى الله تعالى عنه وسوف يظل منزله بيت الحرام بالنسبة لى طول حياتى .

٢ – ذلك الذى جعلنى أزدهر وتزدهر معى آمالى والذى أصبحت بحكم مروته من المتذوقين فى العلوم والآداب المدركين لأسرارها .

٣ – إننى أدعو الله خالق الأرض والسماء أن يرزقنى بزيارته ويجعلنى مسروراً برؤيته .

وفى ١٩٢٣م أعلمت الحكومة البريطانية إقبالاً بأنها تريد أن تمنح له لقب السير فرد إقبال على الخطاب الرسمى بخطاب بعث به إلى حاكم إقليم بنجاب وأخبره بأنه لن يرضى بهذا اللقب إلا إذا اعترفت الحكومة بالخدمات العلمية التى قام بها أستاذه الشيخ سيد مير حسن فسأله الحاكم قائلاً هل للشيخ مؤلفات؟ فرد عليه إقبال قائلاً : أنا أحد مؤلفات الشيخ ، ومن ثم منحت الحكومة لقب شمس العلماء للشيخ سيد مير حسن حين خلعت على إقبال لقب السير، وكان إقبال قد استخرج تاريخ وفاة الشيخ سيد مير حسن من قول الله سبحانه وتعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وقد عبر إقبال عن عواطفه نحو شيخه سيد مير حسن قائلاً : إن إقبالاً قد استفاض واكتسب العليا من بيت ذلك الشريف العظيم الذى ربى الكثيرين فى حجره فجعل منهم شموساً تضىء بها الأجواء .

وإن المعلومات التى حصلنا عليها عن حياة إقبال التى قضاها فى سيالكوت تجعلنا نقول بأن الطور الأول من حياته كان طور البناء للسيرة الشخصية إلى حد بعيد ، كان إقبال يدرس فى الصف الخامس حين تزوج الشيخ عطا محمد مرة ثانية فتقول زوجة أخيه إن إقبالاً كان يملك ذوقًا شعريًا فى ذلك الوقت وكان له صوت حلو للغاية ولقد كان يشترى بعض القصص المنظومة من السوق فينشدها أمام نساء البيت بصوت جميل وهى التى تقول إن إقبالاً كان ذكيًا للغاية وهو طفل صغير . وكان مقبلاً على الدراسات مجتهداً وراغبًا فيها حتى إنه كان يدرس إلى الليل، وحدث مرة "أن انتبهت أم إقبال وقد انتصف الليل فرأت ابنها إقبالاً جالسًا عند المصباح يكمل أعماله المدرسية فنادته أمه مرتين أو ثلاثًا ولكنه لم يرد عليها فنهضت واقتربت من ابنها وهزته قائلة ماذا تقرأ أنت فى مثل هذا الوقت من منتصف الليل؟ قم واسترح فرد عليها إقبال قائلاً : يا أمى ألست نائمًا وذلك أن إقبالاً كان قد نام وهو فى عمله المدرسى (٣٧) .

وهناك من الأقوال المتواترة التى تنص على أن إقبالاً كان أذكى من أترابه ولا يعنى ذلك أنه كان عثة الكتب أى المكرس نفسه لمطالعتها، وكان يرغب فى الألعاب

الرياضية أيضًا وكان يحب الدعابة والعبث ، وكان متوقد الذهن كما أنه توجد معلومات تقول بأنه كان شغوفًا بتربية الحمام والطائرات الورقية وبالمصارعة والتمارين لها . وكان يرافقه فى هذه المشاغل بعض الأصدقاء فى عهد الطفولة منهم سيد محمد تقى بن سيد سيد مير حسن والمصارع المعروف السيد (لالو) ولم يكن والده يمنعه من ذلك، أما شغفه بتربية الحمام فقد استمر حتى الوفاة فكان يجلس على سقف المنزل ويقضى ساعات جالسًا صامتًا يتمتع بطيران الحمام وتحليقه وكان يستطيع أن يعرف نوع الحمام أو نسله وهو يطير ويحلق فى السماء ويقال إن (لالو) المصارع هو الذى كان قد علمه ذلك كله .

وكان شقيق إقبال الأكبر الشيخ عطا محمد يعمل موظفًا خارج مدينة سيالكوت خلال طفولة إقبال ، إلا أن زوجته كانت تعيش بين الأسرة فى سيالكوت ، وكان عدد النسوة فى الأسرة أكثر من الرجال ، وكان الشيخ نور محمد قد رزق بنتان وهما السيدة كريم بى والسيدة زينب بى . وذلك يشير إلى أن إقبالاً كان مركزًا لأنظار أبويه ، وكان يحب أمه حبًا جمًا . وأما الأسلوب الذى اتخذه والد إقبال فى تربية ابنه فيكفى لنا أن نحكى حكايتين بالتفصيل فى ذلك وقد وصلت هذه التفاصيل إلينا عن إقبال نفسه، أما إحدى الحكايتين فقد حكاها عبد المجيد سالك والسيدة عطية فيضى فى كتابيهما . أما الحكاية الثانية فقد نظمها إقبال فى ديوان "الأسرار والرموز" ويحدثنا سالك فى كتابة "ذكر إقبال" بأن إقبالاً كان قد حكى له (٣٨) :

> **"انتبهت ذات ليلة على صوت وأنا طفل فى الحادية عشرة من عمرى فرأيت أمى تنزل من سلم الغرفة فنهضت من المضجع فمشيت خلف أمى حتى وصلت إلى الباب الذى كان نصفه مفتوحًا، وكان الضوء يدخل من الباب وكانت أمى تطل إلى الخارج من الباب فتقدمت فرأيت والدى جالسًا فى فناء المنزل وقد أحاطت به حلقة من النور، فأردت أن أقترب من والدى إلا أن أمى منعتنى من ذلك وحاولت إقناعى بأن أعود إلى مضجعى، فذهبت إلى والدى**

حين استيقظت صباحًا لكى أسأله عما جرى ليلاً فوجدت أمى قد سبقتنى إليه وأبى يحكى لها عن رؤياه التى كان قد رآها فى تلك الليلة وهو يقظان فقال والدى إن قافلة من كابل قد وصلت فنزلت على خمسة وعشرين ميلا من مدينتنا وفى هذه القافلة رجل مريض قد أشرف على الهلاك وهذا ما جعل القافلة تنزل وهى كارهة للنزول فلابد لى من أن أسارع إلى القافلة لمساعدتها، فأعد الوالد بعض الحوائج اللازمة فركب عربة الحصان وأخذنى معه فانطلقنا حتى وصلت بنا عربة الحصان إلى مقر القافلة خلال بضع ساعات، فرأينا أن القافلة تشتمل على أسر من الأغنياء وأصحاب النفوذ وكانوا قد جاءوا إلى بنجاب ليعالجوا مريضهم فسأل والدى وهو ينزل من عربة الحصان قائلاً من هو قائد هذه القافلة؟ فجاء إليه زعيم القافلة فرجاه أبى أن يذهب به إلى ذلك المريض وكان ما أدهش زعيم القافلة هو علم والدى بمريضهم ذلك وكيف يريد أن يذهب إليه بكل سرعة إلا أنه ذهب بأبى إلى المريض فى شىء من الدهشة والحيرة فرأى والدى حين اقترب من المريض أنه فى أسوأ حالة وأن بعض الأعضاء من بدنه قد تأثرت كثيرًا بالمرض العضال فأخرج والدى شيئًا كان يشبه الرماد فمسح به أعضاء المريض التى كانت قد تأثرت بالمرض تأثرًا شديدًا وقال لهم إن الله تعالى سوف يشفى مريضهم ولم أكن على يقين وثقة، كما أن أصحاب المريض لم يكونوا على شىء من الثقة واليقين فى ذلك الوقت عن ما تنبأ به والدى عن المريض إلا أنه لم يمض أربعون ساعة حتى كان المريض قد استفاق استفاقة واضحة وتأكد أصحابه من أنه سوف يبرأ فى المستقبل القريب فقدموا لأبى مبلغًا لا بأس به أجرة للخدمة إلا أن الوالد لم يقبل ذلك منهم فرجعنا إلى سيالكوت ووردت القافلة إلى

سيالكوت بعد بضعة أيام وعلمنا أن المريض الذى كان قد يئس من العلاج قد برأ بإذن الله" .

وقد جاءت هذه الحكاية بالأسلوب نفسه فى كتاب السيدة عطية فيضى عن إقبال باللغة الإنجليزية وهى تقول إن والد إقبال كان قد قضى أشهرًا فى خلوة مع ولى من أولياء الله ثم أعطى لابنه ما اكتسبه من خلوته مع ذلك الولى (٣٩) .

ويبدو أن الشيخ نور محمد كان مريدًا لسلطان العارفين حضرة القاضى سلطان محمود صاحب زاوية (أعوان شريف) وهو من السلسلة القادرية من المتصوفين ولهذا السبب كان قد بايع فى السلسلة القادرية فى طفولته (٤٠) ، وقد يمكن أن يكون الشيخ نور محمد قد اشتغل فى الرياضة الروحية من أجل التقدم فى الدرجات الصوفية وقد كان إقبال يكتب الآيات القرآنية على أوراق شجرة تسمى "بيبل" (شجرة طويلة العمر كبيرة الأوراق كثيرة الأغصان كثيفة الظل يقدسها الهنادكة) فى بعض الأحيان ويعطيها للمصابين بالحمى الدورية . فكان المريض يلعق الآيات القرآنية المكتوبة على الورق فيبرأ بإذن الله، وقد رآه مؤلف هذا الكتاب وهو طفل صغير يكتب الآيات القرآنية على أوراق الشجرة هذه وقد يمكنت أنه كان قد تعلم هذا العلاج الروحى من والده ولكن الشيخ نور محمد لم يكن له أتباع يبايعونه ، وكان إقبال قد استخرج تاريخ وفاة أبيه فى قطعة شعرية كتبها على لوحة قبره جاء فيها "شيخ إقبال ومرشده" ، إلا أنه ليس صحيحًا أن إقبالاً كان قد بايع أباه على طريقته الصوفية ، ولكن إقبالاً كان يعتبر والده مرشدًا له .

ويقول سالك فيما كتبه عن إقبال إن الرجل الذى كانت هذه حال أبيه يمكن لنا أن نقدر ما كان يجده إقبال فى قلبه من الوجدان الصوفى ؛ فهو يرى أن الذى جعل إقبالاً يختار ما بعد الطبيعيات موضوعًا لأطروحته للدكتوراه (٤١) .

ويذكر خليفة عبد الحكيم فى كتابه "فكر إقبال" بعض التجارب الروحية غير العادية التى مربها والد إقبال المتصوف، ويقول بأن والد إقبال كان يغذيه تغذية روحية إلى جانب التغذية البدنية، وكان إقبال يقول فى آخريات حياته بأنه لم يكتسب وجهه

نظره عن الحياة بالبحث الفلسفى وإنما كان قد ورث وجهة نظر خاصة عن الحياة ثم وجهت ما كنت أملكه من المواهب العقلية لتحقيق ما كنت قد ورثته من وجهة النظر الخاصة عن الحياة (٤٢) .

أما الحكاية الثانية التى نظمها إقبال فى ديوان "الأسرار والرموز" عن شخصية والده فهى كما يلى : حدث مرة أن جاء سائل يشحذ ووقف على باب دارنا، ورغم أن أهل البيت قالوا له أكثر من مرة أن يترك الباب إلا أنه كان مصرًا على أن يبقى واقفًا ولم يترك الباب وكان إقبال شابًا يافعًا فى ذلك الوقت فأغضبه ما كان يردده ذلك الشحاذ من الكلمات بين حين وآخر فلطمه إقبال لطمتين أو ثلاثًا فسقط ما كان لديه وتبعثر على الأرض مما جعل والده يتبرم ويتألم فأخذت الدموع تنهمر من عينيه فقال وهو يخاطب ابنه :

"يوم القيامة حين يجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة الإسلام وحكماؤه وشهداؤه وزهاده ومتصوفوه وعلماؤه والمذنبون النادمون فينادى ذلك الشحاذ المظلوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستغيثه فيسألنى رسول الله قائلاً كنا قد سلمنا إليك شابًا مسلمًا لتؤدبه خير تأديب على مبادئ شريعتنا الواضحة إلا إنك لم تستطيع أن تقوم بهذا العمل السهل لتجعل إنسانًا من طود ترابى فماذا سوف يكون جوابى لسيدى ومولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك يا بنى أن تتصور ذلك الجمع المحتشد وأن ترعى شرف لحيتى هذه البيضاء انظر إلى كيف ترانى أرتعد خوفًا ورجاء ألا تظلم أباك إلى هذا الحد لله أرجوك أن لا تخزينى بين يدى مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت زهرة من الحديقة المحمدية فعليك أن تكتمل حين تخرج من تلك الحديقة ، وعليك أن تتخذ اللون والرائحة من ربيع تلك الحديقة نفسها ولكى يفوح قلبك برائحة الأخلاق النبوية على صاحبها الصلاة والسلام" .

وكان والد إقبال يتبع مبادئ الكتاب والسنة فى تربية ابنه، فكان كلما منعه عن شيء أو أمره أن يعمل ذكر له إسناداً إما من كتاب الله أو سنة سوله ؛ فكان إقبال كلما سمع آية قرآنية أو حديثًا نبويًا من لسان أبيه وقف أمامه ساكنًا صامتًا متخشعًا لا يظهر على وجهه ما يدل على عدم الاهتمام بما يقوله له والده فيحكى إقبال نفسه حين يحدثنا بأنه كان طالبًا فى بعض المعاهد التعليمية بمدينة سيالكوت وكان يشتغل بتلاوة القرآن كل صباح فكان والده يمر به منصرفًا من صلاته وأوراده دون أن يلتفت إليه وذات يوم مر به صباحًا فقال له : يا بنى عليك بقراءة القرآن ، إلا أننى سوف أقول لك ما يخص عملك هذا حين أجد وقتًا لذلك فكان الولد يلح على أبيه أن يخبره بما أراد إلا أن الرجل كان يسوف عليه تشويقًا له ، وفى صباح يوم مر به والده وهو يقرأ القرآن فجاء إليه فقال بلهجة مليئة بالشفقة والرحمة : يابنى إنما أردت أن أقول لك بأن تقرأ القرآن كأنه ينزل على قلبك أى كأن الله سبحانه وتعالى يخاطبك بما جاء فى كتابه المقدس (٤٣) ، ولعل إقبالاً يشير إلى ما حدث بينه وبين أبيه ؛ حيث يقول فى شعره ما معناه :

"لايستطيع الرازى أو الزمخشرى صاحب الكشاف أن يكشف لك عن أسرار كتاب الله ومعانيه إلا إذا نزل هذا الكتاب الكريم على قلبك وضميرك" .

ويضيف إقبال قائلاً (٤٤) :

"قال لى والدى يومًا : إننى قد أنفقت الكثير من الجهد والمال فى تربيتك وتعليمك وأنا أريد منك تعويضًا لما أنفقت عليك فسألته بكل اهتمام واشتياق وما ذاك ؟ فقال الوالد رحمه الله سأخبرك به فى فرصة مناسبة حتى جاء يوم قال لى فيه : يا بنى إن التعويض الذى أريده منك لما أنفقته عليك هو أن تقوم بخدمة الإسلام وانتهى الأمر، ثم أكملت دراساتى فعدت ناجحًا فى كل ما أردته من الدراسات وأخذت أشتغل بمهنتى فى لاهور وبدأ

ينتشر شعرى فى كل ناحية وصوب، وأخذ الناس ينشدون شعرى ونظمت (نشيد الإسلام للشباب) إلى جانب المنظومات الشعرية الأخرى فكان الناس يستمعون إلى ما أنشد لهم ويقرأون ما ينشر لى من الشعر وأخذ الناس يتأثرون بما أقول وأنشد حتى جاء يوم مرض فيه والدى ولم يمض أيام حتى توفى إلى رحمة الله فكنت آتيه من لاهور لأعوده وأعرف أمره فسألته يومًا هل حققت ما وعدت لك من خدمة الإسلام أو لا ؟ فشهد وهو فى مرض موته قائلاً : إنك قد عوضتنى عما كنت أنفقت عليك" .

وقد وردت وقائع من هذا القبيل فى المجلد الثانى من كتاب "روزكار فقير" على لسان الشيخ إعجاز أحمد فمن بينها ما يقال إن شقيقات إقبال كلهن كن قد قضين حياتهن الزوجية فى قلق وعسرة واضطراب فلم تكن السيدة (فاطمة بى) على صلات طيبة مع زوجها، وأما السيدة (طالع بى) فكانت قد توفيت فى ميعة شبابها . وأما السيدة كريم بى فكان زوجها قد تزوج عليها بامرأة أخرى وهذا ما جعلها تقضى أيام حياتها بين إخوتها وأما السيدة زينب بى فكانت قد تزوجت فى أسرة من أهل مدينة وزير أباد إلا أنها لم تنجب فطردتها أم زوجها من بيت الأصهار وأكرهتها على أن تعود إلى بيت أبويها فعاشت معهما لمدة مديدة تزوج زوجها بامرأة أخرى خلال هذه المدة ثم تزوج زوجها هذا مرة ثالثة بأمر من أمه التى كانت قد طردت السيدة زينب بى من بيت زوجها وأما زوجها فكان ابنا مطيعًا لأمه فلم يزل يأتمر بأمرها طول حياته وحين ماتت أمه أراد الزوج المسكين أن تعود إلى زوجته الأولى فبدأت المحاولات من أجل الصلح بينهما وانتهت هذه المحاولات بموافقة من قبل أبوى إقبال فجاء الزوج إلى بيت أبوى إقبال بعد أن عر ف رغبتها فى الصلح ليأخذ معه زوجته السيدة زينب بى وبالصدفة كان إقبال موجودًا فى بيت أبويه بمدينة سيالكوت فى ذلك الوقت وعندما علم أن زوج أخته قد جاء من أجل الصلح ويريد أن يأخذ معه زوجته غضب إقبال لذلك ، وحاول والده أن يقنعه بالصلح ، إلا أن إقبالاً لم يزل يصر على عدم المصالحة حتى إنه قال لمن جاء من أصهار أخته مع زوجها إنه لايريد أن يرسل أخته معهم ؛ فعندما رأى

والد إقبال أنه لا يقتنع بالدلائل قال له فى لهجته الخاصة اللينة : إن الله سبحانه وتعالى يا بنى يقول فى كتابه "والصلح خير" فبمجرد أن سمع إقبال هذا الحكم القرآنى سكت وتغير وجهة ولون بشرته وكان يبدو وكأن شخصاً وضع كتلة من الثلج على النار الملتهبة وبعد لحظات سأله والده قائلاً : ماذا ترى إذن ؟ فقال إقبال وهو يرد على والده قائلاً أنا لا أرى إلا ما يقوله القرآن الكريم فتم الصلح بين الزوجين ، وكان حقًا خير صلح فقد أصبحت السيدة زينب بى ربة بيتها بصفتها الزوجة الأولى وتأكدت ثقة إقبال فى زوج أخته بعد الصلح حتى أنه كان يستشيره فى شئونه المنزلية ومشاكله الذاتية ويعمل بما يشير عليه وكان يقدر نصحه حق تقدير .

ويقول الشيخ إعجاز أحمد إن عمته السيدة كريم بى حكت له مرة قائلة أن (ميان چى) أى حضرة الوالد يعرف الاسم الإلهى الأعظم وأنه قد علم ذلك أخانا إقبالاً فسأل الشيخ إعجاز أحمد إقبالاً عن ذلك حين جاء من لاهور لزيارة سيالكوت وهو يقول :

> "قد سمعت أن حضرة الوالد قد علمك الاسم الإلهى الأعظم فرد عليه قائلاً : عليك أن تسأل حضرته نفسه ذلك فسأل الشيخ إعجاز أحمد حضرة الوالد عن الاسم الإلهى الأعظم فقال له : إن مشاكل الإنسان حلها هو الدعاء والتضرع إلى الله فالاسم الإلهى الأعظم ليس إلا هذه الدعوات وأما قبول الدعوات عند الله فيجب عليك أن تتذكر دائمًا أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم دائمًا قبل الدعوات وبعدها مما يؤكد قبولها ، فإنه لا يوجد شىء أكبر وأفضل من الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا هو الاسم الإلهى الأعظم الذى علمته عمك إقبالاً . وقال فى مناسبة أخرى إنه يجب الإكثار من ذكر الاسمين الإلهيين وهما: " الحى والقيوم" (٤٥) .

ومؤلف هذا الكتاب كان قد أدرك الشيخ نور محمد وقد بلغ شيخوخته وطعن فى السن وكان بصره قد كف، فكان يقضى وقته جالسًا على السرير صامتًا ساكتًا فى

وحدة الغرفة وكان قد أخذ يشعر بالوحدة حين ماتت أم إقبال قبل خمسة عشر أو ستة عشر عاما ولم يستطع أن يتحمل صدمة وفاة السيدة أم إقبال . إنه لم يكن شاعراً إلا أنه قال يومًا للشيخ إعجاز أحمد تحت تأثير تلك الصدمة أن يزوده بالورق والقلم والدواة فظن الشيخ إعجاز أحمد أنه يريد أن يملى رسالة إلى إقبال فقال اكتب ما أملى عليك ثم أرسل الورقة إلى عمك إقبال، فأخذ حضرة والد إقبال يفكر ثم أملى عليه الأبيات الشعرية حتى بلغت اثنى عشر بيتًا خلال جلستين أو ثلاث جلسات ، وكان من بين هذه الأبيات الشعرية هذا البيت الذى رواه الشيخ إعجاز أحمد وأنشده لوالد إقبال " إن حياة الوحدة هذه فى الشيخوخة نصف الموت فلا يوجد من يتحدث إلىَّ ولا من أبث إليه أسرار قلبى" .

فأرسلت الأبيات الشعرية إلى إقبال و بعد أيام طلب إقبال من خطاط أن يكتب منظومته التى قالها عن أمه وعنوانها " ذكرى أمى المغفور لها " فبعث بها إلى حضرة الوالد وكان والد إقبال يطلع على دواوين إقبال الشعرية ويواظب على دراستها التى نشرت وهو حى (٤٦) .

وكذلك فإن أم إقبال لها دور بارز فى تربية ابنها فقد كانت تجيد الإدارة والقيام بالشئون المنزلية والأسرية ، وكان إقبال يحبها حبًا شديداً، وقد كان وجودها فى البيت مما يجذب إقبالاً إلى سيالكوت وحين سافر ابنها إلى أوروبا للدراسات العليا كانت تجلس ساعات فى انتظار الرسائل من ابنها، وكان إقبال قد رثى أمه حين توفيت ، وكان مما قال بهذه المناسبة :

١ - سوف أزور قبرك مستغيثًا سائلاً ، مَنْ لى غيرك للدعوات الصالحة عند منتصف الليل ؟

٢ - وقد أصبحت بحكم تربيتك لى أضاهى النجوم حظًا كما أن أسرة أجدادى ، نالت الشرف والعزة بوجودك .

٣ - إن حياتك صفحة ذهبية من كتاب الكون، كما أن حياتك كلها كانت درسًا للدين والدنيا .

وكذلك كان إقبال يحب شقيقه الأكبر الذى كان قد ساعده فى المراحل المختلفة من تعليمه، وقد كان الشيخ عطا محمد طويل القامة قوى البنية ظاهر الهيبة وكان شديد الطبع مع صفاء القلب وكان يغضب بسرعة وينتهى غضبه بالسرعة نفسه وكانت الوظيفة العسكرية تلائم طبعه وكان يلبس الملابس الأوروبية دائمًا إلا أنه كان يغطى رأسه بالعمامة السوداء التقليدية ويحمل فى يده عصا دائمًا، وكان يلبس أجود الملابس مهيبًا بين أهله وهو الذى عناه إقبال فى منظومته (التجائى مسافر) أو "رجاء المسافر" .

١ - شقيقى ذلك يوسف الثانى الذى كان رأس المحبين المخلصين، والذى كان يثلج صدرى ويحيى ضميرى بمشاعره الأخوية .

٢ - إن حبه كان قد ألغى المغايرة والبعد بينى وبينه والذى كان يشفق ويحنو على وينفق لأعيش حياة رغيدة حتى صرت شابًا يافعًا .

٣ - أتمنى له أن يبقى زهرًا بلسمًا فى حديقة الدهر أبدًا وذلك لأنه أعز إلى وأغلى من روحى وقلبى .

ومن هذه المنظومة أبيات تصور الهموم والأحزان التى أصيب بها الشيخ عطا محمد بموت أمه .

١ - إن ذلك الشاب الذى يمثل شجرة السرو فى قامته الطويلة والذى حظى بالقيام فى خدمتك أكثر منى .

٢ - وذلك الذى كان زميلى فى طريق الحياة وأعمالها، ذلك الذى يمثل حبك لى والذى كان دائمًا يدى المساعدة .

٣ - إن ذلك الشاب المسكين يبكى عليك كما يبكى طفل صغير، إنه لا يعرف الصبر وإنما يستمر فى بكائه صباح مساء .

لاشك أن الأبوين خير المعلمين لأولادهم لأن الإنسان يتعلم منهما ويكتسب شاعرًا بذلك أو غير شاعر به، إلا أن آثار ذلك تبقى معه طول الحياة ولا تمحى أبدًا . فهذه هى الوقائع التى تجعل الإنسان يقول بأن البيئة التى عاش فيها إقبال ونشأ وترعرع

كانت بيئة متدينة متواضعة يغمرها الحب والشفقة والتكرم والاحترام. إن إقبالاً وإن كان يعترف بالوجدانيات الصوفية وأيضًا كان قد مر ببعض التجارب الشخصية فى ذلك إلا أن الحقيقة الواقعية تبقى وهى أنه كان قد واجه العديد من المشاكل النفسية حول التصوف من الناحية العلمية فيما بعد مما كان سببًا فى تغيير موقفه نحو التصوف .

على كل فإن إقبالاً نجح فى امتحان الشهادة المتوسطة سنة ١٨٩١م ورقى إلى الصف التاسع من الثانوية وكان فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره فى ذلك الوقت، إلا أن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو متى بدأ إقبال يقول الشعر وينظمه؟ وليس لدينا ما يجعلنا نرد على السؤال بثقة ويقين فقد كان يحب الشعر بطبيعته منذ الطفولة (٤٧) ولعله كان قد بدأ يعالج الشعر فى هذه المرحلة الابتدائية من عمره فهذا (يكتا حقانى أمروهوى) يقول فى كتابه (سيرة إقبال) "إنه كل يميل بطبيعته إلى الشعر منذ الصغر فقد كان ينطق الجمل أو الفقرات التى كانت توافق وزنًا من أوزان البحور ثم أخذ ينظم القطعات الشعرية الصغيرة الغزلية ولم يكن يرى لها قيمة فكان يمزقها ويلقى بها، ولكن كلما ازداد قربًا من الشيخ سيد مير حسن أخذ يزداد تحريك الشعر له نتيجة لما اكتسبه من حلقة الشيخ سيد مير حسن من الفيوض الأدبية، وكان الشيخ سيد مير حسن يقوم بدور الشاعر الأستاذ فيصلح من شعر إقبال (٤٨) وهذا ما يؤيده ابن الشيخ سيد مير حسن الأصغر وزميل إقبال فى الدرس سيد زكى شاه الذى يقول إن والدى كان قد أفاد فى المرحلة الابتدائية من شعره الغزلى وذلك مما كان يكثر من ذكره (٤٩) ، إلا أننا نجد قول إقبال الذى ينفى ذلك حين يقول إنه لم يكن يجترى على قرض الشعر بين يدى الشيخ تكريمًا له وهيبة منه وقد يمكن أن الذوق الأدبى الذى اكتسبه إقبال من الشيخ سيد مير حسن كان ما أثار فيه الشعر ولعله ليس صحيحًا أن نقول إن الشيخ سيد مير حسن هو الأستاذ الأول لإقبال فى فن الشعر و قرضه ، لأنه إذا كان يرجع إلى الشيخ فى المرحلة الابتدائية من حياته الشعرية فماذا جعله يتلمذ على الشاعر (دا غ) ويرجوه أن يفيده فى فن الشعر ويصلحه كما أنه ليس لدينا ما يؤكد لنا أن الذى أشار على إقبال أن يتلمذ على دا غ هو الشيخ سيد مير حسن .

وقد نجح إقبال فى امتحان الثانوية سنة ١٨١٣م ونال الدرجة الأولى إلى جانب الحصول على الوسام والمنحة المالية وعمره ست عشرة سنة ، وكانت نتيجة الثانوية قد ظهرت فى ٤ / مايو ١٨٩٣م والتحق إقبال بكلية الإرسالية الإسكاشية فى ٥ / مايو ١٨٩٣م حين بدأت الفصول الدراسية للمتوسط الثانوية فى مدرسة الإرسالية الإسكاشية والتى سميت فيما بعد بكلية الإرسالية الإسكاشية فاستمر إقبال يدرس بها بعد الثانوية فى مرحلة المتوسط الثانوية .

وقد نشرت قصائد غزلية لإقبال فى مجلة "اللسان" (رسالة زبان) الصادرة من دلهى فى عدد نوفمبر ١٨٩٢م والأعداد التى تلته (٥٠) وذلك مما يدل على أن إقبالاً كان قد أخذ ينظم القصائد الغزلية الجديد ة وهو فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره حتى إن المجلات الصادرة من دلهى كانت تهتم بهذه القصائد الغزلية وله قصيدة غزلية فى مجلة اللسان الصادرة من دلهى فى هدد فبراير ١٨٩٤م وفى مقاطعها ما معناه :

"كلما غضب علينا ذلك الحبيب أنشد له إقبال الأبيات الشعرية لحضرة الشاعر "داغ" فأرضاه بها" .

والسؤال الآتى فتى التحق إقبال بحلقة التلاميذ للشاعر مرزا خان داغ ؟ فى (١٨٣١ - ١٩٠٥) وفى مجلة اللسان الصادرة من دلهى نشر فى هذا العدد من المجلة أقدم القصائد الغزلية لإقبال التى تم اكتشافها إلى الأن وعليه فمن الممكن أن نقول بأن إقبالاً كان قد تتلمذ على داغ وهو يدرس فى السنة الأولى المتوسطة الثانوية وترجمة إقبال الموجزة التى كان قد أعدها الشيخ فوق ١٩٠٩م تنص على أن إقبالاً كان قد تتلمذ على داغ وهو طالب فى الثانوية المتوسطة (٥٢) ويقول (سرى رام) فى كتابة بأن إقبالاً كان قد أرسل بعض القصائد الغزلية إلى الميرزا أرشد الجورجانى ثم تتلمذ على داغ بطريق المراسلة (٥٣) ، إلا أن ذلك ليس صحيحًا ، وذلك لأن إقبالاً كان قد التقى بارشد الجورجانى لأول مرة فى باب بهاتى لمدينة لاهور فى مهرجان

شعرى بعد سنة ١٨٩٥م ويقول السير عبد القادر فى مقدمة "بانك درا" أى (صوت الجرس) (٥٤) :

"كان إقبال قد انطلق على لسانه كلام موزون وهو طالب بالمدرسة، وكانت اللغة الإردوية قد اشتهرت وانتشرت فى بنجاب حتى لم تعد قرية خالية من اللغة وخبرائها وعن الشعر وشعرائه، وكذلك كان الأمر بمدينة سيالكوت فى عصر الشيخ محمد إقبال فكان هناك مهرجان شعرى وهو لا يزال طالبًا ، وكان إقبال يحضر هذا المهرجان الشعرى ويقدم فيه بعض القصائد الغزلية أحيانًا وفى هذا العصر كان الأمير ميرزا خان داغ الدهلوى قد قد ذاع صيته فى كل مكان وخاصة لأنه كان أستاذًا لنظام الدكن (أى أمير الدكن) فى فن الشعر فمن لم يستطع من الشعراء أن يحضر عنده حاول أن ينتمى إليه كتلميذ له بالمراسلة فكانت القصائد الغزلية تر سل إليه بالبريد فيصلحها ثم يرجعها إلى أصحابها، وفى العصور القديمة لم يكن هناك بريد منظم فلم يكن من الممكن لشاعر من الشعراء أن يكون له هذا العدد الضخم من الشعراء التلاميذ له أما فى عصر داغ الدهلوى فقد كان البريد منظمًا فتتلمذ عليه المئات من الشعراء حتى إنه أنشأ قسمًا خاصًا لهذا الغرض ووظف فيها العديد من العمال فكان ممن تراسل معه الشيخ محمد إقبال وأر سل بعض القصائد الغزلية مع رسالته وهكذا أتيح لإقبال أن يتتلمذ على أستاذ كان يعتبر شاعرًا فريدًا فى الغزل رغم أن هذه القصائد الغزلية الابتدائية لإقبال لم تكن تتصف بما امتاز به شعر إقبال فيما بعد . وقد أدرك حضرة الشاعر داغ بأن هذا الطالب من مقاطعة

نائية لإقليم بنجاب ليس شاعرًا عاديًا من شعراء الغزل ولم يمض كثير من الوقت حتى ابدى رأيه فى شعر إقبال بأنه لا يحتاج إلى الكثير من الإصلاح فلم تستمر هذه السلسلة من المراسلة بينهما طويلاً إلا أن كل واحد منهما لم يزل يذكر صاحبة وداغ هذا يحتل مكانة بارزة فى الشعر الإردوى مما جعل إقبال يقدر هذه الصلة القصيرة به وكان يعتز بها وكان إقبال قد حظى بالشهر والتلقى فى الأوساط الأدبية وداغ لايزال حيا فكان داغ يفتخر بإقبال ويقول إنه من تلاميذه الذين قام بإصلاح شعرهم وقد التقيت به بالصدفة فى حيدر أباد الدكن فسمعت من لسانه وهو يفتخر بذلك بين يدى " .

وهذا البيان يدل على أن إقبالاً كان قد بدأ يقول القصائد الغزلية وهو طالب فى الصف التاسع أو العاشر، وكان يحضر المجالس الشعرية وكتب إلى داغ حين سمع بصيته وأرسل إليه قصائدة الغزلية وتتلمذ عليه وهو طالب فى السنة الأولى من المتوسطة الثانوية وكان إقبال يراسل داغ ويرسل قصائده للإصلاح حتى نقل إلى لاهور وحتى فى الأيام الابتدائية التى قضاها فى لاهور (٥٥) ، ولم يتح لإقبال أن يرى داغ بعينى رأسه إلا أنه كان يتمنى ذلك كما يظهر من بعض أبياته الشعرية ما معناه (٥٦) :

وإذا كان بقى هذا الشوق إلى اللقاء والحضور بحضرة داغ فلابد أن نزور بلاد الدكن أيضًا نيابيها ثم انقطع إرسال الشعر إليه للإصلاح ، إلا أن إقبالاً لم يزل يعتز بصلته مع داغ ويكرمه وتوجد إشارات فى القصائد الغزلية التى قالها إقبال فى خلال الأيام الأولى من إقامته بلاهور مما يدل على هذه الصلة فهناك قصيدة غزلية نشرت فى مجلة "شور محشر" أى "صراخ الحشر" (فى عدد ديسمبر ١٨٩٦م فى مطعبها ما معناه (٥٧) :

"إن الافتخار بداغ لا يقصر على الشاعرين نسيم وتشنة وإنما قد رزق إقبال أيضًا بهذا الافتخار وتتلمذ على هذا الشاعر المفلق " .

وهناك قصيدة غزلية أخرى من هذا الطور نفسه وفى مقاطعها ما معناه (٥٨) :

"إن هذا يرجع إلى الكرامة التى يملكها حضرة داغ حيث جعل الرجال من أمثال إقبال يفهم الشعر ويفرضه فى الوقت نفسه" .

وقد أقيم مأتم شعبى على وفاة وجاهت حسين حنجالوى فى ١٨٩٨م، وقد ورد ذكر إقبال بهذه المناسبة كتلمذ لحضرة داغ وكان إقبال قد أرسل رسالة إلى الشيخ أحسن المارهروى فى ٢٨ فبراير ١٨٩٩م وطلب إليه أن يزوده بصورة للشاعر داغ (٥٩)، وقد ورد ذكر هذه الصلة فى مرثية داغ التى نظمها إقبال عند وفاة داغ فى ١٩٠٥م وتوجد هذه المنظومة فى مجموعة "بانك درا" لإقبال ، وكانت قد نشرت هذه المرثية فى مجلة "مخزن" عدد أبريل ١٩٠٥م الخاص بذكر داغ مع بند شعرى أضيف إلى المنظومة وبالإضافة إلى ذلك فإن إقبالاً كان قد استخرج تاريخ وفاة داغ بكلمة " نواب ميرزا داغ" (٦٠) فهكذا كان عصر الصلة مع داغ قصيراً جداً ويمكن تحديده ما بين ١٨٩٣ و ١٨٩٦م على كل فإن إقبالاً لم يزل يعترف بالتملذة على داغ طول حياته .

وقد احتفظ الزمان ببعض الكتب المدرسية التى كان إقبال قد استفاد منها وهو طالب فى المدرسة والكلية (٦١) ، ومن بينهما كتاب استفاد منه إقبال وهو فى الصف التاسع ذكر فى صفحة من صفحات هذا الكتاب المعلومات عن الحان الموسيقى وكتب تحتها أبياتًا شعرية للشاعر (غالبًا) و (بيدل) و (ناسخ) و (واقف)، وعلى صفحة أخرى من نفس الكتاب كتب ألحان الموسيقى، وهناك كتب استفاد منها وهو فى الدرجة المتوسطة كتب فيها إقبال اسمه الشعرى، وما كتبه إقبال عى هذه الصفحات يدل على شيئين أحدهما أنه كان يلم إلماما بفن الموسيقى وآلحانها كما إنه كان يفهم الصلة بين الشعر والموسيقى والشىء الثانى أن إقبالاً كان قد اختار "إقبال" تخلصًا (اسمًا شعريًا له) وهو طالب المتوسطة الثانوية فى السنة الأولى .

وقد وصلت نتيجة الثانوية إلى إقبال فى ٤ / مايو ١٨٩٣م وعلى رأسه أزهار الزواج وتحرك موكب الزواج من سيالكوت إلى كجرات، أو كان، وفى اليوم نفسه تم زواجه فى أسرة غنية كشميرية بمدينة كجرات، وكان اسم زوجتة ، (ريم بى) ، وكانت

فى التاسعة عشرة من عمرها بينما كان إقبال فى السادســة عشــرة من عمــره ، وأما حمو إقبال الدكتور عطا محمد فقد كان طبيباً معروفاً من أطباء الجراحة، وكانت كريم بى هى أكبر بناته أما والد إقبال الشيخ نور محمد فلم يكن يساوى الدكتور عطا محمد فى الثراء والمال ومدينة سيالكوت وكجرات مدينتان قريبتان، وعليه فيمكن القياس بأن هذا الزواج بين إقبــال وكــريم بى يمكن أن يكون قـد تم على يد من كــان يعـرف الأسرتين من الكشمريين ورضى أبواه بهذا الزواج حسب التقاليد المتداولة (٦٢) . وفى هذا العصر لم يكن زواج الصغار يعتبر عيباً إذا كان بين أسرتين متناسبتين متكافئتين وقد اشترك والد إقبال فى زواجة هذا وعادوا بعروسة ويغمرها الحب والرغبة رغم أن بعض الرسائل لإقبال تدل على أنه لم يكن يرغب فى هذا الزواج أو لم يعجبه على كل حال فإن الإنسان إذا كان لابد له أن يرعى تكريم الكبار واحترامهم فى جو من الحب والحنان فلا يمكن لشاب يافع أن يعترض أو يعارض الكبار .

وقد أنجبت كريم بى ولدين لإقبال فولدت معراج بيكم فى ١٨٩٦م ، وكانت جميلة الوجه حسنة السيرة إلا أنها أصيبت بمرض سل الغدد الانفافية بالعنق ولم ينفعها علاج أو دواء فماتت بمدينة سيالكوت وعمرها تسعة عشر عاماً فى ١٩١٥م فدفنت فى مقبرة (أمام) على مقربة من قبرى جدها وجدتها (٦٣) ولكن الخواجا فيروز الدين المحامى يقول بأنها كانت قد ماتت بمدينة كجرات وربما قد ذهبوا بجثمانها بعد الموت إلى سيالكوت حيث دفنت وهذا نص ما قاله (٦٤) :

> **"وكانت زوجة الدكتور (إقبال) قد ذهبت بالولدين إلى كجرات حيث مرضت البنت وكان الدكتور يهتم بالغ الاهتمام بأن يكون زوجتة والولدان معه ليقوم بعلاج الطفلة وكان يعتقد إقبال أن ابنته هذه ذكية للغاية وبإمكانه أن يقنع أمها، ولكنى أظن أن حلم إقبال هذا لم يتحقق وماتت البنت وهى فى مجرات" .**

وقد ولد آفتاب إقبال ابن الشيخ محمد إقبال فى ١٨٩٨م (٦٥) أم السيدة كريم بى هذه؛ فقد توفيت بعد وفاة إقبال بثمانى سنوات فى ١٩٤٦م بمدينة مجرات فى بيت أبويها ودفنت هناك .

وقد نجح إقبال فى امتحان المتوسطة الثانوية فى الدرجة الأولى من كلية الإرسالية الإسكاشية فى ١٨٩٥م ثم خرج متوجها إلى لاهور للمزيد من التعليم وذلك لأن فصول التخرج لم تكن قد بدأت فى كلية الإرسالية الإسكاشية ، ولم تكن عر فت بكلية (مر) كما عرفت بهذا الاسم فيما بعد . وكذلك كان لابد لإقبال أن يترك الجو الضيق لمدينة سيالكوت وينتقل إلى جو لاهور الواسع ليتقدم إقبال فى مواهبه الفكرية والعلمية .

وإذا تناولنا مدة ثمانية عشر عامًا التى قضاها إقبال بمدينة سيالكوت إذا أمعنا النظر فيها لأدركنا أنه لم يكن من الممكن أن يتقدم إقبال فكريًا وتزدهر مواهبه فى الجو الضيق المحدود فقد كان داخل معزله لا يتسطيع أن يتحدث احترامًا لأبويه ثم لم يكن فى الأسرة من يتكسب ليتحمل تكاليفها ونفقاتها غير الشيخ عطا محمد وكان الشيخ نور محمد قد ترك عمله بمحله التجارى تقريبًا، وإذا كان قد استمر فإنه لم يكن يستطيع أن يكتسب اكتسابًا كافيًا يعول به نفسه وأهله، ومن ثم كان إقبال فى حاجة إلى مساعدة الشيخ عطا محمد ليستمر فى دراساته ، ولولا مساعدات الشيخ عطا محمد المالية لإقبال لانقطع تعليمه ودراساته، أما من الناحية العلمية والمعنوية فكان إقبال تحت تأثير أستاذه الشيخ سيد مير حسن وشخصيته القوية . وأما فى فن الشعر فقد أختار الشاعر داغ وتتلمذ عليه وكان يرجع إليه فى تقويم شعره ويقلده فى نظم الشعر، ومن ثم لم يكن إقبال قد تمكن من الثقة بنفسه فى مجال العلم والشعر فقد كانت الأقدار قد بذرت البذور من الموهبة الشعرية فى إقبال وكانت قد تلقت قليلاً من الرى والسقى إلا أنها لم تزدهر ولم تتقدم بعد .

الفصل الخامس

فى الكلية الحكومية بلاهور

وذات يوم من شهر سبتمبر ١٨٩٥م عند الظهر نزل شاب أحمر اللون أبيضه متناسب القامة والجسم فى محطة لاهور للقطار وكان قد لبس طقمًا أبيض من السروال والقميص يعلوه صدرة قصيرة وعلى رأسه طربوش . إن ذلك الشاب الأنيق لم يكن غير إقبال وكان صديقه من سكان لاهور واسمه (حلاب دين) قد وصل إلى المحطة ليستقبله فتعانق الصديقان ثم ركبا عربة الحصان يقصدان بيتًا داخل جدران لاهور القديمة عند باب من أبوابها الكثيرة الذى يسميه عامة الناس باب (بهاتى)، ثم التحق إقبال بفصول البكالوريوس للكلية الحكومية بلاهور ثم تحول إلى دار إقامتها للطلاب فى غرفة رقم واحد بعد أن كان قد قضى بضعة أيام فى بيت صديقه جلاب دين واستمر إقبال نازلا فى هذه الغرفة طوال إقامته التى امتدت إلى أربعة أعوام بمدينة لاهور (١) ، ويحدثنا (المستر جيريت) (٢) أن عدد الطلاب فى ذلك الوقت بالكلية الحكومية لم يكن يتجاوز مائتى طالب تقريبًا ومن ثم كان من السهل للطلاب أن يتعارف بعضهم على بعض إلى جانب الصلات المباشرة القريبة بينهم وبين أساتذتهم، وأمام مبنى الكلية الحكومية قطعة أرضية متهدمة منخفضة تسمى الآن بميدان (أووال) وكانت هذه الحديقة مليئة بأشجار البرتقال والليمون بالإضافة إلى الأشجار الأخرى المرتفعة حيث كان النحل قد اتخذت قفرانها فكانت هذه القطعة الأرضية أو الحديقة الغناء مأوى للطلاب والنحل معًا فى الظهيرة الطويلة بفصل الصيف، فقد كان الطلاب يفرشون حصائرهم على المخضرة فى ظلال الأشجار فيجلسون عليها أو يستريحون فيقرءون إلى ساعات وكان النحل يطن طنينا فوق رؤسهم وكانت شجرة قديمة من شجرتى البنغال فى واجهة برج الكلية الصغير نحو الشمال وكان الطلاب يجلسون على

دكة كبيرة من الخشب عند ساق الشجرة ويتجاذبون ألوان الحديث لساعات وكانت الحياة بالكلية بسيطة جداً، ولم تكن توجد الجمعيات والمجالس واجتماعاتها الأسبوعية أو الشهرية أو السنوية في ذلك الوقت، وكانت الفرص متاحة متوفرة للأساتذة والطلاب للتعارف فيما بينهم من خلال عقد اللقاءات الكثيرة المتنوعة، وهكذا كان الطلاب البارعون معروفين بين أساتذتهم فكانوا يستفيدون منهم حق الاستفادة ويتأثرون بهم كذلك .

ولم يكن من الصعب على إقبال إيجاد صلات الصداقة بينه وبين الكثيرين من طلاب الكلية إذ كان يعرف البعض منهم قبل أن يلتحق بها فمنهم الشودرى جلال دين من أهل قرية دسكة من محافظة سيالكوت ، الذى كان قد التحق بالكلية الحكومية بلاهور بعد أن أكمل دراسة الثانوية المتوسطة فى سيالكوت فقد كان يسكن فى دار الإقامة بالكلية وكان يميل إلى الشعر وقرضه وكان هذا الذوق الشعرى نتيجة لما تأثر به فى حلقة الشيخ سيد مير حسن وكان إقبال قد التقى بـ (غلام بيك نيرنك) بواسطة الشودرى جلال دين هذا حين كان إقبال نازلا فى منزل السيد (جلاب دين) ولم يلتحق بعد بدار الإقامة للكلية ، إلا أن نيرنك وجلال دين كانا قد سبقا إقبالاً فى نزولهما بدار الإقامة بالكلية (٣) .

وفى مساء يوم رافق نيرنك الشودرى جلال دين فذهبا إلى داخل مدينة لاهور القديمة فلاح لهما إقبال مقبلا إليهما عند باب (بهاتى) فخاطب الشودرى نيرنك وهو يعرف به إقبالاً قائلاً هذا هو الشيخ محمد إقبال الشاعر الذى سبق وقد ذكرته لك .

وأخذت غرفة إقبال فى دار الإقامة تصبح مقراً لأصدقائه ومجالس الشعر شيئًا فشيئًا ، ويقول نيرنك عن هذه اللقاءات الطلابية والمجالس فى دار الإقامة (٤) :

"وقد أتيح لى أن أكثر الزيارة لإقبال واجتمع معه حين التحق بدار الإقامة بالكلية وكان إقبال يسكن وحده فى غرفة مستقلة وذلك لأنه كان يعتبر من الطلاب القدماء فى الكلية لدرجة التخرج إلا أن الطلاب جميعهم القدماء والمحدثون يأكلون فى مطعم واحد، ولم يكن يوجد أى امتياز أو فرق بين الطلاب من ناحية الأكل غير أن طلاب المسلمين كان يخصهم مطعم مستقل كما أن

الهنادكة والسيخ كان لهم مطعم مستقل وكان إقبال قد نزل فى غرفة مستقلة عند النهاية الجنوبية من الجناح الغربى للطابق الأول من دار الإقامة، كما أننى كنت نازلاً فى الجناح الشرقى فى غرفة يشاركنى فيها طالب آخر فكان بيننا (أنا وإقبال) ، كان (بعد المشرقين) إلا أننا كنا نقضى جميع أوقاتنا معًا غير مواعيد الكلية وكان يخرج سريره من غرفته ويضعه أمام غرفتنا فى المساء فى فصل الصيف حين كان ينتهى من القراءة والمطالعة وكان إقبال يميل بطبيعته إلى شىء من "القطبية" (أى التمركز)؛ منذ ذلك الوقت وكان يستحق أن يسمى "قطبًا" لأنه لم يكن يبرح مكانه ولا يتحرك . أنا وجميع أصدقاء إقبال النازلون بدار الإقامة للكلية كنا نجتمع فى غرفة إقبال فكان هو رئيسنا فى الجلسة هناك . وكان الغليون قد أصبح جليسًا ونديمًا له منذ ذلك . ولم يكن يغطى رأسه بشىء وكان يلبس صدرة دون القميص وكان إزاره يصل إلى عقبيه، وهذا كان هو زيه فى الصيف وكان يضيف إلى هذا الزى بطانية فى فصل الشتاء ويستمر يدخن الغليون ويتجاذب ألوان الحديث . وكان يميل بطبيعته إلى المزاح والفكاهة فكان يردف الكلمات إلى الكلمات من المزاح فى كل مناسبة . وكانت هناك نقاشات أدبية أيضًا فكان البعض منا يقول الشعر والبعض الآخر ينشده ولم يكن أحد منا قد لاحظ أو اكتشف فى إقبال ما يجعل منه شاعرًا من الطراز الجيد، وإنما كان يبدو شاعرًا من المستوى العام فى البداية ومن الممكن أن أقول إذا سمحتم لى بذلك بأنه لم يكن يرجع هذا إلى أنظارنا القاصرة وإنما الحقيقة الواقعية إنه لم يكن يوجد فى إقبال ما وجد فيه فيما بعد من الشعرية أنه يجب أن أقول بهذه المناسبة بأن إقبالاً كان يكثر من تقديم مشروع أدبى لزملائه خلال هذه اللقاءات التى استمرت لثلاث سنوات فكان

يقول وهو يذكر منظومتى "الفردوس المفقود" و "الفردوس المستعاد" للشاعر الإنجليزى (ملتون) بأنه سوف ينظم وقعة كربلاء بطريقة قد تكون رداً على الشاعر الإنجليزى إلا أنه لم يستطع أن يحقق هذا المشروع، وبإمكانى أن أضيف إلى ذلك بأننا كنا نتناقش فى إصلاح الشعر الإردوى والنهوض به وإصباغة بصبغة شعرية غربية" .

وكان إقبال يزور أصدقائه فينزل عندهم خلال إقامته بدار الإقامة فمثلاً كان والد الشيخ صلاح الدين أحمد والشيخ ضياء الدين أحمد يسكن فى منزل فى زقاق هنومان بحى (سيد متا) على مقربة من سوق (حمتى) بلاهور . وكان ضياء الدين أحمد هذا زميلاً لإقبال فى الدرس فكان إقبال يزور زميله هذا وينزل عنده بين حين وآخر وكان ضياء الدين أحمد ونيرنك يرغبان فى الرياضة البدنية فكانا يتصارعان فى ميدان كان يقع فى ناحية المنزل وكذلك فإن إقبالاً كان يرغب أحياناً فى المصارعة فيستعد لذلك وينزل فى الميدان ويصارع نيرنك (٥) .

وأما المواد الدراسية التى كان قد اختارها إقبال فى درجة التخرج فهى الفلسفة واللغة العربية إلى جانب اللغة الإنجليزية ورغم أن إقبالاً كان طالباً فى الكلية الحكومية إلا أنه كان يحضر فى الفصول الدراسية لدرجة البكالوريوس للكلية الشرقية، وكانت الكلية الشرقية فى ذلك الوقت تحتل جناحاً من أجنحة مبنى الكلية الحكومية فى ذلك الوقت على ما ذكره الدكتور غلام حسين ذو الفقار، فكان أساتذة ... الكليتين يتعاونون فيما بينهم فى تدريس بعض المواد الدراسية فكان إقبال يحضر فى الفصول الدراسية ... للغة الإنجليزية والفسلفة كطالب للكلية الحكومية أما اللغة العربية وأدابها فكان يدرسها إقبال كطالب للكلية الشرقية، وكان من بين الأساتذة القائمين بعمل التدريس فى الكلية الحكومية والكلية الشرقية الشيخ فيض الحسن السهار نفورى، والشيخ محمد حسين آزان والشيخ محمد دين (٦) .

وقد نجح إقبال فى امتحان التخرج فى سنة ١٨٩٧م بدرجة الامتياز باللغة العربية والإنجليزية ونال بعض الأوسمة وقد جاء فى تقويم جامعة بنجاب لسنة ١٩٠٦م بأن إقبال كان قد نجح فى امتحان التخرج فى الدرجة الثانية (٧) ويذكر عظيم حسين فى

كتابه عن سيرة والده باللغة الإنجليزية وعنوانه (فضل حسين) بأن عدد الطلاب الذين اشتركوا في امتحان التخرج في سنة ١٨٩٧م كانوا ١٠٥ طالب نال منهم أربعة الدرجة الأولى . أما إقبال وزميله (فضل حسين) فكانا قد نالا الدرجة الثانية وكان إقبال قد تفوق على الطلاب المسلمين في هذا الامتحان كما أن فضل حسين تلاه في الدرجة الثانية (٨) .

وكان إقبال يميل بطبيعته إلى الفلسفة ومن ثم التحق بماجستير الفلسفة وكان في ذلك الوقت الأستاذ (بيل) يدرس العلوم الفلسفية في درجة التخرج الذى كان قد عين مفتشاً للمدارس فترك وظيفته بالكلية الحكومية في ١٨٩٦م فحل محله الأساتذ (دلنجر) بالإضافة إلى عمله أستاذاً للتاريخ ثم جاء الأستاذ (أوشر) أستاذاً للفلسفة بالكلية الحكومية وهو الذى استقال في ١٨٩٨م فحل محله الأستاذ (آرنولد) (٩) .

ويحدثنا (جيرت) بأن الأستاذ (آرنولد) تولى منصب أستاذ الفلسفه في ١١ فبراير ١٨٩٨م (١٠) وكان قد استقال عن وظيفته في كلية عليكره الإسلامية قبل أن يوظف أستاذاً للفلسفة بالكلية الحكومية ، وكان السير سيد يكرمه ويقدر جهوده كثيراً وكان بينه وبين الشيخ شبلى النعمانى صداقة عميقة فهذا هو الأستاذ آرنولد الذى آثار الذوق الفلسفى عند إقبال بما كان يملك من الشفقة والإرشاد لتلاميذه وقد تأثر الأستاذ آرنولد بإقبال ومواهبه كثيراً حتى أخذ يتعامل معه تعامل الأصدقاء، ويحدثنا السير عبد القادر بأن الأستاذ آرنولد كان ضليعاً في الطرق الجديدة للبحث والتحقيق فأورث تلميذه ما كان يملك من الموهبة والكفاءة، وأن الصداقة والحب المتبادل بين الأستاذ وتلميذه كانت سببا في ذهاب التلميذ وراء أستاذه إلى إنجلترا (١١) فكان الأستاذ آرنولد يكثر من ذكر إقبال ويثنى عليه بين أصدقائه ويقول لهم بأن التلاميذ من أمثاله يجعلون من الأستاذ باحثاً ومن الباحث أكبر الباحثين (١٢) ، ودخل إقبال امتحان الماجستير في الفلسفة سنة ١٨٩٩م وينص تقويم جامعة بنجاب لسنة ١٩٠٦م على أن إقبالاً كان قد فاز في الدرجة الثالثة من هذا الامتحان إلا أنه كان وحيداً في هذا الامتحان للجامعة كلها مما جعله يتفوق ويستحق الوسام الذهبى الخاص بهذا الامتحان (١٣) .

وكان إقبال قد أخذ يحضر فى الفصول الدراسية لمدرسة الحقوق فى ١٨٩٨م إلى جانب الفصول الدراسية من ماجستير الفلسفة ، إلا أن إقبالاً رسب فى مادة الفقة للامتحان الأول من الحقوق الذى عقد فى ديسمبر ١٨٩٨م، وفى ديسمبر ١٩٠٠م تقدم إقبال بطلب استأذن فيه دخول الامتحان كطالب منتسب إلا أن طلبه رفض (١٤) . وهذا ما جعل إقبال يرغب عن امتحان الحقوق لهذه الجامعة وتحققت أمنية هذه فى لندن .

وكان الأستاذ آرنولد قد سافر إلى إنجلترا بعد أن استقال عن الوظيفة فى ١٩٠٤ فنظم إقبال منظومة توديعية بهذه المناسبة وعنوانها " آهه الفراق " ذكر فيها رغبته فى العلم والتى كانت نتيجة لما أنفقه من الوقت مع أستاذه الفاضل الموهوب ومن بين أبياتها ما معناه .

١ - أين أنت أيها الكليم الصاعد إلى ذروة السيناء للعلوم فإن شخصك قد كان سبباً للنشاط العلمى بين تلاميذه .

٢ - أنى لنا ذلك التشوق للسفر فى طريق العلوم الواسعة البعيدة ، أننا كنا راغبين فى العلم بوجودك أنت ونود أن نتقدم فيه مهما كلفنا ذلك .

إن التذوق العلمى الذى كان قد أثاره الأستاذ آرنولد فى نفس إقبال والذى كان قد أصبح عطشاً خالداً لايرتوى والحب الذى كان قد عقد بين قلبيهما كان سبب السفر إقبال إلى إنجلترا ففى تلك المنظومة نفسها يذكر إقبال ما عزم عليه من سفره إلى إنجلترا ومن ذلك بيت معناه : أن الجهد الجبار سوف يحل عقد القدر يوماً فاستطيع أن أكسر القيوم التى تمنعنى من مغادرة بنجاب .

على كل فليس من المناسب أن نهمل الحقيقة التى تدل على أن إقبالاً كان قد عرف شخصية الأستاذ آرنولد وأدرك حدودها حق الإدراك رغم هذه الصلات الودية العميقة فهذا سيد نظير نيازى يحداثنا بأن إقبال كان قد سمع نعى أستاذه السيد آرنولد فى ١٩٣٠م وقال مستعيراً باكياً بأن إقبال قد حرم اليوم من أستاذه وصديقه فى نفس الوقت وهذا ما جعل سيد نيازى يذكر مكانة الأستاذ آرنولد بين المستشرقين وحبه للإسلام فقال إقبال مندهشاً متعجباً : وما صلة آرنولد بالإسلام فلا يخدعك كتابة "

الدعوة الإسلامية " وغيره من المؤلفات ؛ لأن آرنولد كان وفيًا لأرض إنجلترا فكان قد طلب منى وأنا فى إنجلترا أن أعلق على تاريخ الآداب الإيرانية للأستاذ براون فرفضت ذلك ؛ لأننى كنت أعرف أن المؤلفات من هذا النوع إنما تهدف إلى مصالح إنجلترا وحدها ، فإن هذا الكتاب لم يكن إلا محاولة تهدف إلى أثارة القومية الإيرانية ، وكان الغرض منه الضربة القاضية على الأمة الإسلامية وتمزيق وحدتها والواقع أن الفرد فى الغرب إنما يعيش من أجل بلاده وحدها ، وأن القومية أو الوطنية تقتضى بأن الشعب والبلد اسمان لشىء واحد ، وهذه المصلحة تفضل على المصالح الشخصية فى الغرب فهذا آرنولد لم يكن يهمه الإسلام أو المسيحية، وإنما يجب أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار السياسى ؛ لأن آرنولد وأضرابه من المستشرقين يتخذون طريقًا فى مجال العلم والفن يحقق المصالح الاستعمارية والإمبريالية فيجب علينا أن نعتبر هؤلاء المستشرقين إدارة وأيدى مساعدة للإمبرياليين والاستعماريين فى سياستهم " (١٥) .

ويحدثنا الشيخ أحمد دين المحامى (١٦) بانه كانت توجد جمعية شعرية فى سوق الحكماء داخل باب (بهاتى) قبل أن يأتى إقبال إلى لاهور ، وكانت هذه الجمعية تعقد جلساتها الأدبية فى منزل الحكيم أمين الدين، وكان أمين الدين هذا ينتمى إلى أسرة الحكماء التى عرفت بأسمها هذه السوق فقيل (سوق حكيمان) أى " سوق الحكماء " وكان الحكيم شجاع الدين قد أسس هذه الجمعية الشعرية فى ١٨٩٠م (١٧) ؛ فكانت جلساتها الأدبية (مهرجانها الشعرى) يعقد فى منزل الحكيم أمين الدين فى بداية الأمر إلا أن الحكيم شجاع الدين كان قد توفى فى ١٨٩٦م فنقلت هذه الجلسات والمهرجانات إلى دار الأمير غلام محبوب سبحانى خلف الشيخ أمام الدين والى كشمير سابقًا . وكان الحكيم شجاع الدين يترأس الجلسات وهو حى، وكان من أبرز الشخصيات الشعرية فى مجالس الشعر الميرزا أرشد الجورجانى الدهلوى . والمير ناظر حسين ناظم اللكنوى وكانا ينظمان الشعر ويقدمانة فى الجلسات كما أن التلاميذ والمعجبين بهما كانوا يشاركون فى الجلسات ويساهمون فى المنافسات الشعرية ، وكان العدد الضخم من الناس ينجذب إلى هذه الجلسات إلى جانب الشباب من طلاب الكلية الذين كانوا ينجذبون إليها لقرض الشعر والرغبة فيه والفهم له فكان الناس يشجعون هؤلاء الشباب ، كما أن الشباب بدورهم كانوا يشجعون الناس ، ويستحسنون الجلسات الشعرية .

ولم يحضر إقبال فى مهرجان شعرى بلاهور إلا أن بعض الزملاء له كانوا قد اصروا عليه فذهبوا به إلى مجلس الشعر فى منزل الحكيم أمين الدين وكان ذلك فى نوفمبر ١٨٩٥م [18] وكان أرشد الجورجانى موجوداً فى مجلس الشعر كالمعتاد وكان قد حضر خصيصًا من أجل ذلك من (فيروزبور) كما أن المير ناظر حسين ناظم أيضًا كان موجوداً إلى جانب عدد كبير من تلاميذها وجماعة المتفرجين ولعل إقبالاً كان قد أنشد قصيدته الغزلية لأول مرة فى مدينة لاهور [19] وحين أنشد بيته ما معناه :

" كانت قطرات الندم والتوبة على جبينى ، فأعجبت ربى الكريم فاعتبرها اللآلئ واقتناها " .

مما جعل أرشد يحبذ هذا البيت ويستحسنه ويشجع صاحبه وينظر إليه بعين الحب والتقدير وكان المقطع لهذه القصيدة الغزلية التى أنشدها إقبال بهذه المناسبة مما يعبر عن رأيه فى الخلافات اللغوية التى كانت توجد بين مدرستى الدلهى ولكنو اللغويتين وهذا مقطع القصيدة ما معناه :

" لا يهم إقبال مدرسة لكنؤ اللغوية ومدرسة دلهى اللغوية ، إنما نحن عبيد للشعر المجعد للحبيب ! "

ولقد كان الشاعران الشيخان (حالى) و (ازاد) قد أثارا الذوق الشعرى فى أهل لاهور وأما أرشد الجورجانى هذا فقد كان شاعراً بارزاً إلى جانب نقده للشعر، وكان يختلف كثيراً إلى لاهور وكان قد اختار الإقامة بلاهور لمدة لا بأس بها . وهذه القصيدة الغزلية لإقبال التى مر بنا مقطعها يدل على أن إقبالاً كان قد أحسن فى بداية الأمر بحاجة إلى التحرر من القيود التى فترضتها المدرستان الشعريتان لمدينة دلهى ولكنؤ . وكان يرى بأنه لابد له أن يبتكر فرضتها أسلوبًا شعريًا خاصًا يمهد له طريقًا بديعًا فى الشعر . على كل فإن إقبال كان قد بدأ يحضر فى جلسات الجمعية الشعرية هذه، وأخذ أهل لاهور المتذوقون للشعر والأدب يقبلون على (إقبال) إقبالاً كثيراً .

وفى السنة المقبلة أى ١٨٩٦م جاء الشيخ محمد دين فوق من قرية (غرتل) من محافظة سياتكوب يبحث عن وظيفة لنفسة فى لاهور فسمع بصيت الجمعية الشعرية

فى سـوق الحكمـاء (سـوق حكيمـان) داخل باب (بهـاتى) [٢٠] فرأى إقبـال فى مـجلس الشعر فى ذلك المساء فأنشد الشيخ فوق قصيدته الغزلية، وتم اللقاء بينه وبين إقبال ، وتأسس الود والصداقة بينهما وقد استمرت هذه الصادقة مدى الحياة أما الشيخ فوق فقد أشـتـهر كـاديب ومؤرخ وصـحـفى بدل أن يشـتـهر شـاعـراً إلا أنه لم يكن السيد الفولاذية قد أصدر جريدة " بنجه فولاد " أى أكثر من شـهرته كـاشـاعر " والمجلة الكشميرية و " أخبار كشمير " (خلال المدة التى قضاها طالبا بالكلية الحكومية، ولكن الشيخ قوق كان قد بدأ هو وإقبال يحضران فى جلسات الجمعية الكشميرية الإسلامية والقطعات الشعرية التى كان إقبال قد نظمها عن كشمير فى الطور الأول من شعره وكـانت قـد عـرضت فى جلسات هـذه الجـمـعـيـة ثم نشرت فـى الجـرائد والمجـلات التى أصدرها الشيخ فوق فيما بعد [٢١] .

ويذكر السير عبد القادر بانه كان قد رأى إقبالاً مرة أو مرتين فى بعض الجلسات الشعرية فى لاهور قبل ١٩٠١م لسنتين أو أكثر حيث كان قد رافق إقبال بعض زملائه فى الدرس، وإنه كـان قـد رجاه أن ينشد له قصـيـدة غزلية له ولم يكن أهل لاهور قـد تعرفوا على إقبال حينذاك، وكانت القصيدة قصيرة كما أنها كانت بأسلوب بسيط ولم يكن البحر صـعباً أيضـاً، إلا أن شـعره كان يمتاز بالبداهة والبـهاء وقد أعجبت الكثيرين من الناس [٢٢] ، وهـذا الـذى ذكـره الـسـيـر عـبـد القـادر عـلـى أنه كـان قـد عــرف إقبـال فى ١٨٩٨م أو ١٨٩٩م قـبل أن يصـدر مـجلته (مـخـزن) بسـنتين أو ثلاث سنوات تقريباً وقد فصل القول عن هذا اللقاء مع إقبال فيما بعد فى مقاله له عن الطور الأول لشعر إقبال [٢٣] :

> **" فقد كنت أرقب نجمة إقبال وهى تطل من مطلعها كما أننى كنت جليس إقبـال وزميله فى الشـعر فى بعض المراحل الابتـدائية من تقدمه فى الشـعر وبإمكانى أن أقدم بعض الصـور عن ذلك الطور الأول فقد كـانت تعقد حفلة شـعرية فى منزل الحكيم أمين الدين بسـوق الحكمـاء داخل مـدينة لاهور . وذات ليلة شـارك فى تلك الحفلة الشـعر ية طـالب شاب يرافق بعض أترابه، وكان قد أنشد غزلاً بسيطًا ومقطعه ما معناه :**

(إن إقبال لا يعرف قرض الشعر إلا أنك ما دمت تصر أن تسميه شاعرًا فلا بأس أن تسميه شاعرًا) .

وكانت هذه الكلمات قد صدرت بدون تكلف أو تصنع وكانت قد أنشدت بإسلوب غير متكلف وبذلك كان قد أدرك أصحاب الشعر بأن نجمة جديدة قد بدأت تطل من وافق الشعر الاردوى وكان فى هذه القصيدة الغزلية بيتًا آخر غير هذا البيت المذكور وكان قد أعجب الناس كثيرًا فاستحسنوه وطلبوا من إقبال أن يحضر فى الجلسة الشعرية القادمة . والبيت الذى كان فى تلك القصيدة ما معناه :

هذه فكرة جميلة جاءت لإقبال بأنه سوف يضطرب فى القفص فإنه إن لم يكن طائرًا حرًا داخل الحديقة فكفى له أن تضطرب أجنحته فى هذا القفص !

ويحدثنا السير عبد القادر أن إقبالاً كان يلبس القميص والسروال والصدرة وكان قد تجاوز حدود الصبا ودخل فى حدود الشباب فى ذلك الوقت أن لونه الوضاء وجسمه المترعرع كانا قد أضافا إلى شخصيته جمالاً إلى جمال ... إن مجرد النظر إلى وجهه الوقور كان يؤكد بأنه ليس شخصًا عاديًا (٢٤) .

وهكذا أخذ عدد المستمعين يزداد فى الجلسات الشعرية يومًا فيومًا، ثم بدأت هذه الجلسات الشعرية تعقد تحت رياسة الأمير غلام محبوب سبحانى فى المكان الذى يقع فيه فندق على رأس سوق أناركلى فى هذه الأيام ، وأنشئت جمعية أدبية لتنظيم هذه الجلسات الشعرية وكان يترأسها (مدن جوبال) المحامى وكان سكرتيرها (خان أحمد حسين خان) ، وكان من بين أعضائها البارزين (لاله هركش لعل) و (ميان شاه دين) وغيرهما من الرجال البارزين ، أما الروح المحركة لهذه الجمعية فقد كان هو (خان أحمد حسين خان) رئيس تحرير (شباب أردو) وبعد أيام نشأ تشاجر شاعرى بين أعضائها فانفصل الجناح اللكنوى من الجمعية ، واختار لنفسه اسم المجلس القيصرى، وكان رأسة المدبر هو (ناظر حسين ناظم) وكانت له حلقة واسعة من التلاميذ والأصدقاء فكان (خان أحمد حسين خان) يصدر مجلة "شور محشر" أى "صراخ

الحشر" وكان ناظم يصدر مجلة "سخن " أى "الشعر" كانت هاتان المجلتان الشهريتان تهتمان بالقصائد الغزلية التى كانت تطرح لها المصاريع الشعرية فيقلدها الشعراء وينظمون الشعر على ذلك المنوال . أما إقبال فكان يشارك فى الجلسات الشعرية التى كانت تعقد تحت رياسة الأمير غلام محبوب سبحانى . فكان ينشد قصائده الغزلية على ذلك المنوال الخاص . وكانوا قد طرحوا هذا المصراع الخاص لبعض الجلسات الشعرية لهذه الجمعية ما معناه .

" إن لى صدراً مشرقًا تطلع منه شمس الفراق " ، فأنشد إقبال قصيدته الغزلية التى افتخر فى مقطعها بتلمذه على الشاعر (داغ) ما معناه :

لا يفتخر بذلك الشاعران (نسيم) و (تشنة) وحدهما يا إقبال ، لأنك أنت أيضًا تفتخر بكونك تلميذاً للشاعر (داغ) المفلق .

وكان إقبال قد أنشد منظومة "هماله" (همالايا) فى بعض الجلسات لهذه الجمعية وكانت الجمعية تحرص على نشر المنظومات إلى جانب القصائد الغزلية ويحدثنا السير عبد القادر بأن منظومة إقبال هذه كانت قد نظمت بأسلوب ولون جديد وكانت المنظومة تحمل الأفكار الغربية إلى جانب التعبيرات الفارسية كما أنها كانت تحمل كثيراً من معانى الحب للوطن، وعلى هذا يمكن أن نقول بأن إقبالاً كان قد ابتكر أسلوبًا شعريًا جديداً فى بعض الجلسات لهذه الجمعية فى ١٨١٨م أو ١٨٩٩م [٢٥] .

ويحدثنا الشيخ أحمد دين بأن منزل الحكيم أمين الدين الذى كان مقر الجلسات الشعرية للجمعية كان يواجه منزلاً صغيراً لصاحبة الحكيم (شهباز الدين)، وكان هو ابن عم الحكيم أمين الدين وكان الحكيم شهباز الدين هذا رجلاً نحيفًا نحيلاً جداً إلا أن قلبه كان يزخر دائمًا بالعواطف الإسلامية من الأخوة والحب . وكان يهتم بضيوفه وخدمتهم اهتمامًا بالغا كما أنه كان إنسانًا جبل على خلق من السخاء والتضحية وهذه الأخلاق كانت قد جعلت من منزله ناديًا يحضره أهل الذوق الأدبى من المدينة وكان إقبال قد أشتهم بهذه الجلسات الشعرية ، ولم يمض كثير من الوقت حتى

كان إقبال فى حلقة الحكيم شهباز الدين وجمعيت ، ولم يمض أيام حتى كان إقبال قد أصبح عضواً لهذه الجمعية ، وكان أعضاء هذه الجمعية قد أصبحوا من أخلص أصدقاء إقبال وهم الذين كانوا قد اقنعوا إقبال أن ينظم قصيدة شعرية يقدمها فى الاجتماع السنوى "لجمعية حماية الإسلام فى ١٩٠٠م .

ويتضح من هذه التفاصيل بأن العديد من الجمعيات اللاهورية حاولت أن تجذب إقبال إليها من ١٨٩٥م إلى ١٨٩٩م ، وتعرَّف إقبال على طبقة خاصة من المتذوقين للشعر والأدب بمدينة لاهور . فكان إقبال ينظم القصائد الغزلية على الطراز القديم فيقدمها فى الجلسات الشعر ية للجمعية الشعرية فى ناحية، وفى ناحية أخرى كان ينظم المنظومات المبتكرة على أسلوب جديد فيقدمها فى اجتماعات الجمعية الأدبية كما أنه كان على صلة بالجمعية الكشميرية الإسلامية بلاهور . وكانت هذه الجمعية قد أنشئت فى ١٨٩٦م بمدينة لاهور على أيدى كبار الرجال من الكشميرين ، إلا أنها أوقفت نشاطها فى ١٨٩٧م ثم جددت نشاطها فى ١٩٠١م وكان إقبال يحضر فى إجراءاتها بكل جدّ ونشاط وينشد فيها ما كان ينظمه من الشعر المثير [٢٧] ثم اشترك فى الجسلات الكبيرة لجمعية حماية الإسلام تحت تأثير مباشر لأصدقاء الحكيم شهباز الدين فأشتهر كشاعر كبير فى الأوساط الشعبية الوطنية .

وكان إقبال ينشد شعره فى هذه الاجتماعات بدون أن يغنى بها ، إلا أنه كان يملك صوتًا جميلاً مثيرًا للغاية ، ومن ثم أشار عليه بعض أصدقائه وأصروا أن يغنى لما كان يلقيها من القصائد الشعرية ؛ فهذا السير عبد القادر يحدثنا فى مقال له وعنوانه "سور الألم" [٢٨] بـ .

"كان إقبال يحب الموسيقى كما أنه كان يرغب فى الشعر ولم يتح له أن يتعمق فى فن الموسيقى إلا أن مسامعه كانت تعرف ألحان

الموسيقى فكان يتمتع بالغناء كما يتمتع به الخبير بفن الموسيقى . وكان الله قد وهبه صوتًا جميلاً رائعًا، ومن ثم كان يغنى بشعره بين أصدقائه فى بعض الأحيان مما كان يضيف إلى الشعر جمالاً إلى جمال ومتعة إلى متعة وكان يختار لحنًا مناسبًا بكل بحر خاص مما كان يؤثر فى نفوس السامعين تأثيرًا سحريًا . وكانت تغلب عليه حال الألم حين كان يغنى لشعره ولم يكن للسامعين يد إلا أن يتأثروا بما كانوا يسمعون من الشعر بصوت مثير وعندما أخذ يشارك فى الجلسات الكبيرة والاجتماعات القومية كان ينشد شعره بدون الغناء إلا أن الناس عرفوا أخيرًا أنه يملك صوتًا جميلاً فكان الناس يطلبون إليه أن يغنى بشعره فكان ينزل عند إرادة أصدقائه دائمًا فاشتهر إقبال بذلك حتى إنه كان كلما بدأ ينشد شعره ألح عليه الناس أن يغنى به وكان كثيرًا ما يغنى بشعره فى الاجتماعات السنوية لجمعية حماية الإسلام فكان عندما بدأ يغنى بشعره فى الوهلة الأولى جعل بعض الطلاب الراغبين فى الشعر يغنون بشعر إقبال ويتبعونه فى ألحانه التى كان يختارها فكان كل واحد منهم يغنى بالشعر بأسلوب إقبال ولحنه (والخواجا دل محمد ، ايم . أى) والذى كان يدرس العلوم الرياضية بالكلية الإسلامية حينذاك والذى واكتسب شهرة كشاعر كان طالبًا فى ذلك الوقت وكان يعتبر مقلدًا ناجحًا لصوت إقبال وأسلوبه الغنائى . وكان الميرزا أرشد الجورجانى أحد أعضاء الأسرة الملكية المشهورين بمدينة دلهى حيا فى ذلك الوقت وكان يدرس اللغة الفارسية فى مدرسة حكومية بمدينة فيروز بور وهو الآخر الذى كان ينشد قصائده فى الاجتماعات السنوية للجمعية وكان الناس يحبون قصائده وكان الكيرزا ينشد شعره دائمًا بدون الغناء فرأى شعبية إقبال تزداد يومًا فيوما فأحس بالحاجة إلى أن صوت إقبال الحلو هو الذى

قد طار بشعره فأشار إلى ذلك في بيت من قصيدة نظمها ما معناه :

(أن القصائد المنظومة لإقبال قد جعلت من كل شخص مطربًا مغنيك) ولقد كان صحيحًا بأن إقبال كان قد حبب إلى الناس الغناء والترنم إلا أن شعبية إقبال كانت ترجع إلى أسباب أخرى كانت توجد فى شعره فى ذلك الوقت وازدادت ورسخت فى شعره فيما بعد " .

وقد مر بنا بأن إقبال كان جميل الصوت منذ طفولته وكان قد تعلم التجويد، وكان يقرأ بصوت جميل وقد استمر يقرأ القرار بالتجويد وبصوته الجميل إلى آخر اللحظات وكان يشترى القصص المنظومة فيأتى بها إلى المنزل ويقرأها بصوت جميل أمام نساء الدار وتعلم الحان الموسيقى عندما كبر، وليس لدينا ما يؤكد لنا بأنه كان قد تعلم من الموسيقى من أستاذ من أساتذتها إلا أنه كان جميل الصوت وكان يلم بفن الموسيقى وكان شاعراً بالطبع، ومن ثم لم يكن الصعب عليه أن يختار نغمة مناسبة لبحر من البحور . على كل حال فكان إقبال قد تعلم كيف يغنى بشعره حين ينشده وهو فى لاهور حتى تذوق هذه الطريقة فى إنشاد الشعر . لا شك أن هذا يرجع كثيراً إلى ما أصر عليه أخلص أصدقائه الذين كانوا يقدرون شعراً رصينًا ، كما أنهم كانوا ملمين ألمامًا صحيحًا بفن الموسيقى فكانوا يهتمون بعقد الجلسات والحفلات لهذا الغرض ولعل إقبال كان قد اشترى قيثارة ذات ثلاثة أوتار فى هذا الطور من حياته وأخذ يتعلم عزفها وكان يتمرن عليها واستمر يرغب فى ذلك إلى مدة وكان قد أعطى قيثارته هذه لبعض أصدقائه من الهنادكة قبل أن يسافر إلى أوروبا فى ١٩٠٥ إلا أنه كان قد احتفظ بالمضراب كذكرى لأيامه تلك وقد رأى مولف هذا الكتاب ذلك المضراب بين الأشياء التى تركها إقبال بعد وفاته إلا أنه، أختفى فلم يعثر عليه .

وكان من معتاد إقبال أنه كان يقضى الإجازات الصيفية والعطلات الأخرى عند أبوية وبين أهله فى سيالكوت حين كان طالبًا بالكلية الحكومية وليس لدينا ما يأكد لنا

أن إقبالاً كان يحضر فى جلسات النوادى الأدبية بمدينة سيالكوت فى ذلك الوقت ولعله كان يقضى معظم أوقاته خلال الإجازات بين أسرته وأصدقائه أو فى حلقة شيخه سيد مير حسن، وأما عن صور إقبال التى حصلنا عليها حتى الأن فأقدمها هى التى صورت فى ١٨٩٩م حين كان إقبال فى السنة الأخيرة من ماجستير الفلسفة وقد بدا إقبال فى هذه الصورة لابسًا عباءة سوداء طويلة وعلى رأسة طربوش وله شوارب غثه بنية اللون وعلى عينيه نظارة .

وكان إقبال قد دخل ميدان الشعر كشاعر للقصيدة الغزلية التقليدية، وإذا درسنا ما قاله من القصائد الغزلية وهو طالب من ١٨٩٣م إلى ١٨٩٩م نرى أنه كان يقول القصائد الغزلية على أسلوب أستاذه "داغ" ولكننا نجد بين حين وأن بعض الأبيات الشعرية الغزلية التى يمتاز بها شعر إقبال، أما داغ فقد كان شاعر الحب المجازى وأما إقبال فقد قال القصائد الغزلية كأنه رأى أن يقول القصائد الغزلية حتى ولو إنه لم يجرب الحب وهذا الأسلوب الشعرى قد رفضه إقبال نفسه فيما بعد ويحدثنا عبد الحكيم الخليفة فى ذلك قائلاً : (٢٩) .

"وتوجد القصائد الغزلية فى ديوان "صوت الجرس" لإقبال التى تذكرنا بهذا الطور البدائى ونجد فى قصائدة هذه وهو يتمرن على الأسلوب الشعرى الذى كان يتبعه "داغ" حتى أن الموضوعات الشعرية هى هى . ونراه يصيغ الأبيات الشعرية على منول "داغ" أيضًا، ولكننا رغم هذا كله نجد فى هذه القصائد التقليدية من طور التمرين الشعرى بعض الملامح البارزة من أسلوب إقبال الذى كان لابد به من أن يتلألأ على الأفق الأدبى كالشمس فى كبد السماء . ونستطيع أن نسمى هذا الطور من شعر إقبال الصبح الكاذب لشعره . ذلك الذى كان تمهيدًا لطلوع الشمس المشرقة من شعر إقبال" .

ومن الخصائص الشعرية لهذا الطور الشعرى أن إقبالاً كان قد تركز على شخصيته تاركًا ما حوله من الظروف رغم أن رغبته فى الفلسفة ودراستها قد انتجت

البعض من لآلى الحكمة فى الشعر الغزلى التقليدى إلا أن هذا التفكير الفلسفى كان سببًا لبعض المشاكل الفكرية المغلفة فيما بعد وهذا إقبال نفسه يحدثنا عن ذلك فى ١٩١٠م [٣٠] .

" ولابد أن اعترف بأننى قد استفدت كثيرًا من هيجل وجوئتى والميرزا غالب وعبد القادر بيدل ووليام ورد زورث . أما هيجل وجوئتى فقد ساعدانى فى الوصول إلى باطن الأشياء وحقائقها، وأما بيدل وغالب فقد علمانى أن يبقى عندى روح الشرق فى أساليب التعبير رغم اكتساب الكثير من الأساليب والقيم للشعر الغربى، وأما ورد زورث فهو الذى قد أنقذني من الإلحاد حين كنت طالبًا " .

وهذه الكلمات توضح لنا جليا بأن إقبالاً كان يهوم فى البحث عن الحقيقة وهو طالب وكانت موهبته تقوده فى ذلك وقد كان ذلك التضارب الفكرى من النوع الخاص بالذاتية والباطن لأن إقبالاً فى طوره هذا لم يكن ليؤمن بشىء ويعترف بصدقه على رأى غيره وحده . أما الحالة المؤقتة التى واجهها إقبال من الإلحاد فلعل ذلك كان نتيجة بدراسته لفلسفة هيجل فهذا الشيخ أبو الحسن على الهجويرى يقول فى كتابة "كشف المحجوب" بأن الإلحاد أو الدهرية نوع من الحجاب وهذا الحجاب عنده قسمان . أما القسم الأول منه فهو حجاب لايزول كأن الإنسان من هذا النوع قد ختم على قلبه فهذه هى الدهرية المستقلة أو الالحاد الجامد فهو مرض عتيق لا دواء له والقسم الثانى من الحجاب هو ما يسميه الشيخ بحجاب الحق وهذا القسم من الإلحاد ينشأ من التشكيك وينتهى إلى الإيمان وأن الملحد من هذا القسم يحاول ويهوم بضعه أيام مستمرة ويمضى يفرق بين الخير والشر ويعرف الحق بالقوى الداخلية، وهذا القسم من الإلحاد أو الدهرية إنما هى مرحلة مؤقتة فى سير التطور لأى عقل باحث متجسس [٣١] . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو أن إقبالاً كان قد نشأ فى جو إسلامى تقليدى وقد بدأ يتعلم فى نظام دينى من التعليم فلماذا وكيف تأثر بالشاعر وردزورث ؟ إن ذوق البحث والتحقيق عند إقبال يدل على أنه كان مغرمًا ببيئته التقليدية

الضيقة وكانت دراسة الفلسفة الأوروبية هى التى تورطت به فى الوحل الفكرى . ذلك الوحل الفكرى الذى كان قد تورطت فيه الفلسفة الأوروبية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إذن فليس من العجيب أن يعثر الفكر الباحث والقلب الشاعر على جواب مقنع عن ضعف الفلسفة الأوروبية ووهنها بدراسة الشاعر ورد زورث . وإنما ذلك يدل على القلب السليم الذى لم يصل إلى الطريق رغم تأثره بالفكر المادى العصرى فى ذلك الوقت .

ولا يخفى على دراس الفلسفة والتصوف مدى التشابه بين أفكار الشاعر ورد زورث وبين تعاليم ابن العربى الوجودية . ومن السهل أن نستنبط من ذلك أن الذى أنقذ إقبال من التشكيك فى هذه المرحلة من التطور العقلى له إنما هى فكرة وحدة الوجود. أن تطور الفن الشعرى عند إقبال فى هذه المرحلة القصيره من حياته كانت قصيرة جداً فإن البعض من هذه القصائد الغزلية قصائد متينة من ناحية الأسلوب إلى جانب عبق المعانى والأفكار ولا شك أن هذه القصائد الغزلية يشوبها ما يسمى بالعشق المجازى عند المتصوفة ، إلا أن الشعر الصوفى الفلسفى يغلب على الغزل التقليدى ويرفعه إلى العلى من ناحية المعانى والأفكار وأسلوبه بتقديم نحو الإبداع والابتكار ونجد أبيات شعرية تعبر عن فكرة الغناء التقليدية عند المتصوفة تحت التأثير المباشر للفلسفة الوجودية ويبدو وكأن التشخيص الفردى للنفس عند إقبال إنما هو شىء كاذب أو وهم من الأوهام الذى يتلاشى تلقائيًا عندما يتجلى الحق فلا يبقى إلا الحقيقة الأزلية وهو الله وحده سبحانة وتعالى وفى هذا الطور من الحياة كان إقبال قد أسس فكرته السياسية فى ضوء الفلسفة الوجودية ثم قال القصائد والمنظومات فى الموضوعات الوطنية والقومية .

وكان إقبال قد دخل مجالاً شعريًا من الأسلوب الجديد وهو طالب فترك الغزل التقليدى وأقبل على المنظومات الشعرية، وكان ذلك تحت التأثير المباشر للشعر الغربى. أن المدينة الجديدة التى دخلت شبه القارة مع الإنجليز كانت قد أثرت فى الآداب الأردوية فساهمت فى نشر القيم الجديدة بين شعرائها وأدبائها ، وكان الشعر الجديد قد بدأ تظهر طلائعه خلال حركة عليكره الفكرية والسياسية ، وذلك فى اختيار

الموضـوعـات الشـعـرية على منوال الغـربيين وأن الشـيـخ حـالى وشـبلى وازاد لم يكونوا يعرفـون اللغـة الإنجليـزية إلا أنهم كانوا قـد أعـرضـوا عن الأسلوب الشـعـرى التقليدى وتأثروا بالأسـاليب الشعرية الحديثة وكانت هذه الآثار الجديد سـائدة فى أوساط الكلية الحكومية بالاهور وإقبال طالب فيها فكانت أمامه النماذج الجيدة من الشـعـر الإنجليزى بالإضـافة إلى الشـعـر الأردوى الفـارسى أمـا الشـعـر الأردوى والفـارسى فكان ينقصـه الشـعـر القـومى والوطنى والوصـفى ، إلا أن هذه المشـاعر والأفكار كـانت موجـودة فى الشعر الإنجليزى . ومـن ثـم كان التـأثير الغـربى قـد غـير مجرى إقبال الشعرى وهـو لا يزال فى المرحلة الابتدائيـة وكـان قـد ترجم إقـبـال العـديد من المنظومـات الشـعـرية الإنجليزية إلى جانب المنظومات الشـعـرية التى لم تكن مـترجمـة إلا أنها كانت غـربيـة الأسلوب والمعنى .

وقد كان الشيخ حالى هو الذى أسس الشعر الوطنى تحت التأثير المعاصر إلا أن الشـعـر القـومـى فى تلك المرحلة من حيـاة المسلمين إنمـا كـان رثـاء شـعـبـيًا وليس شـعـرًا قوميًا ومن ثم نجد هذا الرثاء الشـعـبى فى شـعـر إقبال حين دخل مجال الشـعـر القـومى على إصرار من بعض أصدقائه .

على كل حـال فإن إقبـال كـان قد نشـر العديد من القـصـائد الغزليـة وهو لا يزال طالبًا فى بعض المجلات منها مـجلة "اللسان" و "صـراخ الحـشر" وغيرهـما وكانت شـهرة إقبال مـقـصـورة على من كـان يحـضـر فـى تلك الجلسـات الشـعـرية للجـمـعـيـة الشـعـرية والواقع أن إقبالاً لم يكن شـاعـرًا من شعرا المهرجانات الشـعـرية ومن ثم أعـرض إقبال عن الحـضـور فـى هذه الجلسـات الشـعـرية بعـد أن أنهى دراسـاتة بالكليـة والجـامـعـة . ويتضح من دراسـة شعر إقبال وهو طالب أنه كـان يجمـع الاضداد فى شـخـصـيته وفى فنه الشـعـرى فلم تزل الحـيـاة عنده لغـزًا ولم يسـتطع أن يصل إلى شـىء من اليـقين والنضج الفكرى وإنما كانت فكرته الشـعـرية وعقليته معمـلاً لنقد القوة والضـعف فى الأفكار والنظريات والمشاعر وقد امتدت هذه الفكرة والعقلية إلى مدى لا بأس به .

الفصل السادس

فى مجال التدريس والبحث

كان (إقبال) قد عين أستاذًا فى وظيفة (مدرس ميكلود العربى) بالكلية الشرقية براتب شهرى قدره ثلاث وسبعون روبية تقريبًا فى ١٣ من مايو ١٨٩٩م بعد أن انتهى من امتحان الماجستير[١] . وفى هذه السنة نفسها كان الأستاذ (أرنولد) أيضًا قد عين قائمًا بأعمال عميد الكلية الشرقية وبراتب شهرى قدره مائتان وخمسون روبية، وقد استمر (إقبال) يعمل فى وظيفة (مدرس ميكلود العربى) أربع سنوات تقريبًا أى إلى مايو من ١٩٠١م، وفى أثناء ذلك أخذ إجازة ستة أشهر بدون راتب فى أول يناير ١٩٠٣م فعمل أستاذًا مساعدًا للغة الإنجليزية بالكلية الحكومية [٢]، وفى هذه السنة نفسها - أى سنة ١٩٠١م - كان (إقبال) قد نجح فى امتحان المنافسة لوظيفة (المحافظ المساعد الإضافى) إلا أن لجنة طبية أعلنت عن عدم كفاءته لتلك الوظيفة من وجهة النظر الطبية ؛ إذ كانت عينه اليمنى ضعيفة البصر [٣] .

وأما عين (إقبال) اليمنى فكانت ضعيفة البصر منذ الطفولة، ولعل ذلك كان هو السبب الذى جعل (إقبالا) يستعمل النظارة وهو طالب بالكلية . وقد حكى (إقبال) شخصيًا أن عينه هذه كانت قد ضعفت وهو فى الثانية من عمره، ومن ثَمَّ لم يكن يتذكر أن عينه هذه كانت سليمة صحيحة فى يوم من الأيام، وكان يرى الأطباء أن العين اليمنى كان بصرها قد ضعف بسبب الدم الذى استنزف منها، وكانت أم (إقبال) قد أخبرت ابنها بأن دمه كان قد استخرج بواسطة العلق وهو صغير ؛ ثم عين الأستاذ (أرنولد) قائمًا بأعمال عميد الكلية الشرقية مرة ثانية فى ١٩٠٢م وذلك أن عميدها الكندى الجنسية السيد (ستراتن) كان قد مات فى مدينة (جلمرج) ، (بكشمير) وكان (إقبال)

على صلات طيبة بالسيد (ستراتن) فلعله كان سبباً جعل (إقبالاً) يفكر فى السفر إلى (كندا) أو (أمريكا) للدراسات العليا وحاول الاتصال بالجامعات الأمريكية ليعرف قواعد القبول والالتحاق بها إلا أن حلمه هذا لم يتحقق [٥]، وأخيراً استطاع الأستاذ (أرنولد) أن يقنع (إقبالاً) بالسفر إلى ((إنجلترا)) و(ألمانيا) للدراسات العليا وقد استمر الأستاذ (أرنولد) يعمل قائماً بأعمال عميد الكلية الشرقية حتى أبريل ١٩٠٣م ثم رجع إلى الكلية الحكومية وترك الأستاذ (أرنولد) الوظيفة بالكلية الحكومية فى ٢٦ من فبراير ١٩٠٤م وسافر إلى ((إنجلترا)) وكان (إقبال) يعمل مدرس ميكلود العربى بالكلية الشرقية. وكان يدرس التاريخ والاقتصاد والفلسفة للفصول المتوسطة الثانوية وفصل التخرج للعلوم الشرقية، وكان (إقبال) يدرس ثماني عشرة حصة فى كل أسبوع وكانت الحصة الواحدة عبارة عن خمسين دقيقة فكانت له ست حصص لفصول التخرج فى العلوم الشرقية وكان يدرسها التاريخ والاقتصاد وكانت له اثنتا عشرة حصة لسنتين فى الثانوية المتوسطة وكان يدرسها الفلسفة وبالإضافة إلى التدريس أعد (إقبال) تراجم بعض الكتب وألف العديد من الكتب خلال أربع سنوات هذه والكتب هى - [٦] :

١ - نظرية التوحيد المطلق للشيخ (عبد الكريم الجيلى) باللغة الإنجليزية .

٢ - البلانتانيجيون الأوائل (الأسرة المالكة البريطانية القديمة) للسيد اسطبس "لخصه وترجمة إلى الأدوية" .

٣ - الاقتصاد السياسى للسيد (واكر) ، لخصه وترجمه إلى الأردية .

٤ - علم الاقتصاد .

أما الكتاب الأول فقد كان بحثًا علميًا باللغة الإنجليزية عن كتاب "الإنسان الكامل" للجيلى [٧] ، وأما الكتاب الثانى فهو عن تاريخ (إنجلترا) الابتدائى منذ عهد (هنرى الثانى) و(رتشارد الثالث) ، وأما الكتاب الثالث فهو عن المبادئ الاقتصادية للسيد واكر وأما الكتاب الرابع فهو من مؤلفات (إقبال) الأصلية .

وأما علم الاقتصاد فهو أول كتاب من مؤلفات (إقبال) نشر باللغة الأردية وقد عثر على نسخة من الكتاب فى مكتبة (إقبال) الشخصية، إلا أنه لا يحمل تاريخ الطبع

ولكننا قد وجدنا ما كتبه (إقبال) بخط يده على غلاف الكتاب أنه كان قد أهدى إلى السير (كشن برشاد) رئيس وزراء (حيدر أباد الدكن) وكتب (إقبال) اسمه باعتباره مؤلفا للكتاب (س ، م ، (إقبال) المحامى بلاهور) وتحت التوقيع تاريخ وهو ٣١ من مارس ١٩١٠ ولعل (إقبال) كان قد أراد أن يهدى الكتاب إلى (السير كشن برشاد) ولكنه لم يبعث إليه أو أنه كان قد بعث به إليه ثم استعاده ليحتفظ به فى مكتبته . على كل حال فقد جاء اسم المؤلف على غلاف الكتاب (الشيخ محمد (إقبال) ايم ، أى) الأستاذ المساعد بكلية (لاهور) الحكومية وقد طبع الكتاب فى مطبعة (خادم التعليم ستيم بريس لجريدة بيسه أخبار لاهور) وتحت إشراف المنشئ محمد عبد العزيز المدير وقد عنونه (إقبال) باسم (السير بيل) مدير التعليم لإقليم (بنجاب) والذى كان أستاذاً للفلسفة بالكلية الشرقية قبل الأستاذ (آرنولد) وهو أستاذ (إقبال) أيضًا [٨] وانتهت مدة الوظيفة باعتباره مدرسا ميكلود العربى بالكلية الشرقية فعين (إقبال) أستاذاً مساعداً للكلية الحكومية فى يونيو ١٩٠٣م وقد طبع هذا الكتاب فى ١٩٠٤ [٩] .

وقد صرح (إقبال) فى مقدمة الكتاب بأنه ليست ترجمة لكتاب إنجليزى خاص وإنما أخذ المعلومات واقتبسها من الكتب المشهورة الموثوق بها، كما أنه (إقبالاً) أبدى عن رأيه الخاص فى المشاكل الاقتصادية فى بعض الأحيان وذلك حين كان واثقًا متأكداً من صحة رأيه . وفى المقدمة يشكر (إقبال) أستاذه الكبير الأستاذ (آرنولد) الذى شجعه على تأليف هذا الكتاب، وكان (إقبال) قد استفاد من مكتبتى (أستاذ لإله جيارام) و (ميان فضل حين) كما أن الشيخ (شبلى النعمانى) كان قد راجع بعض فصول الكتاب. ويقول (إقبال) معرفا بعلم الاقتصاد ومشيراً إلى أهميته :

> **«إن علم الاقتصاد يبحث عن التعامل الإنسانى العادى فى الحياة ويهدف إلى البحث عن دخل الناس واكتسابهم، ثم إنفاق ذلك واستخدامه؛ فمن هذه الناحية موضوع هذا العلم هو إمال ومن ناحية ثانية هو قسم من ذلك العلم الوسيع الذى موضوعه الإنسان نفسه . ومن الشئون المعترف بها أن مشاغل الإنسان العادية تؤثر فى حياته وأطواره وأوضاعه تأثيراً كبيراً حتى أن القوى العقلية للإنسان أيضًا لاتسلم من تأثيره، ولا شك فى أن**

مبدأ الدين كان قوة موثرة للغاية فى السيل المتدفق من التاريخ الإنسانى . كذلك فقد تحقق مما نجربه ونشاهده فى حياتنا اليومية أن مشكلة اكتساب الرزق لم تزل ترافق الإنسان دائمًا ولا تزال تؤثر فى ظاهر الإنسان وباطنه ويكون سيرته فى شىء من الهدوء والخفاء ؛ فلو فكرنا قليلاً فى الفقر أو فى حوائج الحياة التى قد لا تتحقق تحققًا كاملاً كيف يتأثر بذلك الإنسان وسيرته . إن الفقر يؤثر فى المواهب الإنسانية تأثيرًا سيئًا حتى إنها تكدر المرآة الصافية من الروح الإنسانية فى بعض الأحيان فلا يبقى له أى أثر فى الخلق والحضارة ، فيعود وجوده وعدمه سواء . وكان المعلم الأول أى (أرسطو) الفيلسوف يرى أن العبودية عنصر حيوى لإقامة الحضارة البشرية إلا أن الدين والتعليم المعاصر قد اهتما بحرية الإنسان الفطرية ، وأخذت الشعوب المتقدمة تشعر شيئًا فشيئًا أن هذا الامتياز البدائى فى المراتب ليس شيئًا حيويًا لإقامة الحضارة البشرية ، وإنما هو سبب الفساد والتغيير ويؤثر فى الحياة البشرية تأثيرًا سيئًا من جميع النواحى والجوانب ، وهكذا طرح السؤال نفسه فى عصرنا على الفقر عنصر حيوى للنظام العالمى أفلا يمكن أن يتحرر كل فرد من آلام الفقر والإفلاس ؟ أفلا يمكن أن تنتهى الأصوات المؤلمة التى ترتفع من أزمة المجتمع وأحيانه بين حين وآخر؟ وهل يمكن أن تنتهى المشاهد الأليمة المهيبة من الإفلاس التى تهز النفوس الرحيمة ، فلا يوجد لها أى أثر فوق الأرض وعلم الاقتصاد لا يرد على ذلك ردًا شافيًا ؛ لأن الجواب مقصور على الكفاءات الخلفية الفطرية للإنسان إلى حد بعيد وأصحاب هذا العلم خبراؤه لا يملكون وسيلة تقودهم إلى معرفة هذه الكفاءة والمواهب إلا أن الرد يقصر إلى حد كبير على الوقائع ونتائجها التى تتصل بعلم الاقتصاد والبحث ، ومن ثَمَّ هذا هو العلم الذى يهم الإنسان للغاية

ودراساته تعتبر من حوائج الحياة تقريبًا وخاصة لابد لأهل (الهند) أن يدرسوا هذا العلم ويتعمقوا فيه لأن الفقر قد انتشر فى هذه البلاد انتشارًا واسعًا . إن بلادنا تتعرف شيئًا عن الأسباب الحضارية والعيوب الجماعية التى يجب الاطلاع عليها ؛ لأنها دواء شافٍ لخير الشعب وصلاحه . ويحدثنا التاريخ البشرى أن الشعوب التى أهملت ظروفها الحضارية وشئونها الاقتصادية قد لاقت مصيرًا مؤلمًا فى النهاية . وعليه فإذا أراد أهل الهند أن يحيا اسمهم فى سجل الشعوب فيجب عليهم أن يعرفوا مبادئ هذا العلم المهمة . وأن يعرفوا الأسباب التى تمنعهم وتقف فى سبيل التقدم الوطنى ، وإن غرضى من هذه الصفحات إنما هو أن أبسط مبادئ هذا العلم المهمة وأوضحها وأن أناقش الظروف التى تسهل تطبيق هذه المبادئ فيها . فإذا أتيح لشخص واحد أن يستفيد من هذه الصفحات وأن يفكر فى هذه المعلومات فإنى أكون قد نجحت فيما قصدت إليه ، وحينئذ لن يضيع ما انفقت من مواهبى الفكرية والعقلية فى إعداد هذه الصفحات» .

وأما الموضوعات التى يتناولها الكتاب فى أبوابه المختلفة فهى علم الاقتصاد ، وطرق البحث فيه ، وإيجاد الثروة (أى الأرض والجهد ورأس المال وصلاحية شعب من ناحية اكتساب الثروة) وتبادل الثروة (مشكلة المقادير والتجارة بين الشعوب وماهية النقود ومقدارها وحق قيمة النقد الورقى وأهميته) والمساهمون فى إيجاد الثروة واكتسابها (الضرائب سهم المرابى أو الربا . الآجر صاحب المصنع ونصيبه وفوائده . أجور العمال والتنافس غير الكامل وتأثيره فى حالة الصانعين - نصيب الدولة أو الضرائب (سكان والسبب الاقتصادى - ونشأة الحوائج الجديدة وإنفاق الثروة وصرفها) .

ولم ير (إقبال) من المناسب أن يطبع الكتاب طبعة ثانية وذلك نظرًا إلى النظريات الاقتصادية المتطورة [10] إلا أن الكتاب له جوانب تمثل آراء (إقبال) فى المشاكل الاقتصادية ؛ فمثلاً يقول (إقبال) عن تنظيم الأسرة وتخطيطها [11] :

« إن دراسة الأوضاع الراهنة فى أغلب الدول فى العالم تدل على أن عدد السكان لبنى آدم فوق الكرة الأرضية سوف يتضاعف خلال ربع قرن من السنوات القادمة وإذا كانت هذه هى الأوضاع فعلى سكان الدول التى يتزايد عدد سكانها دون أى تحديد فعلى أهلها أن يخططوا ويهتموا بمصير بلادهم ويتخذوا الوسائل اللازمة لتحديد السكان . إن مقدرة الإنسان على التوالد والتناسل إذا لم تحدد بعمل اختيارى أو بأسباب غير اختيارية مثل الجدب والأوبئة والحرب ؛ فإن عددها المتزايد قد يقود إلى دمار بنى آدم والقضاء عليهم . ورغم وجود هذه الأسباب نرى عددًا كبيرًا من بنى آدم يعانون الفقر المتزايد كل يوم . ذلك الفقر الذى يكرههم على اقتراف الجرائم والآثام التى يخجل منها ويندم عليها الضمير الإنسانى . فإن الفقر هو مصدر الجرائم كلها فلو تم القضاء على هذه المصيبة التى لا علاج لها ولا دواء فمن الممكن أن تتحول دنيانا هذه إلى جنة الفردوس ، ونظرًا إلى الأوضاع الراهنة فإن التخلص من براثن الآفة الرهيبة ليس إلا فى تحديد السكان لتضمن الوسائل الاقتصادية الحالية لبقاء النسل البشرى ، فعليه من واجبنا أن نتخذ الوسائل التى فى حدود إمكاننا والتى تساعدنا على تحديد السكان لتكون هذه الأسباب الكسبية عونًا للأسباب الطبيعية ، ويمكن بذلك تحديد السكان وتحرر البشرية من آلام الفقر لتعيش حياة هادئة مطمئنة رغيدة ، فماذا تقتضى الأوضاع الراهنة فى (الهند) المعاصرة ؟ إن بلادنا ينقصها الوسائل والموارد وعدد السكان فى تزايد مستمر ، وأن الطبيعة تعالج هذا التزايد بتجنب الوباء، ولكن يجب علينا أيضًا أن نتحرر من الزواج المبكر وتعدد الزوجات والعمل بقوانين التعدد الازدواجي، كما يجب علينا أن ننفق ما اكتسبناه بالحكمة والنظر فى العواقب والمصير ، ويجب علينا أن نهتم

بالصناعة والمهن حتى نضيف إلى مقادير الأجور ونفكر فى مصير شعبنا بالنظر العتميق فى شئوننا الاجتماعية حتى نتخلص من مصير الفقر الرهيب المؤلم ونتقدم فى مجال الثقافة والمدنية إلى أقصى مدارجها ؛ فبذلك يمكن فلاحنا الحقيقى ونجاحنا الأصلى ولا يذهب بكم الظن مما قلنا إننا نريد أن نمنع بنى أدم من التمتع بالزواج وغيره ؛ وإنما غرضنا من هذا أن نحدد التوالد وحتى يكون لنا العدد الأقل من الأولاد ، إلى أقل حد ممكن ؛ وذلك لأن التوقان إلى النكاح إنما هو مما تقتضيه الجبلة والطبيعة البشرية وأن الضغط على ذلك قد يضر الإنسان من ناحية وعليه فإن مصلحة الإنسان فى ضوء علم الاقتصاد أن تجتنب إرضاء شهواته الحيوانية إلى ما وسع له ذلك ، وأن يحدد من توليد الأطفال إلى ما أمكن له ذلك أيضًا ، ويمكن تحقيق هذا الغرض الزواج المتأخر أو بعبارة أخرى بتحديد النسل والضغط على شهوات الإنسان النفسانية » .

وكان (إقبال) يدرس فى الكليتين - أى الكلية الشرقية والكلية الحكومية - فى وقت واحد ، وكان قد عين أستاذًا مساعداً مؤقتًا للغة الإنجليزية بالكلية الحكومية فى مكان الأستاذ (لإله جيار رام) فى ٤ من يناير ١٩٠١م (١٢) .

وكانت صلة الارتباط بين (إقبال) وجمعية حماية الإسلام قد بدأت منذ ١٨٩٩م ، وكان (السير عبد القادر) يدرس الإنجليزية بالكلية الإسلامية فى ذلك الوقت ، وكان لابد له من أن يأخذ إجازة من عمله فحل محله (إقبال) بالكلية الإسلامية حيث كان يدرس اللغة الإنجليزية وآدابها(١٣) ثم عين فى الوظيفة بالكلية الحكومية وتسلم عمله فى ١٦ من أكتوبر ١٩٠٢م واستمر يعمل كذلك إلى ٣١ من مارس ١٩٠٣م وكان راتبه الشهرى مائتى روبية ، وحين انتهت مدة توظيفه بالكلية الشرقية باعتباره مدرسًا ميكلود العربى عين أستاذًا مساعداً للإنجليزية فى الكلية الحكومية مرة أخرى فتسلم بها عمله فى ٣ من يونية ١٩٠٣م وكانت مدة توظيفه إلى ٣٠ من سبتمبر ١٩٠٣م (١٤) إلا أن

هذه المدة مدت لستة أشهر أخر – أى إلى ٣١ من مارس ١٩٠٤ [١٥] – وحين انتهت هذه المدة أضيف تمديد آخر لستة أشهر أخرى وأخذ يدرس الفلسفة ، وكان راتبه الشهرى مائتين وخمسين روبية ، ولم يزل يحتل هذه الوظيفة حتى حان سفره إلى (أوروبا) للدراسات العليا فأخذ إجازة ثلاث سنوات بدون راتب منذ أول أكتوبر ١٩٠٥م[١٦] .

إن الأعمال التى اشتغل بها (إقبال) فى مجال البحث والتدريس كانت متنوعة من ناحية الموضوعات فكان يدرس التاريخ والاقتصاد والفلسفة والإنجليزية ، كما ألف فى مجال الفلسفة والتاريخ والاقتصاد .

وبعد أن أنهى (إقبال) دراسته بالكلية الحكومية ترك دار إقامتة (كوادرنجل) للكلية وتحول إلى داخل (بهاتى). ويحدثنا الدكتور (عبد الله تشفتائى) عن المساكن التى نزل بها (إقبال) فى (لاهور) قبل سفره إلى (إنجلترا) بأنه كان قد استأجر منزلا داخل باب (بهاتى) لصاحبه (ميان أحمد بخش) وذلك حين وظف مدرسا فى ١٩٠٠م وفى هذه المنطقة نفسها كان يسكن (المولوى محمد باقر) أستاذ الفارسية وشمس العلماء (المولوى محمد حسن آزاد) أستاذ العربية بالكلية الإرسالية و(المولوى حاكم على) أستاذ الكلية الإسلامية والمفتى (عبد الله الطونكى) ، وليس بمقدرتنا أن نحدد هذا المنزل بالتحقيق إلا أن المنزل الذى تحول إليه (إقبال) بعد مدة كان على مفترق حارة (حلونيان) داخل باب (بهاتى) وعلى منحنى الحارة بئر ، حيث يصعد سلم فى الطابق العلوى لهذا المنزل . وكان (إقبال) قد نزل فى الطابق العلوى لهذا المنزل لبضعة أشهر، ثم تحول إلى منزل آخر قريب منه والذى كان يملكه (لا له رام سرند داس) ورقم هذا المنزل الحالى هو (٥٩٧ ب) ؛ حيث أقام (إقبال) قبل إن يسافر إلى (إنجلترا) فى ١٩٠٥م وكان يسكن فى هذا المنزل نفسه (الشيخ حاكم على) قبل أن ينزل به (إقبال) ، وكان باب المنزل يفتح فى الزقاق وكانت له ثلاث نوافذ وثلاث مداخن فى واجهة السوق فى الطابق الأعلى ، وكانت (لاهور) قد أصيبت بالزلزلة فى ١٩٠٥ و(إقبال) نازل فى هذا المنزل ، وكان (إقبال) مضطجعا على سرير عند المدخنة فلم يزل يدرس بكل هدوء ، ورغم أن الزلزلة كانت شديدة جدا إلا أن (إقبال) لم يشعر بذلك حتى أن المدخنة الأخرى كانت قد تكسرت بصدمة الزلزلة .

وكان (الشيخ جلاب دين)يسكن قريبا من منزل (إقبال) إلى جانب أصدقائه الآخرين ، وكان منزل حكيم (شهباز الدين) على مقربة منه، وكان (إقبال) يختلف إليه يوميًا، وكانت توجد مصطبة خارج المنزل ، حيث كان أصدقاء (إقبال) يجتمعون فيتجاذبون ألوان الحديث فكانوا يشترون تبغًا ببيسة واحدة فيدخنون الغليون ويتمتعون به[١٧] ويحدثنا (السير عبد القادر) باب المكان الذى كان مشهداً لإعداد المنظومات الشعرية (لإقبال) وهو شرفة صغيرة كانت فوق الدكاكين على اليمين داخل باب (بهاتى) فى نهاية سوق الحكماء ، وهذه هى الشرفة التى كان يسكنها (إقبال) قبل سفره إلى (إنجلترا) ؛ وهذا نص ما قاله (السير عبد القادر) عن ذلك[١٨]:

« كنت أجلس إليه عند المساء فكنت أجد اثنين أو ثلاثا من أصدقائه يجالسونه ، فكان أحدهم سيد محمد تقى) استاذه الشيخ وكانت الصداقة بينه وبين (إقبال) تقوم صلات قديمة ، وكان هناك شخص آخر من (سيالكوت) وهو (سيد بشير حيدر) وكان طالبًا حينذاك ثم عين نائبًا ، وكان هناك طالب آخر وهو (سردار عبد الغفور) وكان يسمونه (أبو صاحب) وكان جيمعهم معجبين بشعر (إقبال) وكان قرض الشعر يبدأ حين ألتحق بهم أنا فكنت أبحث بيتا شعريًا أو مصراعًا شيقًا لأنشده أمام (إقبال) حتى ينظم على منواله ، فكان يستمر فى تدخين الغليون ونظم الشعر وكان أبو صاحب يأخذ القرطاس والقلم فيكتب الشعر ، وهكذا نظم (إقبال) معظم ما قاله من الشعر فى المرحلة الأولى من طوره الشعرى ، وكان (أبو صاحب) يبيض مسودته فى كراسة مجلدة ، ولولا أبو صاحب هذا واستعداده للكتابة لضاع كثير من شعر صديقنا الراحل (إقبال) ؛ لأنه لم يكن يحتفظ بمسودة من شعره عنده فى ذلك الوقت .

وأما النشاطات الثقافية (بلاهور) فقد كان مركزها باب (بهاتى) وكانت توجد محطة السكة الحديدية بلاهور و(شارع المال) – شارع القائد الأعظم الآن – ومقر الحاكم

و(حديقة لارينس) - حديقة جناح الآن - جامعة (بنجاب) والمتحف وحديقة الحيوان وغيرها فى أماكنها الحالية ، وكانــت المحال التـجارية للتجار الأوربيــين على شارع المال وأما (قاعة منتجمرى) بحديقة (لارينس) - مقر مكتبة القائد الأعظم الآن فقد كانت قاعة خاصة لا يدخلها إلا الحكام من الجنس الأبيض فكانوا يدخلونها فيشربون الخمور ويرقصون وكانت المدينة تبدأ حدودها من (نيلا جند) - القبة الخضراء - وسوق (ارناركلى) كما أن الحياة داخل المدينة كانت حياة شرقية خالــصة وكان ، (إقبال) قد نزل داخل باب (بهاتى) ؛ لأن معظم أصدقائه كانوا نازلين هناك .

وفى هذا الطور من حياة (إقبال) كان (على بخش) خادمه الخاص قد وظف لديه، وكانت مدة قد مضت على تعيين (إقبال) أستاذا مساعدا بالكلية الحكومية حينذاك ، وكان (على بخش) هذا من (اتل حرة) (من محافظات الهند الآن) (من محافظة هوشيار بور) فخرج إلى لاهور للحصول على وظيفة بها ، وبعد أيام وظف عند الشيخ (حاكم على) خادما فى بيته . ولم يمض ثلاثة أشهر على توظيفه حتى بعثه الشيخ حاكم على مع رسالة إلى بيت (إقبال) فنظر إليه (إقبال) وقال له : أنت تستطيع ياعلى بخش أن تعمل موظفا عندنا فقال له على بخش : إننى أعمل موظفًا عند الشيخ وانّى لى أن أترك هذا العمل عنده فقال له (إقبال) : إنك ستجد كل راحة وتستفيد أكثر لو وظفت عندنا ، وحين أصر (إقبال) على ذلك طلب (على بخش) شخصًا من أقاربه من قريته .

وجعله موظفًا عند (حاكم علــى) وتحول إلى (إقبال). وفى ١٩٠٥م أراد (إقبال) أن يسافر إلى (إنجلترا) فبعث بخادمه (على بخش) إلى شقيقه الأكبر (الشيخ عطا محمد) الذى كان يعمل موظفًا فى (هنجو) من محافظات (كوهات) إلا أنه لم يعجبه العمل هناك فرجع إلى (لاهور) فوظف بالكلية الإسلامية أولا ثم بالكلية الإرسالية ثانيًا ، وفى أثناء ذلك سرق مال على بخش فأخبر به (إقبالا) وهو فى (إنجلترا) فرد (إقبال) على رسالة على بخش قبل أن يعود مـن (إنجلترا) ببضعة أشهر[١٩] وعاد (إقبال) من (إنجلترا) فـى ١٩٠٨م فاستقال على بخش ثم وظف لدى (إقبال) مرة ثانية ، وكان (على بخش) هذا قـد تـزوج فـى صباه إلا أن زوجته ماتت قبل سفره إلــى (لاهــور)، وحاول أهل بـيـتـه أن يقنعـوه بالـزواج الثـانى ؛ ولكـن

(إقبالاً) كــان ينصـحـه دائمــا أن يدبر له الأكل والسكــن قبل أن يتزوج فلم يسـتطع (على بخش) أن يتزوج ثانيا[٢٠] ثم لازم (على بخش) (إقبالا) واستمر فى خدمته إلى وفاته أنه لم يزل يخدم أولاد (إقبال) بعد وفاته ، وقد توفى على بخش فى ٢ من يناير ١٩٥٩م فى قرية رقم ١٨٨ ب) من محافظة (أباد) .

وفى هذا الطور من حياته واجه (إقبال) مشكلة ؛ وذلك أن شقيقه (الشيخ عطا محمد) كان يعمل موظفًا مشرفًا على مؤسسة عسكرية على حدود (بلوشستان) فى مايو ١٩٠٣م وتآمر عليه بعض أعدائه فاختلقوا قضـية مزورة رفعوها إلى محكمة جنائية ضده، وكانت القضية لا أساس لها غير العداوة والحقد . كان (الشيخ عطا محمد) يخشى أن أعداءه سوف يحاولون ليؤثروا فى نفوس الشهداء والمحكمة كذلك ؛ فكان يريد أن ينقل الموظفين المعادين له أو تنقل القضية إلى محكمة من محاكم محافظة أخرى ، إلا أن مكتب العمالة السياسية لإقليم (بلوشستان) لم يوافق على طلبه مما أكره (إقبالاً) أن يكتب رسالة إلى نائب الملك فى (الهند) (اللون كرزن) فأخبره بالظروف الراهنة فبعث نائب الملك من يقوم بالتحقيق ، وحين اتضح له فى الحق بعد التحقيق أصدر الأوامر بنقل هؤلاء الموظفين المعادين لشقيق (إقبال) الأكبر . وكان (إقبال) قد سافر من (لاهور) إلى (فورت سند يمي)ن (أى قلعة سند يمين) ويرافقه (على بخش) ليساعد شقيقه المشفق عليه فقطع المسافة الطويلة مرة على ظهور الخيل وأخرى على الإبل ، وكان قطع مسافة سبعة وثلاثين ميلا على الفرس فى اليوم الأول ، ولم يكن (إقبال) قد تعود ركوب الخيل فواجه الكثير من المشقة والعناء فى ذلك إلا أن سفره هذا انتهى بالسلامة كما انتهى اضطراب (إقبال) وقلقه ؛ حيث أعلنت تبرئة شقيقه (الشيخ عطا محمد) من قبل المحكمة . وفى هــذا الطور مـن البلاء كان (إقبال) قد نظم منظومة وعنوانها (برك كل) – أى ورقة الورد – فبعث بها إلى الخواجا (حسن نظامى) بمدينة (دلهى) ورجاه أن ينشدها عند ضريح الخواجا (نظام الدين أولياء) فحقق الخواجا (حسن نظامى) ما أراده (إقبال) وأنشد المنظومة عـند الضــريح ، ثم اختار بيتا من تلك المنظومة فكتبه على باب الضريح مامعناه : [٢١].

« إنك أنت معطى (الهند) ولك باب عال ، وأمنيتى أن أتلقى شيئا من هذا الباب العالى الذى لا يزال يوزع اللآلىء والجواهر » .

وكان (إقبال) فى هذا الطور من حياته أيضًا يقضى إجازاته بمدينة (سيالكوت) عند أبويه وأهله ولكنه قد ذهب إلى (آبيت آباد) حيث قضى أيامًا عند شقيقه (الشيخ عطامحمد) فى ١٩٠٤م . وهناك كان البعض من أصدقاءه ألح عليه ليلقى محاضرة عن الحياة القومية وهناك نظم (إقبال) منظوميه المعروفة "بالسحاب" والتى توجد فى ديوانه "صوت الجرس" وهو مقيم بمدينة (ايبت آباد) . وأقام (إقبال) داخل باب (بهاتى) لخمس سنوات تقريبًا بعد عودته من (إنجلترا) إلا أن عائلته لم تكن ترافقه خلال هذه المدة فكان يسكن فى بيته وحيداً داخل باب (بهاتى) ، وكان على بخش يعد له طعامًا يقوم بخدمته وكان الطلاب وأصدقاؤه ياتون لزيارته هناك وحين كانت المجالس تعقد فى بيته فيحضرها الأصدقاء فينشدون الشعر ويتجاذبون ألوان الحديث ، وكان (بخش) يعد الموقد ليزود (إقبالا) بما يحتاج إليه للغليون لحظة بعد لحظة ، وكان (إقبال) يكثر تدخين الغليون حين كانت طبيعته تقبل على الشعر فيستمر يقول الشعر وهو يدخن الغليون .

ولم تكن الجرائد والمجلات كثيرة فى (لاهور) فى ذلك الوقت ، فكانت هناك جريدة إنجليزية تصدر من (لاهو) وهى جريدة " الجيش والمدنيين " وكانت خاصة باالإنجليز وكانت هناك مجلة أسبوعية إنجليزية واسمها " تريبيون " تعبر عن مشاعر الهنادكة وكانت الجرائد الأردية وهى " أخبار عام " و " وطن " و " بيسه أخبار " إلا أنها كانت قليلة الأعداد والانتشار ، وفى أبريل ١٩٠١م أصدر (الشيخ عبد القادر) مجلته الأدبية المعروفة " مخزن " ، وفى هذه السنة نفسها أصدر (الشيخ فوق) جريدته الأسبوعية " بنجه فولاد " " اليد الفولاذية " ثم توقفت فأصدر مجلة شهرية هى " المجلة الكشميرية " فى ١٩٠٦ والتى أصبحت أسبوعية فى ١٩١٢م وسميت " أخبار كشمير " أو " أنباء كشمير " كما أن (الشيخ فوق) كان قد أشرف على إصدار جريدة " كوهنور " و " رسالت طريق " وجريدة " نظام " وغيرها لمدة[٢٢].

وكانت معظم منظومات (إقبال) ومقالات تنشر في مجلة "مخزن" ؛ فكانت منظومته "همالايا" قد نشرت فى العدد الأول من مجلة "مخزن" كما أن صفحات "بيه أخبار" وجرائد (الشيخ فوق) كانت تهتم بشعر (إقبال) اهتماما كبيرًا ، وكان (إقبال) قد تخلص من الشعر التلقيدى أو الغزل التقليدى إلى حد بعيد ، ورغم أن شعره لم يكن يخلد أحيانًا من المجون والغرام التقليدى فإنه لم يسمح لهذا الغرام التقليدى أن يؤثر فى نفسه بشىء . وكانت أهم

موضوعات شعره ومنظوماته المشاهد الطبيعية والجمال والوطنية والقومية ، ويمتاز شعره من هذا الطور بشيء من الاضطراب ؛ فكان كلما أعجبه شيء قال فيه الشعر إلا أن شعره من هذا الطور يمتاز بالفكر الواسع العميق إلى جانب التنوع الفكر والمعنى .

ورغم أن (السير سيد) كان قد حظر على المسلمين أن يساهموا فى سياسة (الهند) فإن المثقفين من المسلمين كانوا قد أخذوا يستقصون سياسيًا ويسأمون الاستعباد والحكم الأجنبى ويتطلعون إلى الحرية والاستقلال . وكان الهنادكة هم الأغلبية الساحقة كما أنهم كانوا قد تقدموا على المسلمين فى مجال التعليم والاقتصاد ، ومن ثَمَّ كانوا أكثر اضطرابا وقلقًا وكان الهنادكة قد أنشئوا الجمعية الهندوكية مقرها فى لاهور سنة ١٩٠٠م إلى جانب حزب الكونجرس الذى كان يمثل السياسة الهندوكية ، فأعلن الاستعمار البريطانى البعض من الضمانات والحقوق الدستورية فى ١٨٦١م ، ١٨٨٣و ١٨٩٣م وذلك لاسترضاء الهنادكة . وفى ١٩٠٥م أصدر نائب الملك (اللورد كرزن) مرسومًا رسميًا ينص على تقسيم (بنغال) ، فقد كان إقليم (بنغال) يضم إقليم (بهار) و(اريسة) و(آسام) وكانت مدينة (كلكتة) هى العاصمة ، ونظرًا إلى المشاكل الإدارية قسم الإنجليز هذا الإقليم الكبير إلى قسمين ؛ فكانت (بنغال الشرقية) تضم آسام كما أن (بنغالا الغربية) كانت تضم (بهار) وأريسة وبحكم هذا التقسيم أصبح المسلمون أغلبية ساحقة فى (بنغال الشرقية) . وقد كان هذا التقسيم يفيد المسلمين للتقدم الاقتصادى والقضاء على التخلف إلا أن المسلمين فى الهند لم يكن لهم حزب سياسى منظم كان بإمكانه أن ينظم المسلمين ليؤيدوا هذا التقسيم تاييداً سياسيًا . على كل حال فإن الهنادكة البنغاليين احتجوا احتجاجًا شديداً تحت إشراف الكونجرس ضد هذا التقسيم ، حتى أنهم نظموا خطوات إرهابية لهذا الغرض وفى ١٩١١م جاء الملك(جورج الخامس) إلى (دلهى) فألغى تقسيم بنغال وأصبحت دلهى عاصمة البلاد مكان مدينة (كلكتة) ، وبهذه المناسبة نظم (إقبال) قطعة شعرية ما معناه : (٢٣)

١ - وأخيراً اندمل جرح قلب (بنغال) وأن التفريق الموجود بين الكافر والمؤمن قد انتهى .

٢ - أى أن تاج الملكية قد تحول من (كلكتة) إلى (دلهى)، وهكذا نال الهندوكى إزاره وفقد المسلم عمامته .

وكانت جماعة المثقفين تعرف جيداً أن المشاعر الوطنية والقومية هى التى جعلت الإنجليز والشعوب الأوربية الأخرى تحقق التقدم ، ومن ثَمَّ إذا استيقظ فيهم الروح القومية فبإمكانهم أن يتقدموا ويتحرروا فى المجالات كافة وبذلك أن يدركون شئون الشعوب المتقدمة الأوربية ، كان (إقبال) شابا ومن جماعة المثقفين هؤلاء ، ومن ثَمَّ سار مع الوطنيين القوميين ونحا نحوهم .

وكان (إقبال) أول شاعر نادى بالوطنية فى (الهند) ، وتقدم بالشاعرالقومية ويحدثنا الخليفة عبد الحكيم عن ذلك :[٢٤]

« إن وطن الشعب الهندوكى ودينه واحد على رغم الخلافات والتنوع الموجود فى ثقافتهم وعقائدهم ومن ثُمَّ تقدم الهنادكة على المسلمين فى الحركة القومية والوطنية ، ولكن الشعب الهندوكى لم ينجب شاعراً كان بإمكانه أن يثير المشاعر الوطنية والأحاسيس القومية فى نفوسهم حتى أن الشعب الهندوكى لم يكن لديه نشيد وطنى ، وحين كرس (إقبال) شعره للمشاعر الوطنية والنهوض بها تأثر به الشعب الهندى كله ، أو قل إن الهنادكة كانوا أكثر تأثراً بشعر (إقبال) من المسلمين حتى أن (إقبالاً) حين قال : «إن بلادنا (الهند) أحسن وأجود من بلاد العالم كله» فأخذ هذا النشيد يؤثر فى قلوب الشعب طول البلاد وعرضها وسار بها الركبان حتى أن الطلاب الهنادكة فى بعض المدارس الهندوكية كانوا يغنون بهذا النشيد مجتمعين فى الصباح قبل بداية الأعمال الدراسية » .

إن دراسة عابرة لشعر (إقبال) فى هذا الطور من حياته تدل على أنه كان قد تعلم اللغة السنسكرتية ليفهم ديانة الهنادكة وفلسفتهم وآدابهم ، ويجدر بالقارىء بهذه المناسبة أن يقرأ ملحوظا تعريفيًا (لإقبال) الذى نشر مع منظومته "آفتاب" أى الشمس فى مجلة "مخزن" [٢٥] أن الشخصيات المختارة البارزة التى أنتجتها (الهند) فى مجال التصوف والمعرفة كان (إقبال) يقدرمهم ويحبذ بدورها الروحى بكل إخلاص وصدر واسع ؛ فهو يجعل (الشيخ معين الدين جشتى) و(باب جرو نانك) (مؤسس الديانة السيخية) من رسل التوحيد والحق فى نشيد الأطفال الهنود كما أنه يعترف فى منظومته (نانك) برسالة (بوذا)

كأنه يعترف (ببابا جرو نانك) باعتباره موحداً و(نور إبراهيمى) ويجعل إقليم (بنجاب) وأرضها بيتا (لأرز) ، وفى منظومته "رام" قال أبياتا شعرية مدح بها (رام تشندر جى) واعترف بامامته (للهند) . وكان (سوامى رام تيرث) المتصوف الهندوكى المعروف في بنجاب ممن عاصر (إقبالا) وكان زميلاً له فى الدرس بالكلية ونال مرتبة خاصة فى الدنيا الروحية بتزكية القلب ، وكان أهل (بنجاب) وأهل (الهند) يعترفون بروحيته ومنزلته فى التصوف الهندوكى وكانت مؤلفاته جديرة بالاهتمام ، قد مات غرقا فى نهر (جنجا). وكان (إقبال) على صلات قوية به فقال أبياتًا شعرية عند وفاته وتوجد هذه الأبيات الشعرية في ديوان "صوت الجرس" ولم يكن (إقبال) يبغض الشعب الهندوكى كما أنه لم يكن يحتقره ولم يكن يائسا من الهند وكان يعتبر من الجريمة أن يحط من منزلة قادة المذاهب والديانات الأخرى أو الحط من قدر الأعمال الحضارية والدينية التى قامت بها الشعب الأخرى بسبب التعصب الدينى ، وكان (إقبال) يعتبر ذلك جريمة خلقية لا تجدر بالشخصيات البارزة [٢٦] ولعله كان قد تعلم السنسكريتية بمساعدة (سوامى ران تيرث) الهندوكى المتصوف كما أنه درس الفلسفة والديانة الهندوكية بمساعدته أيضًا .

وإن شعر (إقبال) من هذا الطور يحمل لنا الكثير ؛ ففيه غرام تقليدى إلى جانب التصوف التقليدى ، كما أن فيه وصفًا للمشاهد الطبيعية ومنظومات للأطفال وتراجم حرة من الشعر الغربى إلى جانب الهزات القومية والجمال والمشاعر الوطنية والقومية والعواطف الإسلامية إلا أن ذلك كله يقوم على وسعة الأفق والعقيدة . وقد ذكر فى منظومته الزهد والمجون أن شيخًا من الشيوخ كان قد اعترض عليه قائلاً بأنه (أى (إقبال)) يقول الشعر الجيد إلا أنه لا يعمل بالأحكام الشرعية وهو متصوف وماجن فى الوقت نفسه إنه ملسم ولكنه لا يعتبر الهندوكى كافرًا يميل بطبيعته إلى الشيعية ؛ لأنه يفضل (عليا) على غيره من الصحابة ويعتبر الموسيقى من العبادة . أنه يشارك فى حفلات الرقص والغناء ليلاً إلا أنه يتلو القرآن صباحا بكل خشوع وخضوع. إن شبابه لاغبار عليه رغم أنه لا يخجل من أهل الجمال كما يفعل الشعراء . إذن فهذا هو الشخص الذى يجمع بين الأضداد ؛ فيرد عليه (إقبال) ردًا يعبر عن طبيعته التى كانت عليها فى ذلك الطور من حياته وهى أبيات ما معناه : [٢٧]

١ - إننى أنا أيضًا لا أعرف حقيقتى ؛ وذلك لأن ماء بحرى عميق جداً.

٢ - إننى أنا شخصيًا أتمنى أن أرى (إقبالا)؛ لأننى بكيت واستعبرت فى فراقه كثيرًا .

٣ - إن (إقبالا) نفسه لا يعرف حقيقة (إقبال) ؛ والله إننى لست من المازحين الساخرين .

وكان أهل اللغة الأردية يعيبون كثيرًا من الأساليب الشعرية الجديدة (لإقبال) ؛ لأن هؤلاء أهل اللغة لم يكونوا يثقون بالأسلوب اللغوى الذى اختاره (حالى) وذلك لأن (حالى) كان من مدينة (بانى بت) ولغتها الأردية لم تكن لغة معتبرة أصيلة فمنذ البداية كان الذين يدعون اللغةالعريقة قد أخذوا يعيبون أسلوب (إقبال) اللغوى ويعترضون على تعبيراته اللغوية ، ثم اعترض بعض الناس على أسلوبه اللغوى ومنه الشعر فى جريدة من الجرائد تحت عنوان "تنقيد همدرد" الناقد المخلص" مما جعل (إقبالا) يعد مقالا عنوانه "اللغة الأردية فى (بنجاب) ونشر المقال فى مجلة "مخزن" ، وقد وردت اقتباسات من هذا المقال فى كتاب "ذكر (إقبال)" وقد حلله (الأستاذ سالك) تحليلا جيدا وقال وإن عمر (إقبال) كان بين خمس وعشرين أو ثلاثين سنة إلا أنه يبدو كأنه بحر لا ساحل له يذخر بالعلوم الغربية والشعر الأردى والفارسى ويعرف غوامض اللغتين وأعماقهما [٢٨].

إن أصدقاء إقبال فى (لاهور) عددهم قد ازداد واتسع فيحدثنا (محمد دين تثير) [٢٩] بأن القاضى (شاه دين) و(مياه شان نواز) أيضًا كانا من أصدقاء (إقبال) إلى جانب أصدقائه من (علام نيرنك) و(مير اعجاز حسين) والسير (عبدالقادر) وغيرهم من الأصدقاء الأوائل ، وكان على صلة متينة مع (ميان فضل حسين) و(السير محمد شفيع) كما أنه كان على صلة الصداقة مع (شودرى السير شهاب الدين) و(ميان أحمد يار دولتانه) ، وكان يلتقى مع (سوامى رام تيرث) ويختلط به كثيرًا كما أنه كان على صلة قريبة مع (شيف نرائن شميم) ، كذلك كان على صلات ودية مع كبار الإشراف داخل باب (بهاتى) وكذلك كانت له صلات الصداقة الودية مع كبار الأشراف داخل باب (بهاتى) ، وكذلك كانت له صلات الصداقة مع (فقير سيد افتخار الدين) و(فقير سيد نجم الدين) بالإضافة إلى الخواجا (عبدالصمد ككرو) رئيس بارا مولا المحتلة (مدينة بكشمير). كان (عبد الصمد) هذا شاعرًا فى اللغة الفارسية كان يعرف بمقبل فى شعره و(ميان نظام الدين)

صاحب (بارود خانة) . وكان عدد من الشخصيات البارزة تأتى إلى (لاهور) لتشارك فى الاجتماعات السنوية لجمعية حماية الإسلام ، ومن ثم كان يتاح (لإقبال) أن يلتقى بالشخصيات البارزة ليست من (لاهور) وحدها وإنما من مناطق الهند البعيدة أيضًا ؛ فقد تعرف (إقبال) على الخواجا (حسن نظامى) و(الشيخ غلام قارد كرامى) فى الاجتماعات السنوية لهذه الجمعية ، حتى أن (كرامى) كان ينزل عند (إقبال) كلما زار مدينة لاهور فيما بعد. وفى هذا الطور من حياته كان (إقبال) يقول باللغة الأردية وحدها ولم يقل بالفارسية غير بضع أبيات بينما كان كرامى شاعر اللغة الفارسية وحدها . ثم توطدت العلاقات الودية بين كرامى و(إقبال) حين عاد من أوربا وكان (إقبال) قوى الإرادة مستقلها وكان يرعى التقاليد فى مجال الصداقة ، فكل من اتصل به من الشخصيات أو الأسر وتدعمت العلاقات الودية بينه وبينها لم تنقطع الصلات بينه وبينهم حتى آخر اللحظات من حياته . وخلال هذا الطور من حياته كان (إقبال) شغوفا باللعب على القيثارة ذات ثلاثة أوتار كما أن الفقير سيد نجم الدين كان شغوفًا (بطاؤس) فكان يعزف الطاؤس فى حالة وجدانية مما كان يتمتع به الأصدقاء من أمثال (إقبال) .

وقد تعرف (إقبال) على الكبار من الكشميريين بحكم اتصاله بالجمعية الكشميرية الإسلامية ؛ فكان قد أخذ يحضر فى إجراءات هذه الجمعية وجلساتها منذ ١٨٩٦م وكان ينشد شعره فيها . وكانت هذه الجمعية قد أنشئت فى ١٨٩٦م وكانت تهدف إلى ثلاثة مقاصد إصلاح تقاليد الأفراح والمآتم ، والتقدم بالتعليم والتجارة والصنعة والزراعة والمهن الأخر بين مسلمى (كشمير) وإيجاد التوحيد بين صفوف الكشميرين ، إلا أن الجمعية توقفت بعد أيام ثم جدد نشاطها فى ١٩٠١م وكانت إجراءات الجمعية تنشر فى المجلة الكشميرية الشهرية التى كان يصدرها (الشيخ فوق) وصاحبه (خان محمد كنائى) . وكان (إقبال) قد انتخب سكرتيرا لهذه الجمعية ثم أصبح سكرتيرًا عاما لها عند عودته من (إنجلترا) فكان يشارك فى إجراءات الجمعية مشاركة جدية من أجل صالح الكشميريين وفلاحهم ، وأخيرا قام المؤتمر الكشميرى الإسلامى على أساس هذه الجمعية ، وعقد اجتماعه فى (لاهور) وقد قام هذا المؤتمر الكشميرى الإسلامى بخدمات بارزة فى إيقاظ الكشميريين والنهوض بالتعليم والثقافة فى بلادهم، وكان (إقبال) السكرتير العام الأول لهذا المؤتمر . ويحدثنا (محمد عبد الله قريشى) بأن

المسلمين الكشميريين الذين حازوا المناصب الممتازة فى (كشمير) المحتلة و(كشمير) الحرة كان معظمهم قد تعلموا وتثقفوا على المنح التعليمية التى قدمها لهم هذا المؤتمر . على كل حال فإن (إقبالا) قد أحس فى ١٩١٨م بأن المسلمين قد أعرضوا عن أهداف الأخوة الإسلامية العالمية واشتغلوا بالمنظمات الاقليمية والقبلية وإن هذا ليس إلا خدعة وضلالاً وأنه قد ضر كثيراً بالسياسة الإسلامية ومن ثَمَّ اعتذر عن المؤتمر (٣٠) .

وفى هذا الطور نفسه من حياة (إقبال) ظهرت نزعة شعرية إسلامية عامة عنده وذلك بحكم اتصاله بجمعية "حماية الإسلام" فقد انتخب (إقبال) عضوا بالمجلس التنفيذى للجمعية فى ١٢ من نوفمبر ١٨٩٩م ، فهكذا بدأت صلة (إقبال) بهذه الجمعية والتى استمرت إلى آخر لحظة من لحظات حياته (٣١).

وقد أنشئت جمعية حماية الإسلام (بلاهور) فى ١٨٨٤م وكان من أهدافها مواجهة الإرساليات المسيحية ودورها التبشيرى بين المسلمين وإنشاء المدارس والكليات للمسلمين تهتم بالقديم والجديد من العلوم ، وإنشاء المعاهد الخاصة بالإشراف على اليتامى المسلمين والاهتمام بتعليمهم وتربيتهم ، إلى جانب إعداد الكتب عن الآداب الإسلامية ونشرها وتوزيعها . قد بدأت الجمعية ولديها أربع وخمسون روبية من رأس المال الضئيل والذى جمعه المسلمون فى مسجد (يكن خان) ثم أخذت الجمعية تجمع التبرعات وتنشأ المدارس الإسلامية للأبناء والبنات . وظلت الكلية الإسلامية بمقر المدرسة الإسلامية داخل باب (شيرانواله) حتى ١٩٠٦م ، ثم تم تأسيس مبناها الجديد فى مقرها الحالى فى ١٩٠٧م وقد وضع حجر بنائها الأساسى ملك (أفغانستان) الأمير (حبيب الله خان) خلال زيارته لمدينة (لاهور) . وقد أنشأت الجمعية دار الشفقة ودار الأطفال ودار الأمان من أجل اليتامى والأيامى وذوى العاهات ، إلى جانب إنشاء المركز للتربية المهنية والمكتبية والمطبعة وغير ذلك من النشاطات الكثيرة (٣٢).

وأن الدعم المالى للجمعية كان على التبرعات الشعبية الإسلامية، ومن ثَمَّ كانت الجمعية دائما تبحث عن الوسائل لجميع التبرعات ، وأن الاجتماع السنوى والاهتمام به كان من أجل جمع التبرعات ، وكان الاجتماع السنوى للجمعية والذى كان يحضر فيه المواطنون المسلمون من إقليم (بنجاب) وغيرها من الأقاليم قد أصبح معرضاً علمياً، وكان

يعقد فى الفناء الواسع للمدرسة الإسلامية داخل باب (شيرانواله) ومبنى هذه المدرسة كان له طابقان وكل طابق كانت له غرفات فى الجوانب الأربعة ، وكانت توجد ردهات أمام الغرف للطابق الأعلى . وكانت المدرسة تشغل جزءًا من كل طابق للبناء ، أما البناء الباقى فكان مختصاً بمقر الكلية الإسلامية ؛ لأن بناءها لم يكن قد اكتمل بعد . وكانوا يفرشون البساطات القطنية فى الفناء بمناسبة الاجتماع وكانت الكراسى على المنصة فقط، وكان الفناء والردهات مزدوجة بالناس . وكان العلماء والأدباء والشعراء والزعماء الشعبيون البارزون يجلسون على المنصة. وكان من بين الشخصيات الإسلامية البارزة التى اشتركت فى الاجتماعات السنوية للجمعية (حالى) و (شبلى) و (أكبر أله أبادى) و (سيماب أكبر أبادى) و (سائل دهلوى) و (أرشد جورجانى) و (خوشى محمد ناظر) و النائب (نذيز أحمد) والشيخ (أبو الكلام آزاد) و (كرامى) و(الخواجا حسن نظامى) و (الشيخ عبد الله الطونكى) و (السير عبد القادر) و (السير فضل حسين) و (السيد محمد شفيع) و (الأمير ذو الفقار على خان) و (الشيخ سليمان الفلواروى) و (الشيخ أصغر على روحى) و (الشيخ إبراهيم سير سيالكوتى) و (الشيخ ثناء الله) و (الشيخ نذير أحمد الدهلوى) وغيرهم [٣٣].

وقد أنشد (إقبال) منظومته "بكاء اليتيم فى الاجتماع السنوى للجمعية لأول مرة فى ٢٤ من فبراير ١٩٠٠م وكان (الشيخ شمس العلماء نذير أحمد) رئيس الاجتماع، وصور (إقبال) فى شعره وبأسلوب مؤثر جذاب مشاعر اليتامى ومسكنتهم تصويراً بارعًا ، مما جعل جميع الناس يبكون مستعبرين ، وحين ذهب (إقبال) باليتم إلى حضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى شعره جعل الناس يصرخون ، وحين بعث الرسول ، رسالته مع اليتيم إلى أمته لتساعد اليتيم وتشفق عليه جعل الناس يفرغون جيوبهم ويتبرعون بكل ما فيها[٣٤].

وكان (ميان ايم . أسلم قد حضر فى ذلك الاجتماع ؛ فهو يحكى عند مشهد الاجتماع وعن (إقبال) فيقول إن (إقبالا) كان شابا جميلاً نحيلاً أبيض اللون ، وكان قد لبس النظارة والسروال والقميص وفوقهما سترة طويلة سوداء وعلى رأسه طربوش، وكان موضوع منظومته مثيراً وأسلوبها بسيطا وكان الصوت جميلاً أخاذًا وكان أسلوب الإنشاد حزينا ، فكأن صوت (إقبال) كان قد سحر الناس فسادهم السكوت والهدوء[٣٥].

وقد أعد الخواجا (محمد حيات) تقريراً عن هذا الاجتماع، وقد جاء في هذا التقرير أن (إقبالا) كان ينشد منظومته بأسلوب محزن لاذع فقال له (المنشى عبد العزيز) صاحب جريدة "بيسه أخبار" - وكان (إقبال) قد أنشد بعض البنود الشعرية - أن يمسك عن إنشاده حتى يتمكن هو من بيع النسخ المطبوعة للمنظومة والبالغ عددها مئات، وكان ثمن النسخة أربع روبيات في ذلك الوقت فبيعت هذه النسخ بسرعة هائلة، وقد بقى الكثيرون الراغبون في اشتراء النسخ فأرجع بعض الناس النسخ المشتراة إلى الجمعية كتبرعات، ولكن بشرط ألا تباع نسخة بأقل من خمسين روبية ولم تمض لحظات حتى كانت هذه النسخ قد بيعت أيضاً . وكان والد (إقبال) جالسا في الردهة في ذلك الوقت فاشترى نسخة من المنظومة بست عشرة روبية، وعندما تم إنشاد المنظومة قام رئيس الجلسة فأعلن قائلاً بأنه كان قد سمع المراثي للشاعرين (أنيس) و (دبير) إلا أن هذه المنظومة التي سمعها هو اليوم والتي أثرت في نفسه كثيراً لم يسمع مثلها من قبل واكره الناس (إقبال) أن ينشد المنظومة مرة ثانية [٣٦].

ثم أصبحت المنظومات الإقبالية ميزة خاصة للاجتماعات السنوية للجمعية ففي ١٩٠١م أنشد (إقبال) منظومته "يتيم يخاطب هلال العيد" في اجتماع سنوى للجمعية كما أنشد منظوماته "خيرمقدم " أي "ترحيب" و " دين ودنيا" ورسالة الكلية الإسلامية إلى مسلمي (بنجاب) في الاجتماع المعقود في ١٩٠٢ كما أنه أنشد منظومته "استغاثة الأمة" في اجتماعها السنوى في ١٩٠٣م، وكان بهذه المناسبة قد حضر في الاجتماع كل من (السير عبد القادر) و (السير محمد شفيع) و (السير فضل حسين) و (الأمير ذو الفقار على خان) و (شاه سليمان القلواروى) و (عبد الله الطونكى) و (ثناء الله) و (خوش محمد ناظر) و (أرشد الجورجانى) وغيرهم من الشخصيات البارزة، ولعل (إقبالا) قد غنى منظومته هذه على إصرار من الناس ؛ وذلك لأن تقرير هذا الاجتماع ينص على أن الطبيعة قد منحت (إقبالا) لحنا حلوا أيضاً إلى صوت مثير عذب مرتفع خاص به، وحين أكمل (إقبال) إنشاد المنظومة طوقه الخواجا (عبد الصمد ككره) بوسام فضى، وكان قد أعده وجاء به من (كشمير) [٣٧].

وفي اجتماع ١٩٠٤م أنشد (إقبال) منظومته "تصوير الألم" ، وكان قد حضر بالمناسبة (الشيخ حالى) و (أرشد جورجانى) و (السير محمد شفيع) و (السير عبد القادر)

و (السير فضل حسين) و (الشيخ أبو الكلام ازاد) و (الخواجا حسن نظامى) وغيرهم من الشخصيات البارزة، وكان (إقبال) قد غنى بمنظومته هذه فاستمع الناس إليه بكل إقبال، وكان الشيخ حالى قد تأثر ببيت شعره تأثراًكثيراً مما جعله يخرج عشر روبيات من جيبه ويقدمها (لإقبال)، إلا أن المبلغ أضيف إلى تبرعات الجمعية وكان الخواجا حسن نظامى ، قد تأثر بإنشاد المنظومة مما جعله يخلع عمامته ويضعها على رأس (إقبال) ، فهذا بيان بشير أحمد الـذى كان موجوداً فى الاجتماع يحدثنا عن ذلك [٣٨] :

«كان شابا جميلاً على عينيه نظارة وقد لبس السروال والقميص والأحذية التقليدية الخاصة ، وكان قميصه مفتوح التلابيب وقد وقف على المنصة ينشد شعره بصوت حلو جميل حتى كل بيت من أبيات المنظومة نال إعجاب الناس وأخذ الناس يشترونه وكان (إقبال) أستاذا مساعداً للفلسفة بالكلية الحكومية بلاهور فى ذلك الوقت ، ولعل شابا كان قد تقدم فاشترى بيتا بخمسة عشر روبية ثم اتضح أن الشاب كان أحد تلاميذ (إقبال) الهنادكة ، وكان يدرس بالكلية الحكومية وكان هذه المبالغ كلها تضاف إلى من تبرعات جمعية "حماية الإسلام"».

وفى الجلسة الثانية لهذا الاجتماع من الغد قام (الشيخ حالى) لينشد منظومته إلا أن صوته النحيل الضئيل لم يكن يصل إلى من حضر ؛ وذلك بسبب الهرم والشيخوخة ، وكان عدد ضخم من الناس قد اجتمع فى الجلسة فأخذ الناس يقومون وسادهم الفوضى، فقام (السير عبد القادر) فطلب إلى الناس أن يستمعوا إلى (حالى) بكل هدوء وطمأنينة ، وقال إن (إقبالاً) سوف ينشد منظومة (الشيخ حالى) بصوته فيما بعد ، وبعد لحظات صعد (إقبال) على المنصة فأنشد قطعته الرباعية الشعرية التى كان قد ارتجلها بصوته الحلو قبل أن ينشد منظومة (حالى) وهى ما معناه :

١ - إن (الشيخ حالى) قد اشتهر صيته فى العالم ، وأن كأس (حالى) مليئة عامرة برحيق الحق .

٢ - وكأنى رسول من مملكة الشعر وقد نزل على لسانى شعر (الشيخ حالى) .

ثم أنشد منظومة الشيخ حالى بصوته الحلو والأخاذ . وكان عنوان المنظومة أم جمعية (بنجاب) .[٣٩]

والسؤال الذى يطرح نفسه بهذه المرحلة هو أن (إقبالا) كان شاعرا قوميا وطنيا وكان واسع الأفق الذهنى، ورغم ذلك لا يخلو شعره من الموضوعات الإسلامية . ماذا جعله يجمع بين الوطنية والإسلامية ؟ هل نستطيع أن نقول بأن شعره الإسلامى أو عن الأمة الإسلامية والحزن على آلامها والبكاء على مصابها كانت نتيجة مباشرة لما كان يقلده (إقبال) من شعر (حالى) و (شبلى) والرد على هذا و الإلمام ببيئة (إقبال) المحيطة به فى أشد حاجة إلى نظرة عابرة على حركة الوحدة الإسلامية بهذه المناسبة؟

إن الثورة الصناعية فى (أوربا) وانتصار الدولة على الكنيسة أو البابوية فى المعركة التى دارت بينهما والتقدم الوطنى والفلسفة والعلوم الجديدة والتكنولوجيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين قد أوجدت هذه الحركات كلها الامبرالية والاستعمار والرأسمالية أن إرادة التوسع فى التجارة والصناعة جعلت الدولة الأوربية تطمح إلى التغلب على دول المسلمين؛ فقد كانوا فى حاجة إلى مواد خام للزيادة فى الإنتاج الصناعى، كما أنهم كانوا فى حاجة إلى أسواق أجنبية من أجل التقدم التجارى ومن ثَمَّ أخذت الدول الأوربية تنظر بعين الطمع والحرص نحو الأمريكتين الشمالية واللاتينية وإفريقيا وآسيا وغيرها من المناطق. وكانت الدول الإسلامية تحتل موقعا جغرافيا خاص بين المحيط الهادى والشرق الاقصى وبين أوربا وآسيا وبين أوربا وإفريقيا وبين أوربا وروسيا، وكانت السفن البحرية بين آسيا وأوربا تلف حول إفريقيا من طريق رأس الرجاء الصالح، إلا أن القوى الاستعمارية الأوربية كانت قد أوجدت طريقا بحريا جديداً بحفر قناة السويس نظراً إلى حاجتها الاقتصادية الملحة، أما السلطة على هذا الطريق البحرى الجديد فكانت مختصة بجبل الطارق وأرض مصر، وكذلك فإن الطريق البحرى المؤدى إلى الشرقة الأقصى كان يمر بالحدود البحرية لشبه جزيرة (ملايو)، وأما الطريق البحرى بين أوربا وروسيا الجنوبية فكان يمر من الحدود الأقليمية البحرية (لتركيا) كما أن الطريق البرى المؤدى إلى حقول النفط فى (باكو) كان يمر أيضاً من الدول الإسلامية فى آسيا الوسطى .

ومن ثمَّ احتلت الروس والقوى الاستعمارية الأوربية المناطق المختلفة للعالم الإسلامى تحيقا لأغراضها الاستعمارية الاستغلالية، وكان المسلمون فى آسيا الوسطى والهند وملايو وجزائر شرق الهند والصين وإفريقيا الشمالية قد قاوموا الاستعمار الغربى إلا أنهم فشلوا فى مقاومتهم هذه وكانت النتيجة أن الخلافة العثمانية الضعيفة لم تستطع أن تقاوم القوى الاستعمارية الروسية والأوربية فانحط العالم الإسلامى أخلاقيا وسياسيا واقتصاديا حتى وصل إلى الحضيض الأسفل .

وهذا التخلف والانحطاط العام جعل المسلمين يشعرون بحاجتهم إلى النهوض فنشأت حركات دينية إصلاحية فى البلاد العربية وإفريقيا الشمالية وآسيا الوسطى والهند وكانت هذه الحركات تهدف إلى القضاء على الأسباب التى أدت إلى زوال المسلمين وانحطاطهم، وقد تأثر العالم الإسلامى من أقصاه إلى أدناه بهذه الحركات الإصلاحية لأن الدعاة الإصلاحيين كانوا قد أخذوا يدعون المسلمين إلى الإسلام والرجوع إلى منابعه الأصلية النقية إلى جانب الرفض الشامل والقضاء الكامل على البدع . إن هذه الحركات وإن كانت حركات داخلية محلية فى البداية فإنها قامت فى وجع الروس والقوى الاستعمارية الاستغلالية الأوربية وقاومتها لمدة. فقد كان الشيخ سيد أحمد البريلوى وأتباعه فى (الهند) و (الشيخ محمد السنوسى) وأتباعه فى إفريقيا الشمالية قد أعلنوا الجهاد ضد الاستعمار البريطانى .

وبسبب الاتصال المباشر بالعالم الغربى وحضارته وثقافته دخلت أفكار جديدة مثل الدستورية والعلمانية والقومية فى العالم الإسلامى . إن النهضة الإسلامية الجديدة وإن كانت قد نشأت فى العالم الإسلامى بعد جيل أو جيلين جديدين من المسلمين فظهر عدد من المصلحين فى العالم الإسلامى جعلوا يصبغون الأفكار الغربية بصبغة إسلامية، وكان من بين هؤلاء المصلحين (مدحت باشا) فى (تركيا)، والمفتى (عالم جان) فى (آسيا الوسطى) ، (الشيخ محمد عبده) فى مصر ، (السير سيد أحمد خان) فى الهند الذين قاموا بخدمات جبارة فى هذا المجال حتى ظن الناس بأن الفئتين من المصلحين أى المحافظين والمعتدلين سوف يظلون يتقاتلون يعارض بعضهم البعض دائماً .إلا أن الفئتين كانتا تدركان خطورة الاستعمار الغربى الأجنبى، ومن ثمَّ اشتركت الفئتان فى الدفاع عن بلاد الإسلام وشريعته وعقيدته، ومن المعتقد أن الذى

توسط للمصالحة بين هاتين الفئتين المتعارضتين من المتزمتين والمعتدلين فى العالم الإسلامى الجديد إنما هو الشيخ جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨-١٨٩٧)، فهو الذى ألح على المسلمين أن يدركوا خطورة الموقف ويتعلموا الطرق الفنية المعاصرة للنهضة والتقدم فى (أوربا) وألح عليهم أن يستخدموا العلوم الجديدة والتكنولوجيا والتنظيم المعاصر لمواجهة القوى الاستعمارية الغربية ومقاومتها(٤٠).

وكان العالم الإسلامى فى ذلك الوقت يمر بظروف سيئة قاسية من الجهل والتخلف والمسكنة، فالخلافة العثمانية لم تعد قوة إسلامية إلا بالاسم وكان (السلطان عبد الحميد، قد تسلم مقاليد الحكم العثمانى فى ١٨٧٦ م . وكان المسلمون قد طردوا وتم جلاؤهم من معظم بلاد أوربا الشرقية خلال ١٨٧٦ و١٨٨٢م. واحتلت (فرنسا) بلاد تونس واستولى الإنجليز على (مصر) و (جبل طارق) كما أن الدول الإسلامية فى آسيا الوسطى كانت قد أخذت تنضم إلى الإمبراطورية الروسية واحدة تلو الأخرى . أما المسلمون المشردون فى شمال (الصين) وجنوبها وغربها فقد فشلوا فى جهادهم فى سبيل الحرية بين ١٨٥٦ و١٨٧٨ ، وتم القضاء عليهم كقوة سياسية تحسب كما أن الفرنسيين كانوا قد بدءوا يطمعون فى (المغرب) وكانت (إيران) على وشك الانهيار، وكان الهولنديون قد احتلوا جزائر شرق (الهند)، وكان المسلمون يعانون من ظلمهم أما فى شبه القارة فإن ثورة ١٨٥٧م الفاشلة كانت قد أسقطت بالرايات الإسلامية واحتل الإنجليز شبه جزيرة (ملايو) كما أن الشئون الخارجية لأفغانستان كانت قد أصبحت فى أيدى الإنجليز فى ١٨٧٩م (٤١) .

وفى مثل هذه الظروف كانت أنظار المسلمين تتجه نحو الخلافة العثمانية، لأنها كانت قوة إسلامية وحيدة بقى لها احترام وكلمة مسموعة فى السياسة الدولية إلا أن الاطماع التوسعية فى نفوس الاستعماريين الأوربيين كانت قد أخذت تزداد وتنمو فلم يكونوا راضين بآخر شعاع من الأمل فى العالم الإسلامى فأخذوا يفكرون فى القضاء على الخلافة العثمانية وتمزيقها، وكانوا يسمونها "الإنسان الأوربى المريض" وفى ١٨٩٧م خرجت (اليونان) على الخلافة العثمانية وذلك بإشارة سرية من الإنجليز مما جعل يثير مشاعر البغض والعداوة فى نفوس مسلمى شبه القارة ضد الحكومة الإنجليزية مرة ثانية. على كل حال فقد فرح مسلمو (الهند) على هزيمة (اليونان)

العصاة فرحا كبيراً وانتبه السير سيد على خطر جديد ورغم أن (السير سيد) كان كشمس أوشكت أن تغرب فإن اضطراب ١٨٥٧م كان حيا ثابتا بين عينيه، وكان يخشى على المسلمين أن يخرجوا حاكمــهم المستعمر مرة أخرى بسبب هذه المشاعر الجديدة من البغض والعداء، وحتى لا ينعدم ماتحقق من صلاح المسلمين ومستقبلهم الزاهر الذى كان بناه السير سيد بجهوده فكان يتمنى (السير سيد) أن يعتزل المسلمون عن سياسة (الهند) كما أنه يجب عليهم ألا يهتموا كثيراً بالاضطراب السياسى فى العالم الإسلامى وذلك مما جعل (السير سيد) يكتب العديد من المقالات ضد الخلافة العثمانية (٤٢).

وأما الخلافة العثمانية فقد كانت تعانى من الصراع القائم بين الحكم المطلق والدستوريين فى عصر السلطان (عبد الحميد) الذى كان يحاول الحصول على التأييد من الدول الإسلامية الأخرى للمسلمين ليدعم به مركزه الداخلى وليقضى على الحركة الدستورية فى (تركيا) ورغم أنه كان قد وافق على تطبيق الدستور الجمهورى الذى كان قد أعده (مدحت باشا) وذلك عقب بيعته خليفة للمسلمين - بذلك كان قد حرم من السلطة المطلقة فإنه عندما أحس بمركزه القوى أخذ يتعدى إلى السلطات المغصوبة منه فألغى المجلس الدستورى وأخذ فتوى من شيخ الإسلام تنص على أن من يطالب بالدستور يجب على المسلمين أن يجاهدوا ضده ويقاتلوه ، وقد عرف هذا العهد بعهد الاستبداد فى تاريخ (تركيا) الجديد على كل حال فقامت ثورة تحت قيادة أنور باشا و (طلعت باشا) فى ١٩٠٨ م واكرهت الخليفة على تطبيق الدستور مرة أخرى فقامت ثورة معاكسة فاشلة فى ١٩٠٩م أدت إلى عزل الخليفة (٤٣) وكان (الشيخ جمال الدين الأفغانى) ينادى بوحدة الدول الإسلامية على مبادئ الدستور الديمقراطى وتحت رئاسة خليفة السلطة العثمانية، ومن هذه الناحية يعتبر (الأفغانى) هو الداعى المؤسس لحركة وحدة العالم الإسلامى، وكان (الأفغانى) قد ولد فى ١٨٣٨م بمدنية (آسد آباد) فى (أفغانستان) وكان قد اتصل بالأمير (دوست محمد خان) والأمراء الأفغان الآخرين، وقام بخدمات إدارية تحت حكمهم لمدة وخلال ذلك زار الحرمين الشريفين ثم غادر أفغانستان ووصل إلى (القاهرة) من طريق (الهند) فى ١٨٦٩م، حيث أقام مدة وألقى الخطب والمحاضرات عن وحدة الدول الإسلامية ثم سافرا إلى (استامبول) إلا أنه عاد إلى (القاهرة) فى ١٨٧١م، وشارك بجد ونشاط فى حركات (مصر) التحررية

فنفاه الإنجليز من (مصر) فى ١٨٧٩م فسافر إلى (الهند)؛ حيث أقام مدة (بحيدر آباد الدكن) وثار المصريون على خديو مصر الدكتاتور وعلى التدخل البريطانى فى شئون مصر الداخلية فى ١٨٨٢م ، وقد قاد هذه الثورة (أحمد عرابى باشا) وقد كانت نتيجة هذه الثورة هو الاحتلال البريطانى الشامل (لمصر) وسمح الإنجليز للشيخ جمال الدين الأفغانى أن يخرج من الهند بعد السيطرة البريطانية الشاملة على (مصر) فى ١٨٨٢م فوصل الشيخ إلى (لندن) ثم سافر إلى (باريس) حيث أقام ثلاث سنوات أصدر خلال هذه المدة مجلته الاسبوعية "العروة الوثقى" ثم سافر إلى (لندن) مرة ثانية فى ١٨٨٥م، ثم ذهب إلى (موسكو) و (سينت بيترز برج) فأقام أربع سنوات فى (روسيا)، وفى خلال إقامته هذه حصل على بعض الحقوق الدستورية من الإمبراطور الروسى لمسلمى (آسيا) الوسطى وأتيح اللقاء للشيخ (جمال الدين الأفغانى) بملك إيران (نصير الدين قاجار) بمدينة (ميونيخ) (بألمانيا) الذى دعاه إلى (إيران) إلا أنه أيد الحركة الدستورية الإيرانية مماجعل الملك ينفيه من (إيران) فى ١٨٩٠م، وفى ١٨٩١م ذهب إلى (لندن) مرة أخرى إلا أنه عاد إلى (استامبول) خلال السنة نفسها فأراد السلطان (عبد الحميد) أن يستغل الافغانى لتحقيق أغراضه الذاتية إلا أنه فشل فى إرادته ؛ وذلك لأن (جمال الدين الأفغانى) كان يؤيد الحركة الدستورية التركية، وتوفى الشيخ (الأفغانى) بمدينة (استامبول) فى ١٨٩٧م ، ويرى بعض الباحثين أن السلطان (عبد الحميد) كان قد دس له السم فمات (٤٤).

ويرى (أ - حى - براؤن) بأن هذه الشخصية العظيمة كانت قد تركت تأثيراً لا يساويه أحد من المعاصرين فى ذلك؛ حتى أنه كان قد غير الأوضاع فى العالم الإسلامى خلال عشرين عاما، فقد كان هو وراء حركة تحررية شعبية فى (مصر) وهو الذى كان وراء تنظيم الحركة الدستورية الإيرانية، كما أنه كان يؤيد الدستوريين فى (تركيا) وفوق ذلك كله فقد كان (الأفغانى) داعية لوحدة الدول الإسلامية لكى يتمكن المسلمون من التحرر من الاستعمار والاستغلال الروسى الأوربى، وكان من بين جهوده التى بذلها لتوحيد الأمة الإسلامية والقضاء على التفرقة بين السنة والشيعة أنه أقنع ملك (إيران) بالاعتراف بالسلطان العثمانى كخليفة للمسلمين، كما أنه أشار على السلطان العثمانى بأن يعترف بالملك الإيرانى كقائد للمسلمين الشيعة (٤٥).

وتمتاز حركة (جمال الدين الأفغانى) بالجانبين البارزين، فقد كان يريد الحكم الدستوى والكلمة العليا للقانون فى البلاد الإسلامية مكان الحكم المطلق للسلاطين والملوك من ناحية، ومن ناحية ثانية كان يحاول لإيجاد اتحاد الدول الإسلامية الحرة المستقلة تحت الحكم الدستورى للسلطان العثمانى كخليفة للمسلمين، وبعبارة أخرى أن (الأفغانى) كان يريد إيجاد النظام الديموقراطى الفيدرالى لوحدة العالم الإسلامى فى أصح معانى الكلمة؛ لأن هذا فى رأيه هو الطريق الوحيد لإنقاذ المسلمين من سيطرة الاستعمار والاستغلال الروسى والغربى .

ولكن من سوء الحظ أن الدول الإسلامية كانت فى مرحلة زوالها فلم تستطع أن تقبل الأفكار التى نادى بها الشيخ (جمال الدين الأفغانى)، ومن ناحية أخرى فإن الروس والدول الأوربية التى كانت تريد تمزيق العالم الإسلامى من أجل تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية لم يكن من الممكن أن ترضى باتحاد العالم الإسلامى أو الوحدة الإسلامية، وكانت النتيجة أن الصحافة الأوربية أخذت تشيع إشاعة مسموعة عن الشيخ (جمال الدين الأفغانى) وفكرة الوحدة الإسلامية، وكانت الصحافة الأوربية تهدف إلى إقناع العالم الأوربى بأن هذه الحركة إنما هى اعتداء ضد الروس والشعوب المسيحية الأوربية، وأن العالم الإسلامى يريد بوحدته القضاء على المسيحية كقوة سياسية عالمية، وجملة القول فإن الصحافة الأوربية والقادة الأوربيين جعلوا من هذه الحركة الدفاعية التى لم تكن حركة منظمة فى الواقع ، حركة معتدية معاندة .

على كل حال فإن (السير سيد) وأنصاره كانو بمعزل عن الشيخ (جمال الدين الأفغانى) خلال إقامته فى (الهند)، إلا أن الشيخ (جمال الدين الأفغانى) ذهب إلى مدينة (كلكتة)، فاجتمع حوله عدد من الشبان المسلمين من أمثال (السيد أمير على) و (الشيخ تشراغ على) و (حسن عسكرى) فاستفادوا منه كثيراً فتأثر (سيد أمير على) بالشيخ (جمال الدين الأفغانى) وأفكاره فكتب عدداً من المقالات أيد فيها فكرة الوحدة الإسلامية تحت رئاسة الخليفة العثمانى [٤٦] وكان بعض المجتهدين الشيعة فى الروس و (إيران) قد سبقوا (سيد أمير على) إلى هذه الفكرة فأفتوا بحاجة المسلمين إلى تلك الوحدة [٤٧]

وكان الشيخ (جمال الدين الأفغانى) قد ألف رسالة فى رد الأفكار الشعبية (للسير سيد) خلال إقامته فى (الهند) وسماها فى رد الدهرين [٤٨]، ثم استمر يكتب ضد آراء (السير سيد) الدينية فى مجلته الاسبوعية الصادرة من (باريس) .

وكان الشيخ (محمد شبلى) (١٨٥٧-١٩١٤) قد اهتم اهتمامًا بالغا بحركة الوحدة الإسلامية ، وكان قد عمل لست عشرة سنة فى كلية (علكيرة) الإسلامية كزميل (للسير سيد)، كما أنه كان قد أعد مقالا رفض فيه الاعتراف بدعوى السلطان (عبد الحميد) العثمانى للخلافة الإسلامية تحت تأثير (السير سيد)، إلا أنه يقول بأنه كان قد أعد هذا المقال رغم أنفه [٤٩]، والواقع أنه كان يعارض آراء السير سيد الدينية والسياسية وأخيراً استقال من وظيفته فى كلية (علكيرة) الإسلامية فى ١٩٠٥ وانضم إلى ندوة العلماء بمدينة لكنؤ . وفى ١٨٧٧م حين كان الأتراك يقاتلون ضد الروس بتأييد من الانجليز قام الشيخ شبلى بتنظيم حركة لجمع التبرعات من أجل مساعدة الجنود والأتراك الجرحى وذوى العاهات ثم بعث بهذه البترعات إلى تركيا [٥٠] وفى ١٨٩٢م ذهب شبلى إلى استامبول حيث أقام ثلاثة أشهر فمنحه السلطان (عبد الحميد) الوسام المجيدى [٥١] إلا أن العلاقات بين الإنجليز والأتراك فسدت فيما بعد فحظرت حكومة الهند على الشيخ أن يستعمل الوسام المجيدى وظنته عميلاً للسلطان عبد الحميد، وأخيراً سرق ذلك الوسام أيضًا [٥٢] ثم كتب (الشيخ شبلى) التقارير عن سفره إلى (تركيا) وذكر فيها الكثير عن الأتراك فإنه كما أنه نظم القصائد ذكر فيها مصاب الأتراك وآلامهم [٥٣].

ورغم أن الطريق التى حدده السير سيد قد يمكن أن يكون صحيحًا للمصالح المؤقتة فإنه ليس من الممكن الاعتراف به كطريق عمل مستقل للمسلمين فكما أن الشباب المسلمين المثقفين كانوا قد أخذوا يتأثرون بالمشاعر القومية والوطنية بعد وفاة (السير سيد) فإنهم كذلك كانوا قد أخذوا يتأثرون بفكرة اتحاد العالم الإسلامى وحركة الوحدة الإسلامية، إلا أنه لم تكن هناك من الأسباب الكافية التى كان بإمكانها القيام بتنظيم هذه الوحدة بين المسلمين وإنما الأمر بالعكس، فإن المسلمين فى شبه القارة كانوا يسمعون بالمصائب الكبرى والآلام الهائلة التى كانت القوى الاستعمارية الغربية تكبدها لدولة من بين الدول الإسلامية بين حين وآخر، وكان موقف مسلمى (الهند) هو موقف المتفرج، إلا أن مسلمى (الهند) لم يكن لديهم سوى الدموع والبكاء

ولم يكن لديهم منظمة سياسية صحيحة، وهذا ما جعل الشباب المسلمين المثقفين يجمتعون بين المشاعر المتعارضة من الوطنية والقومية والأخوة الإسلامية العالمية، وشعر (إقبال) هو الذى يصور لنا هذه المشاعر المتعارضة للمجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت ليس إلا .

كان (إقبال) قد دخل امتحان المنافسة لوظيفة النائب الإضافى للمحافظ وهذا مما يدل على أن (إقبالاً) لم يكن ينوى السفر إلى (أوربا) من أجل الدراسات العليا، إلا أنه لم يتمكن من الحصول على الوظيفة الحكومية وكذلك كان (إقبال) قد رسب فى امتحان الحقوق فلم يبق له مهنة غير مجال التدريس وذلك لم يكن من الوظائف المجدية المثمرة، وسافر (الشيخ عبد القادر) إلى (أوربا) فى ١٩٠٤ فتأثر (إقبال) بذلك فأخبر (الشيخ عبد القادر) أنه يريد أن يكتب رسالة إلى شقيقه فإذا كان بإمكانه أن يتحمل التكاليف فقد يمكن أن ألتحق خلال سنة واحدة [٥٤] وكان (إقبال) قد ادخر مبلغًا خاصا من الروبيات التى اكتسبها من وظيفته كمدرس فساعده شقيقه (الشيخ عطا محمد) . أما موضوع الدكتوراه فى فلسفة الإسلام وتصوفه فلعل الأستاذ (آرنولد) هو الذى كان قد رغبه فى الحصول على الدكتوراه عن ذلك . أما دراسة المحاماة والحقوق وذلك مما كان (إقبال) قد اعتزم عليه شخصيًا . وكان الشيخ (عبد القادر) قد ألح على (الميرزا جلال الدين) عند عودته من (لندن) أن يساعد (إقبال) إذا جاء لديه للحصول على المعلومات عن (إنجلترا). فحضر (إقبال) عند ا(لميرزا جلال الدين) قبل سفره إلى (إنجلترا) وقد كان ذلك هو اللقاء الأول بين الرجلين ، أما صلات الصداقة بينهما فقد توطدت بعد عودة (إقبال) من (إنجلترا) [٥٥].

وكان (إقبال) يلبس الزى الشعبى قبل مهجره إلى (إنجلترا) أما لباسه فى الصيف فقد كان عبارة عن الإزار (تهه بند) والصدرة، وفى الشتاء كان يلبس الدثارة فوق القميص وأما عندما كان يخرج من البيت فكان يلبس السروال والقميص وفوقهما سترة طويلة أو قصيرة ، وأما الحذاء فكان يلبس أحذية بلدية وعلى رأسه طربوش أو قلنسوة جلدية سوداء كما أنه كان يغطى رأسه بالعمامة أحيانًا . أما لباسه فى (أوربا) فكان قد أعد الملابس الفرنجية أى طقومًا من السترة والبنطلون، وعندما وصل إلى (لندن) لبس بدلة إنجليزية، وكان (فى يخشى) قد أخبر المؤلف يوما بأن (إقبالاً) لم يلبس قبعة إلا خلال إقامته طالبا فى (أوربا) ثم لم يستعملها قط .

وكان (إقبال) قد قضى إجازاته الصيفية كلها بمدينة (سيالكوت) بين أهله وعند أبويه وأقاربه قبل أن يسافر إلى (لندن)، كما أنه كان استشار (الشيخ سيد مير حسن) عن بحثه للدكتوراه وموضوعاته وأخيراً ودع أبويه وإخوته فجاء إلى (لاهور) ودعه أصدقائه فى محطة (لاهور) للقطار .

أما تفاصيل السفر من (لاهور) إلى (لندن) فإننا نجدها فى رسائله وفى المقالات التى أعدها أصدقاؤه ؛ فقد غادر (لاهور) إلى دلهى فى أول سبتمبر ١٩٠٥م وكان (نيرنك) و (الشيخ محمد إكرام) من أصدقائه رافقاه خلال سفره إلى (دلهى) [٥٦] ووصل قطاره إلى (دلهى) فى الثانى من سبتمبر ١٩٠٥م وكان الخواجا (حسن نظامى) و (منشى نذر محمد) قد وصلا إلى المحطة ليستقبلاه هناك . وقد استراح (إقبال) بعد أن غادر المحطة فى بيت (منشى نذر محمد) للحظات ثم رافق أصدقاءه إلى ضريح (نظام الدين أولياء) . وقرأ الفاتحة على قبر الملك (همايون)، والأمير (دارا شكوه) فى طريقهم ثم وصلوا إلى ضريح (نظام الدين أولياء) فتنحى (إقبال) فى ناحية من الضريح حيث أنشد منظومته "رجاء المسافر" أما أصدقاؤه فكان قد رجاهم أن ينتظروه فى فناء الضريح ثم اصر عليه الأصدقاء فأنشد المنظومة نفسها فى الفناء متجها نحو الضريح، وبعد العودة من الضريح نزل (إقبال) فى منزل الخواجا حسن نظامى وتغدى بمشاركته فى دعوة المطبخ الشعبى الخيرى الخانقاهى، وكان هناك شاب متعلم حسن الصوت جميل الطبع يغنى للمشاركين فى الدعوة ، وقبل عودته إلى المدينة ذهب (إقبال) إلى ضريح الشاعر (الميرزا أسد الله خان غالب) والذى يقع فى ناحية خربة من المقابر وكان صديقه (نيرنك) قد جلس وقت وضع يده على لافتة الضريح عند الرأس، وجلس (إقبال) على يمينه وقد ذهب به الخيال إلى كل ما لا يعرف . أما الأصدقاء الآخرون فكانوا واقفين مصطفين حول القبر وكان الوقت ظهراً ، وكانت الشمس شديدة والجو رطباً إلا أن أحداً منهم لم يشعر بشدة الحر ، وكان ذلك المغنى الشاب المتعلم جاءت له فكرة غريبة فاستأذنهم ليغنى الغزل ما معناه :

« إن نظرك قد نفذت إلى الكبد من طريق القلب فكأن نظرك هذا قد صادهما، أى القلب والكبد فى وقت واحد» .

أما البيتان التاليان فقد كان لهما أثر عجيب فى نفوسهم جميعا :

١ - إن تراب جسدى يطير فى الزقاق الذى يعيش فيه الحبيب. إننى الآن ياربى لم أعد أتمنى الأجنحة .

٢ - إن سكر خمور الليل قد ذهب مع الريح فعليك الآن أن تنهض ؛ لأن متعة النوع عند السحر قد انتهت الآن .

وحين انتهت القصيدة الغزلية عاد كل واحد منهم إلى نفسه بعد لحظات فأخذوا يتحركون ، فقبّل (إقبال) فى شىء من الحنان قبر غالب فتوجهوا نحو المدينة [٥٧]. وكان (إقبال) قد قضى تلك الليلة فى منزل (نذر محمد) فهذا (إقبال) نفسه يحدثنا عن ذلك: [٥٨].

« وفى صباح اليوم الثالث من سبتمبر ودعت (المير نيونك) و (الشيخ محمد إكرام) والآخرين من أصدقائى فى مدينة (دلهى)، فسافرت إلى (بومباى) وفى الرابع من الشهر انتهت المرحلة الأولى من السفر بعون الله، ويمكن الحصول على تذاكر الفنادق جميعها فى محطة القطار إلا أننى نزلت فى فندق إنجليزى حسب التعليمات من (طاس كوك) وقد أكدت لى التجربة أن ذلك الفندق هو مكان مناسب للطلاب الهنود المسافرين إلى (إنجلترا). فصاحب الفندق رجل طاعن فى السن من الفرس وقد لاحظت فى وجه الشيخ من القداسة ما ذكرنى بختشوع (النبى) فى (إيران) . إن التجارة قد علمته التواضع التى لا تستطيع العبادة والصحبة لمرشد كامل أن تؤثر فى نفوس شيوخنا، وكان رجل من الاغريق قد نزل أيضًا فى ذلك الفندق وكان يلم بالإنجليزية إلماما وأخبرنا بأنه اشتغل تاجرًا فى (الصين) إلا أن الصينيين لايشترون بضائعنا فقلت فى نفسى حين سمعت ذلك إن هؤلاء الأفيونيون أى (الصينيون) يفضلوننا نحن الهنود فإنهم يهتمون بصناعاتهم البلدية .

استفيقوا أيها الأفيونيون استفيقوا من نومكم الطويل أنكم لا تزالون تنعسون وتدلكون عيونكم، إلا أن الشعوب الأخرى قد أخذت تخاف وتتحذر منكم فلا ترجوا منا نحن الهنود أن نستطيع أن نساعدكم فى استعادة المجد التجارى الآسيوى القديم فإننا لا نعرف العمل فى وحدة وانسجام ولم يعد يوجد شىء من الحب والمرءوة فى بلادنا . إن المسلم الصحيح عندنا هو الذى يكون أعدى أعداء الهنادكة ويتمنى سفك دمائهم ، كما أن الهندوكى الصحيح عندنا هو الذى يريد القضاء على المسلمين . إننا نحن عثت الكتاب الذين ليس لهم غذاء إلا أفكار العقول الغربية . ياليت أمواج الخليج البنغالى تغرقنا . وذات ليلة كنت فى غرفة الطعام فإذا رجلان مثقفان يجلسان أمامى على المأدبة ، وكانا يتحدثان بالفرنسية واخيراً نهضا بعد الطعام فأخرج أحدهما طربوشه من تحت الكرسى فغطى به رأسه فعلمت أنه تركى فسرنى ذلك جداً وقلت فى نفسى إنه لا بد من اللقاء بهذا الرجل التركى، وفى اليوم الثانى بدأت أتحدث إليه تلقائيا دون أى تمهيد فاتضح أن ذلك الشاب التركى عضو فى جمعية الشبان الأتراك ويعارض السلطان (عبد الحميد)، واكتشفت خلال حديثى إليه أنه شاعر أيضًا – فرجوته أن ينشدنى بعض شعره فأخذ يقول : أنا تلميذ (كمال بك) (الشاعر التركى الشهير الحى فى ذلك الوقت) . والأبيات الشعرية (لكمال بك) التى أنشدنيها كانت جيدة للغاية ، أما الأبيات الشعرية لنفسه والتى أنشدنيها قد كانت كلها فى هجو السلطان .

وذات مساء ذهبت أنا وذلك التركى المثقف لنزور مدرسة (بومباى) الإسلامية فرأينا الطلاب المسلمين يلعبون الكركيت فى ملعب المدرسة فدعونا أحدهم فجاء إلينا وتحدثنا إليه وسألناه الكثير عن مدرستهم تلك . وجملة القول إن مدينة (بومباى) –

عمرها الله - مدينة عجيبة جداً. أسواقها واسعة وبجوانبها مبانٍ مرتفعة صاعدة فى السماء حتى أن الناظر إليها تعود إليه نظراته حاسرات، ومرور السيارات في الأسواق كثير حتى أن المشى فى الأسواق يكون مستحيلاً. وبهذه المدينة يبلغ عدد السكان الفرس نحو تسعين ألفا، حتى أنه يبدو للزائر كأنها مدينة الفرس. إن صلاحية هذا الشعب تستحق كل إعجاب وتقدير وأن ثراءه ومجده لا يعرف لهما حدود، إلا أنه ليس فى مقدرة أحد أن يتنبأ بمستقبل هذا الشعب الزاهر، وإنهم لا يفكرون إلا فى اكتساب المال عادة حتى أنهم لا يستطيعون النظر إلى شيء إلا من الناحية الاقتصادية، وليس لديهم لغة أو أدب غير اكتساب المال ، وغريب الأمر أنهم يبغضون اللغة الفارسية، ويستحقرونها . ياللأسف ! أنهم لا يعرفون شيئا عن الآداب الفارسية ، وإلا فكان من الممكن لهم أن يعرفوا أن الآداب الإيرانية لا دخل للعربية فيها وإنما تصطبغ هذه الآداب بصبغة (زرد شتية) وعليها يقوم حسنها ورونقها وبهاؤها ولقد رأيت الفتيان ورأيت الفتيات الفارسية من طلاب المدرسة فى أسواق المدينة كأنهن يمثلن النشاط والقوة، وغريب الأمر أن ثمانين فى المائة منهن كن قد غطين عيونهن بالنظارات . أما صورة المدينة التعليمية فهى صورة جيدة وجميلة ، حتى أن الحلاق الهندى بفندقنا كان يحفظ الوقائع المشهورة كلها من تاريخنا ، وكان يقرأ جريدة اللغة الكجراتية كل يوم ، وكان يعرف كل شيء عن الحرب اليابانية الروسية وكان دائمًا يذكر السيد (نوروجى داردا بهائى) - من الأعضاء والزعماء البارزين للكونجرس الهندى - بكل تكريم واحترام. أما أصحاب المحلات التجارية فى أسفل الفندق فهم مسلمون وقد رأيتهم يقرءون جرائد اللغة الكجراتية كل يوم» .

وأقام (إقبال) ثلاثة أيام بلياليها بمدينة (بومباى)، ثم سافر فى السابع من سبتمبر ١٩٠٥م فى الساعة الثانية ظهرًا؛ حيث ركب سفينة بحرية وكان (لاله دنبت رام) المحامى موجودًا فى (بومباى) مصادفة. وكان معه صديقه فرافقا (إقبالاً) حتى ودعاه عند الميناء البحرى، وتحركت السفينة فى الساعة الثالثة فركب (إقبال) البحر وهو يسلم على صديقيه ويشير إليهما بالمنديل من بعيد حتى أخذت أمواج البحر تقبل السفينة من جوانبها، وعن ذلك يحدثنا (إقبال) قائلاً : (٥٩).

«إن الذوق الجميل للشعب الفرنسي يتخلى من خلال جودة هذه السفينة ونفاستها، وكان من بين موظفى السفينة المصريون السمر المسلمون وكانوا يتحدثون بالعربية . وأما ضباط السفينة الفرنسية فهم أصحاب خلق حسن للغاية وأن تقاليدهم هم من التكلف تذكرنا بمدينة (لكنؤ) وسكانها وكذلك فإن طعام السفينة ونظامه يستحق كل شكر وتقدير . وإن ركاب سفينتنا هذه لا يزيد عددهم على ستين مسافرًا ونحن نستريح فى غرفاتنا ليلاً ونجلس على الكراسى على متن السفينة من الصباح إلى المساء نهارًا وفينا من يقرأ وفينا من يتحدثون فيما بينهم من يتحول ويتمشى . وأشعر بشىء من القلق والهلع داخل حجرة المركب حين تتحرك بنا السفينة ، أما فوق متن المركب فأشعر بالراحة . وأن جيمع زملائى المسافرين أصابهم مرض بحرى فى اليوم الثانى من سفرنا إلا أننى سلمت من ذلك فلله، الحمد . وعندما ابتعدنا شيئًا عن ميناء (بومباى) وجدنا أمواج البحر تزداد تلاطما، ولقد كانت ترتفع ارتفاعًا هائلاً مما يذكر الإنسان بالله وجلاله حتى أن الإنسان يشعر بشىء من الخوف والدهش . أما استخدام الكبريت على المركب فممنوع ويوجد موقد نحاسى فى غرفة جانبية على ظهر المركب حيث وضعوا الأخشاب الملتهبة

فـمن أراد أن يولع سـيـجـارة يذهب إلى ذلك الموقـد فـيـولع سيـجارته . وأنا ما يؤثر فى قلب الإنسان نفسه خلال السـفر بالسفينة فهى من شاهد البحر فإن البحر يذكر الإنسان بجلال الله وقدرته التى لا حد لها ولا يوجد غيره شىء يؤثر فى نفس الإنسان كذلك، وإن الفوائد الروحية والثقافية لحج بيت الله الحرام هى كثيرة، وبغض النظر عن تلك الفوائد هناك فائدة خلقية كبيرة، جدا وهو النظر إلى أمواج البحر الهائلة المهيبة وسعة البحر الرهيبة التى لا غاية لها وبذلك يتأكد الإنسان المتكبر بأنه لا قيمة له بين خلق الله الواسع.

هذا صباح اليوم الثانى عشر من سبتمبر، وقد استيقظت اليوم مبكرًا جدًا وأرى الكناسين بالسفينة ينظفون ظهرها إلى الآن، كما أن ضوء المصابيح قد تضاءل وقد بدأت الشمس كأنها تطلع من المياه، وقد بدا لى البحر كأنه هو نهرنا (راوى)، وإن النظر إلى مشهد طلوع الشمس كمن يتلو آية إذا كان يملك قلبًا عطوفًا فهذه هى الشمس نفسها قد رأيناها فى المناطق السهلية تطلع وتغرب كالمعتاد، والواقع أن الذين جعلوا عبادة الشمس دينا لهم قد ضلوا معذورين فى ذلك وأن محافظ (كوتيه) الإنجليزى الذى هو ذاهب إلى (إنجلترا) فى إجازة السنة والنصف رجل عالم جدًا مطلع على كثير من الأشياء، وقد جرى بينى وبين حديث عن شئون الهند السياسية بالأمس وهو يعرف اللغتين العربية والفارسية وجرى ذكر السيد (ولهام ميور) ومؤلفاته، فقال المحافظ ياليته لم يكن متعصبا إلى ذلك الحد، وهو من المعجبين بالشاعر (عمر الخيام) فقلت له إن أهل (أوربا) لم يطلعوا بعد على الرباعيات للشاعر (سحابى نحف) – من الشعراء المفلقين المعروفين باللغة الفارسية – وإلا فكان بإمكانهم أن ينسوا (عمر خيام) منذ أمد بعيد، وقد أخذ الشاطئ يقترب شيئًا فشيئًا، سفينتنا سوف تصل إلى (عدن) فى بضع ساعات . إن الشوق الذى أشعر به

فى نفسى وأنا أتصور شاطئ البلاد العربية سوف أحدثكم عن ذلك فيما بعد . وجملة القول إن نفسى لتتوق إلى زيارة الحرمين الشريفين وأن أرى آثارهما بعينى رأسى ولا أستطيع أن أحكى ذلك والشاعر قد عبر عما أشعر به فقال ما معناه : «يا لله من كرامة أرض المدينة وشرفها - حتى أن الشمس ما تمر بها تراها مائلة إلى الغرب ».

يا أرض العرب المقدسة بوركت من أرض، ولقد كنت أحجاراً محرقة لا قيمة لها وقد رفضها البناءون فى العالم ويعلم الله كيف غير مجرى تاريخك ذلك اليتيم حتى أصبحت أساساً لمدينة العالم، وحضارته . أيها الأرض الطاهرة ، إن رمالك قد عرفت الآلاف من آثار الأقدام، وإن نخيلك قد أوت الآلاف من الأولياء والأنبياء من حر الشمس المحرقة، ياليتنى يتاح لى ولتراب جسدى المذنب أن يطير بين ذرات الغبار فى رمالك وصحاريك ووديك، وأن هذا الهيمان لتراب جسدى قد تكون كفارة لأيام حياتى التى قضيتها، ياليتنى يأتينى البدو المغيرون فينهوننى فأتحرر من آلام الدنيا ومتاعبها فأمشى فى شمسك المحرقة ولا أحفل بالقروح أو النفطات التى تصيبنى فى الطرق الصحراوية الواعرة فأمشى وأمشى حتى أصل إلى الأرض المقدس ، وفى تلك المدينة التى كانت أزقتها عامرة يوما بصوت بلال - رضى الله عنه - فى الأذان ، وكان يملأ صوته الحب الصادق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم.»

ولم يتمكن (إقبال) بسبب المحجر (الكريتية) والحر أن يصعد إلى (عدن) ويتجول فى شوارعها فلم يزل ينتظر فى السفينة لساعات عديدة ، حتى أخذت السفينة تتحرك وتبدأ سفرها من جديد فمرت بالبحر الأحمر حتى وصلت إلى السويس، وعن ذلك يحدثنا (إقبال) قائلاً : [٦٠]

« وعندما وصلنا إلى (السويس) دخل التجار المسلمون إلى سفينتنا بعدد ضخم ، حتى أن ظهر المركب أصبحت سوقا نافقة فهذا يبيع الفاكهة وذلك يحمل بطاقات البريد وفيهم من يبيع الأصنام المصرية القديمة، وكان فيهم مشعوذ شاطر وكان يحمل فى يده فرخة فكان يجعل من الفرخة فرختين بشعوذته، فأردت أن أشترى السجائر من تاجر مصرى شاب فقلت له خلال حديثى معه إننى مسلم إلا أنه نظر إلى رأسى فرأى عليه قبعة فلم يستطع أن يصدقنى فقال لى: لماذا تستعمل القبعة إذن ؟ فقلت له: هل يمنع الإسلام استعمال القبعة فقال لى: إذا كان المسلم يحلق لحيته فيجب على الأقل أن يلبس طربوشًا أى قلنسوة تركية وإلا فماذا بقى من آيات الإسلام، إلا أن الرجل تأكد من إسلامى وكان يحفظ القرآن الكريم فتلوت أمامه بضع آيات قرآنية فسر به جدًا، وأخذ يقبل يدى وعرفنى بالتجار الآخرين فاصطفوا جميعهم حولى وكل واحد منهم يقول ، ماشاء الله ، ما شاء الله ، وحين علموا الغرض من سفرى إلى (إنجلترا) أخذوا يدعون لى، أو قل إنهم تركوا حضيض التجارة للحظات وتحرروا من قذراتها وارتفعوا إلى مكانة الإخوة الإسلامية الرفيعة، وبعد لحظات جاءت جماعة أخرى من الشباب المصريين وكانوا غاية فى الجمال فأخذوا يتجولون فى السفينة فنظرت إلى وجوههم فبدا لى وجه مألوف كأننى كنت قد رأيته وخيل إلىَّ للحظة كأنه كان فى وفد كلية (عليكرة) الإسلامية، فأخذوا يتحدثون فى ناحية من السفينة فتدخلت فى حديثهم بدون إذن، ثم جرى الحديث بيننا للحظات طويلة وكان فيهم شاب جميل يتحدث بالعربية الفصحى كأنه يقرأ مقامة من مقامات الحريرى، وأخيرًا ودعت سفينتنا هؤلاء المسلمين وأخذت تتحرك وتمشى رويدا رويدا داخل قناة (السويس) وهذه القناة التى بناها مهندس فرنسى تعتبر من عجائب الدنيا، وحتى أن (بوذا) لم يؤثر فى روحية العالم ما أثر هذا المهندس الغربى فى النظام التجارى العالمى

المعاصر. هناك آلاف مؤلفة من الناس يعملون ليل نهار لتكون القناة سليمة لعبور السفن التجارية العالمية . وهؤلاء العمال القائمون بالعمل هناك يواظبون على تنظيف القناة ؛ لأن القناة تمر من بين الأطلال الرمالية وتهب الرياح والعواصف فتطير الرمال فتسقط في القناة، وهؤلاء العمال هم الذين يقومون بمهمة التنظيف، العمال الذين يعملون على طرفي القناة بعضهم خبثاء جداً فعندما كانت سفينتنا تمر من القناة رويدا رويدا وكانت السيدات الإنجليزيات يتمتعن بمشاهد طرفي القناة فإذا بأحد العمال يخلع ملابسه ويأخذ يرقص عاريا ما جعل المسكينات المتنزهات يسرعن إلى غرفاتهن في المركب ، وقد شاهدنا ونحن نمر من القناة مشهداً ممتعاً آخر وهو أننا رأينا سفينة مصرية مرت من عند سفينتنا في القناة وكانت تحمل الجنود وكانوا كلهم يلبسون الطرابيش، وكانوا يغنون قصيدة غزلية عربية بصوت حلو جداً وقبل أن تصل إلى (بور سعيد) جاءنا نبأ عن سفينة بحرية مليئة بالذخيرة البارودية التي تفجرت فطارت قطعاتها الممزقة وبعد لحظات رأينا قطعات السفينة الممزقة ونحن نمر من القناة .

وعندما وصلنا إلى (بور سعيد) جاء التجار المسلمون فنصبوا دكاكينهم على ظهر المركب، فركبت في سفينة صغيرة مع زميلي الفارسي فذهبنا إلى الميناء لجولة سياحية ، فرأينا بها مدرسة وزرنا المساجد ورأينا مقر الحاكم المسلم ورأينا أيضاً تمثالاً للمهندس الذي كان قد أعد تصميم القناة . وجملة القول كانت نزهة ممتعة جدا وفي النهاية أعطيت جائزة للمرشد المسلم الذي كان معي وكان يجيد أكثر من لغة، ثم عدت إلى السفينة وعند وصولي في السفينة رأيت منظراً آخر وهو ثلاث نسوة إيطاليات ورجلين يعزفون الكمان ويرقصون ويغنون ، وكانت فيهم بنت جميلة جداً في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرها ويجب أن أعترف بكل أمانة بأنني تأثرت بجمالها تأثراً شديداً للحظات

إلا أنها أخذت طبقا صغيرا فبدأت بطلب الجوائز والبقشيش من الناس فزال التأثر ذلك كله والذى كان قد أخذنى، وذلك لأن الجمال الذى ليس عليه الكرامة أعتبره أقبح من القبح. وجملة القول أننا تحركنا بعد أن تمتعنا بالغناء والرقص، ودخلت سفينتنا فى البحر الأبيض المتوسط؛ حيث توجد جزائر عديدة فى الطريق وعرفت بعضها لسبب أو لآخر وكانت المشاهد البحرية الأولى فى طريقنا جميلة رائعة للغاية، وكان الهواء الطلق يحمل تأثيراً يجعل من الإنسان شاعراً موزونا بطبيعة الحال جعلنى الجوامل إلى قول الشعر فنظمت بضعة أبيات من القصيدة الغزلية [٦١] ووصلنا إلى (مارسيليا) فى ستة أيام، والسبب فى ذلك أن الطريق البحرى فى اللحظات الأخيرة كان متلاطما جدا، ولأن قبطان السفينة كان يخشى الغرق فى الطريق مما جعله يغير طريقه العادى وأخذ طريقا أطول منه، وفى صباح الثالث والعشرين وصلنا إلى (مارسيليا) وهو ميناء فرنسى تاريخى معروف وأتيحت لنا فرصة بثمانى ساعات فنزلنا وتجولنا فى الميناء متنزهين متمتعين . إن كنيسة (مارسيليا) والتى اسمها (موتردام) تقع على مكان مرتفع جدا . وأن الناظر إلى مبانيها يقتنع بأن التأثير الدينى هو المحرك الحقيقى الأصيل وراء العلوم والفنون جميعها وركبنا فى القطار من (مارسيليا) وبذلك اتيح لنا زيارة (فرنسا) وجمالها. فى الطريق وكانت الحقول التى تقع على جانبى الطريق تدل على الذوق الجميل عند الفرنسيين، وقضينا ليلة فى القطار فعبرنا القناة البريطانية فى المساء الثانى فوصلنا إلى (دوفر)، ومن (دوفر) إلى (لندن) ورغم أننى كنت فى الملابس الانجليزية فإن نظر (الشيخ عبد القادرب الحاد) عرفنى بسهولة فتقدم إلىّ فتعانقنا » .

وكان (إقبال) قد وصل إلى لندن فى ٢٤ من من سبتمبر ١٩٠٥م فقضى ليلة عند (الشيخ عبد القاد) ، ثم سافر إلى (كيمبردج) فى ٢٥ من سبتمبر .

الفصل السابع

فى أوروبا

إن تحديد التواريخ للنشاطات التعليمية التى اتبعها (إقبال) فى (أوروبا) أمر صعب إلى حد بعيد ، أما مدة إقامته فهى ثلاث سنوات تقريبًا . ومن أراد أن يرتب حياة (إقبال) خلال هذه السنوات الثلاث فلا بد له أن يعتمد على المصادر المتنوعة ، فمنها ما كتبه (إقبال) وأدلى به من تصريحات ، ومنها ما كتبته السيدة (عطية فيضى) عن شخصية (إقبال) وأشغاله وأعماله ، أو ما سجله أصدقاء (إقبال) من ملاحظاتهم وانطباعاتهم من أمثال (السير عبد القادر) .

وكان (إقبال) قد وصل إلى (كيمبردج) فى ٢٥ من سبتمبر ١٩٠٥م، ولعل قبول (إقبال) بكلية التثليث بجامعة (كيمبردج) كان قد تم بجهود أستاذه السير (أرنولد). ولم يكن من اللازم أن ينزل فى دار الإقامة بمبنى الكلية ؛ لأنه كان من الطلاب الباحثين أوالطلاب بعد التخرج، ومن ثَمَّ نزل (إقبال) خلال إقامته فى (كيمبردج) بعدة أيام فى ١٠ / زقاق كيسل ، ثَمَّ تحول إلى ٩٠ شارع (هنتيج دن) أما السنة الأكاديمية (لكيمبردج) فهى تبدأ من أول أكتوبر كل عام ، ومن ثَمَّ بدأت سنة (إقبال) الدراسية فى هذا الفصل الدراسى .

وأما الطريق العملى للحصول على درجة الدكتوراه بالجامعات الغربية فهو أن الطالب الباحث يلتحق بكلية من الكليات الجامعية ثم ينزل بدار الإقامة الجامعية ثم يسجل موضوعه واسمه واسم أستاذه المشرف، وأما مدة الدراسة والبحث فهى ثلاث سنوات ويقضى الباحث معظم وقته فى المكتبات المختلفة ؛ حيث يجمع المعلومات الخاصة ببحثه، ويلتقى بأستاذه المشرف مرة أو مرتين فى كل شهر ويقدم له الأبواب أو الفصول الجاهزة من بحثه ويتناقش معه فى ذلك، ويستمر على هذا المنوال حتى ينتهى من إعداد الأطروحة وتقديمها إلى الجامعة ، ويقدم الطالب نسختين من بحثه للجامعة

وذلك لإرسالهما إلى المتحنين ، وترد نسخة منها إلى الطالب بعد الامتحان وتستودع النسخة الثانية بمكتبة الجامعة ، ويحضر الطالب للامتحان الشفوى أمام المتحنين فى موعد تحدد الجامعة ، ويستمر هذا الامتحان الشفوى لساعة أو ساعتين تقريبا ثم تخبره الجامعة - بعد أن تتلقى التقرير من المتحنين - أنه قد نجح فى الحصول على درجة الدكتوراه أو لم ينجح .

ويبدو أن (إقبالا) كان قد سجل موضوعه للدكتوراه بجامعة (ميونيخ) عقب نزوله بمدينة (كيمبردج) فهذا (إقبال) نفسه يحدثنا عن ذلك قائلاً : [١]

« قدمت أطروحتى بجامعة ميونيخ وكانت سلطاتها قد أصدرت الأمر باستثنائى من شرط الإقامة بالجامعة كما أنها سمحت لى أن أقدم أطروحتى باللغة الإنجليزية وتصر الجامعات الالمانية على حضور الطالب فى المحاضرات لثلاث سنوات أو ست ونصف عامة، وتحدد مدة الحضور حسب كفاءة الطالب كما أنها تصر على تقديم الرسالة باللغة الألمانية إلا أننى أخذت الاستثناء من ذلك على توصية من أساتذتى بجامعة (كيمبردج) . أما الامتحان الشفوى للدكتوراه فكان قد تم باللغة الألمانية التى كنت قد تعلمت القليل منها خلال إقامتى هناك » .

كذلك فإن امتحانات المحاماة لا تتم إلا بالقبول فى خان من الخانات لتحقيق حضور الفصول الدراسية . أما الإقامة الدائمة فى (لندن) أو الحضور فى محاضرات القانون فلم يكن من اللازم كذلك. وتنص القواعد على أن الفصول الدراسية يتحقق عندها المطلوب بالنزول فى خان من الخانات والحضور فى مآدبها العشائية المحددة . ومن الممكن أن يدخل الطالب فى امتحان المواد الست من القسم الأول على الانفراد، ولكن المواد الست من القسم الثانى لا بد من امتحانها مرة واحدة وكانت هذه الامتحانات تعقد فى خانات القضاء ثلاث أو أربع مرات فى السنة، وكان (إقبال) قبل بخان لنكن فى ٦ من نوفمبر ١٩٠٥ وسافر من (كيمبردج) إلى (لندن) ليكمل الفصول الدراسية، ويخبرنا (السير عبد القادر) بأن (إقبالا) كان إذا جاء إلى (لندن) لمحاضرات المحاماة أو المآدب العشائية «كنا نذهب سويا للمشاركة فيها» . [٢]

على كُلٍّ فليس من الممكن أن نجزم القول بأن (إقبالا) كان قد دخل امتحان المواد الستة من القسم الأول متفرقة أو مرة واحدة، أو متى كان قد دخل الامتحانات هذه، ولا نعرف عن ذلك إلا أنه كان قد حصل على درجة الحقوق فى أول يولية ١٩٠٨م، ويمكن التقدير بأن (إقبالا) كان قد أكمل امتحانات القسم الأول من المحاماة وهو نازل بمدينة (كيمبردج). أما الاستعداد والاكمال للامتحان القسم الثانى فقد تم ذلك خلال إقامته بمدينة (لندن) .

ويقال إن (إقبال) كان قد حصل على شهادة التخرج من (كيمبردج) إلا أن الحصول على هذه الشهادة لم يكن حسب التقاليد المتداولة ، لأن امتحان التخرج فى (كيمبردج) والذى يسمى (ترائى بوس) يدخله الطالب بعد الثانوية، ويدرس ثلاث سنوات وهذا الامتحان يدخله غير المتخرجين فإذا قضى الطالب بعد التخرج مدة محددة بالجامعة يحصل على شهادة الماجستير الفخرية . أما (إقبال) فكان قد التحق بكلية التثليث كطالب باحث. فلا مجال لدخوله امتحان (ترائى بوس) من هناك، إلا أنه من الممكن أن يكون قد حضر فى المحاضرات التى كان يلقيها الأستاذ (ميك تيجريت) و (وائت هيد) و (وارد) و (براون) و (نكلسون) وذلك بإذن خاص فى (كيمبردج) وكان أستاذ (أرنولد) أستاذ العربية بجامعة (لندن) فى ذلك الوقت، وكان نازلا بمدينة (ويمبل دن) على مسافة قريبة من (لندن) ويرى مؤلف هذا الكتاب أن هؤلاء هم أساتذة (إقبال) – بما فيهم الاستاذ أرنولد – الذين كانواقد بعثوا التوصيات إلى جامعة ميونيخ باستثناء (إقبال) من بعض الشروط . [٢]

وكان الأستاذ (ميك تيجرت) يلقى المحاضرات عن فلسفة (كانت) و (هيجل) بجامعة (كيمبردج) فى ذلك الوقت، وكان على صلة بكلية التثليث، وكذلك السيد (وارد) و (وائب هيد) من الفلاسفة البريطانيين المعروفين مثل الأستاذ (ميك تيجرت) أما (براون) و (نكلسون) فهما من علماء العربية والفارسية، ومن كبار المستشرقين البريطانيين . وقد ترجم (نكلسون) ديوان الأسرار (لإقبال) إلى اللغة الإنجليزية فيما بعد .

وقد كان (إقبال) على صلات ودية مع هؤلاء جيمعًا . وكان الأستاذ (ميك تيجرت) رجلاً صوفى النزعة، وكان (إقبال) يحضر فى محاضراته بانتظام، كما أنه كان يناقش معه في مشاكل التصوف واستمرت المراسلة بين الأستاذ (ميك تيجرت) والأستاذ (نكلسون) وبين (إقبال) بعد عودته من (إنجلترا) وقرأ الأستاذ (ميك تيجرت) الترجمة

الإنجليزية لديوان الأسرار فكتب رسالة إلى (إقبال) يسأله إذاكان قد غير موقفه؛ لأنه كان متصوفًا وجوديا كما لاحظ الأستاذ (ميك تيجرت) حين كان (إقبال) طالبًا بجامعة (كيمبردج)، وكان (إقبال) قد أعد مقالا عن فلسفة الأستاذ (ميك تيجرت)(٥) .

وكان من بين المشاكل التى واجهها (إقبال) وهو نازل بمدينة (كيمبردج) هى مشكلة الحصول على اللحم المزكى وقد ساعده استاذ آرنولد فى ذلك حيث يحدثنا (إقبال) عن ذلك قائلاً: (٦) .

« عندما وصلت إلى إنجلترا رجوت الدكتور (آرنولد) أن يدبر لى سكنا فى بيت يمكن لى الحصول على الذبيحة، ولا يهتم أحد بالذبيحة فى (أوربا) غير اليهود فهم لا يأكلون إلا ذبيحتهم أنفسهم؛ فدبر لى السكن فى منزل يهودى طيب، وكان أهل هذا المنزل يمتازون بمحاسن كثيرة فكانوا يصلوا صلاتهم بانتظام وكنت أشاركهم فى دعواتهم حين كنت فى المنزل، وكنت أقول لهم أننى مسلم وأؤمن برسالة سيدنا (موسى) وأستطيع أن أتبع سنته إلا أننى تبرمت منهم بعد قليل وضاق قلبى بهم واكتشفت أنهم كانوا يكتسبون الربح من الاتجار على كل شىء كنت أحتاج إليه وأشتريه بواسطتهم . إن تصرف أهل المنزل فى اكتساب الربح على الأشياء التافهة جعلنى أتضايق بهم وأتبرم منهم وبدوا لى أن هذا التصرف منهم قد ذهب بمحاسنهم كله ».

وكذلك فإن (إقبالا) كان قد أخذ معه إبريقًا حيث يحدثنا بذلك قائلاً:(٧) .

« كنت أخذت الإبريق معى حين سافرت طالبًا إلى إنجلترا . وكلما دخلت دورة المياه لقضاء الحاجة كنت آخذ الإبريق معى ومضت أيام على هذا المنوال، وأخيراً سألتنى ربة البيت الذى كنت نازلاً فيه (كانت هذه السيدة فى الخمسين من عمرها، وكانت كريمة تشفق علىَّ كثيراً - قائلة: لماذا تذهب بهذا الإبريق داخل دورة المياه؟ فقلت لها : إن الطهارة حسب الشريعة الإسلامية لا تتم بالورق أو الحجر بعد أن يقضى الإنسان حاجته، بل يجب عليه

الاستنجاء بالماء فجرى الحديث عن هذا الموضوع بينى وبينها فشرحت لها مبادئ الطهارة والغسل حسب الشريعة الإسلامية ».

"رافقت صديقًا إنجليزيًا إلى بلده خلال الإجازات الصيفية حين كنت طالبًا بجامعة (كيمبردج) وكان يسكن فى مدينة نائية فى (اسكتلندا) وبعد عدة أيام من وصولى هناك علمت أن إرساليا مسيحيا قد عاد من (الهند) ويريد أن يلقى محاضرة فى مدرية القرية ويحدث عن مدى انتشار المسيحية وسيرها فى الهند فذهبنا أنا ومضيفى لنستمع إلى محاضراته، وكان عدد كبير من النساء والرجال قد حضروا للاستماع إليه فأخبرنا المبشر المسيحى بأن عدد سكان الهند الآن ثلاثمائة مليون نسمة؛ ولكن لا يجوز أن نسميهم بشرًا؛ إن هؤلاء الناس بتقاليدهم وخصائصهم ومدنيتهم يعيشون على مستوى أقل من من الإنسان وفوق الحيوان قليلاً، وقد بذلنا جهودًا لسنوات فثقفنا هؤلاء البشر الذين يشابهون الحيوان إلا أن العمل كبير ومهم؛ فالرجاء منكم أن تقدموا التبرعات لإرساليتنا حتى نتمكن من النجاح فى عملنا العظيم بالذى قد بدأناه من أجل النوع البشرى وصلاحه. ثم أخذ المبشر المسيحى يعرض الصور للهنود على الشاشة التى كانت معلقة على مصباح سحرى وكانت هذه الصور تمثل الشعوب والقبائل تمثيلاً كريهًا للغاية والتى تسكن فى غابات (اريسه) من قبائل (بهيل، جوند ، دراوار) وعند ما انتهت محاضرته وأستأذنت رئيس الحفلة لأقول شيئًا، فأذن لى بكل سرور فألقيت كلمة مثيرة استمرت خمسًا وعشرين دقيقة فقلت وأنا أخاطب الحاضرين: إننى هدنى أصيل، وأن هذه الأرض هى مسقط رأسى . فعليكم أن تنظروا إلىّ فأنا أحدث بلغتكم بالطلاقة نفسها التى تحدث بها حضرة المبشر المسيحى، وزعم أنه جاء بعجائب الحقائق والمعارف، وقد تلقيت العلم وأنا فى (الهند) وقد جئت للدراسات العليا إلى جامعة (كيمبردج) وأنتم تستطيعون أن تقدروا ما قاله حضرة المبشر عن (الهند) وأهلها، وذلك بالنظر

إلى وجهى وإلى ملابسى وبالاستماع إلى حديثى الواقع أن (الهند) بلد متمدن مثقف فى العالم الشرقى، ذلك البلد الذى حمل راية العلم والمدنية لمدة قرون، ورغم أننا قد استعبدتنا (إنجلترا) استعبادا سياسيًا إلا أننا أصحاب أدب ومدنية وتقاليد شعبية لا تقل مجدا ومنزلة عن تقاليد الشعوب الأوربية، وأن حضرة المبشر إنما آراد أن يثير عواطفكم وأن يفرغ جيوبكم بعرض هذه الصورة الكريهة للهنود؛ وعندما انتهت كلمتى كان جو الاجتماع قد تغير ووافقنى الناس فى رأيى وخرج حضرة المبشر خالى اليد بائسا للغاية » .

وإلى جانب نظم الشعر كان (إقبال) قد أعد مقالاً كان يشتمل على أسئلة وأجوبتها عن الحركة الوطنية فى (الهند) وهو طالب بجامعة (كيمبردج)، وأرسل هذا المقال إلى رئيس التحرير لمجلة "زمانه" الشهرية الصادرة من مدينة (كانبور)، وقد نشر المقال فى عدد المجلة لشهر أبريل سنة ١٩٠٦م وكتب (إقبال) فى مقاله هذا: [١٣] .

«إن الحصول على الحقوق السياسية يقصر على وحدة الأهداف لمواطنى بلد من البلاد ، فإذا لم تكن بينهم وحدة الأهداف فلا يمكن أن تنشأ فيهم الفكرة القومية ، وإذا لم تقم وحدة بين أفراد أمة أو شعب فإن نظام النواميس الإلهية سوف تقضى عليهم قضاء ويجعلهم كأن لم يكونوا شيئًا مذكوراً.

إن النواميس الإلهية لا تهتم بفرد أو مجموعة من الأفراد إلا أن الأمر الذى يحزننا كثيراً هو أن الناس لا يزالون ينادون بالوحدة ولكنهم لا يتخذون خطوات عملية إيجابية فى حياتهم ما يدل على وحدتهم ومشاعرهم الداخلية ؛ إننا لا نحتاج إلى قول بالله أرجوكم أن تحاولوا اتخاذ الخطوات الإيجابية العملية ، وأن الغرض من الدين إنما هو الصلح والوحدة بين البشر لا الحرب والعداوة بينهم . إن هذه الحركة الوطنية إذا نجحت فى إيجاد وحدة الأهداف والأغراض بين الهنادكة والمسلمين وأخذت هذه الوحدة تتدعم شيئًا فشيئًا فهذا هو غرضنا، وسنشكر

الله – سبحانه – على ذلك وبذلك تكون (الهند) سعيدة الحظ، وسوف يرى العالم أن اسم بلادى قد أصبح غرة على جبين الشعوب فى العالم كله » .

والظروف تدل على أن (إقبالا) كان قد بقى فى (كيمبردج) إلى يونية ١٩٠٧م، واستمر فى بحثه وأعماله الدراسية، وكان يختلف إلى (لندن) فى أثناء ذلك إما للمشاركة فى المآدب العشائية لخان (لنكن) أو من أجل امتحانات القسم الأول للمحاماة، وكان ينزل عند (السير عبدالقادر) أو فى مكان قريب من منزله كلما زار مدينة (لندن) [١٤] وفى خلال زيارته هذه لمدينة (لندن) التقى بالسيدة (عطية فيضى) عند الآنسة (بيك) فى أول أبريل ١٩٠٧م؛ والآنسة (بيك) هذه هى أخت السيد (بيك) العميد المعروف لكلية (عليكرة) الإسلامية . وكانت تشرف على شئون الطلاب الهنود فى (لندن) وكانت تتعامل معهم كأم شقيقة حنون، واكتشفت السيدة (عطية فيضى) أن (إقبالا) يعرف باللغة السنسكرتية إلى جانب الفارسية والعربية، وكان متوقد الذهن وكان يعرف كيف يستغل الجانب الضعيف للآخرين أو يقول الجمل الفكاهية المناسبة، ورغم أنه كان صاحب بالقلب الذكى والذهن المتوقد فإن جملة هذه الفكاهية كانت تمتاز (بالسخرية) ولاحظت السيدة (عطية فيضى) خلال الحديث إن (إقبالا) كان معجبا بالشاعر (الشيرازى) إعجابا كثيراً؛ حيث قال لها إنه إذا غلب عليه (حافظ الشيرازى) فى شعره وفكره كأن روحه قد حلت فى نفسه، وصار هو (حافظ الشيرازى) نفسه، وكان (إقبال) قد وجه الدعوة إلى السيدة (عطية فيضى) بالنيابة عن السيد (بلجرامى) وزوجته لتزورهما فى (كيمبردج)، وتم الاتفاق على أن تزورهما فى ٢٢ من أبريل من تلك السنة. [١٥]

وبعد أيام دعا (إقبال) السيدة (عطية فيضى) إلى مأدبة عشاء فى مطعم (فراسكاتى)، ونظرت السيدة (عطية فيضى) إلى الأطعمة المختارة والازهار الجميلة فاستحسنتها ووصفتها فى عدد من الجمل فرد عليها (إقبال) قائلاً بأن له شخصية ذات جانبين؛ فهو فى باطنه فيلسوف متصوف يعيش فى دنيا الخيال، وأما فى ظاهره فهو رجل عملى يعرف التعامل مع الناس، وبعد أيام كانت السيدة (عطية فيضى) أقامت حفلة للشاى فى منزلها تكريما (لإقبال) حيث عرفته بمن كانت متعارفة بهم. وقد اشتركت فى هذه الحفلة الآنسة (سلوستر) والآنسة (ليفى) من طالبات الأدب والفلسفة، كما حضر فى الحفلة الملحنون من أمثال (ميندل) و (متنزترات) اللذان قاما بعرض فنى

بالمناسبة، وارتجل (إقبال) أبياتا شعرية فكاهية مما جعل الحفلة مناسبة المتعة والسرور وأردات السيدة (عطية فيضى) أن تسجل تلك الآبيات الشعرية، ولكن (إقبالا) منعها قائلاً إن الأبيات الشعرية كانت خاصة بالحفلة ولا داعى إلى تسجيلها أو ضبطها (١٦).

وأقام (إقبال) فى (لندن) لإسبوعين، ثم عاد إلى (كيمبردج) ثم جاء إلى (لندن) ليرافق السيدة (عطية فيضى) خلال سفرها إلى (كيمبردج)، فسافر (إقبالا) و(السير عبد القادر) والسيدة (عطية فيضى) من (لندن) إلى (كيمبردج) فى ٢٢ من إبريل وجرى الحديث العلمى والفكاهى طول الشعر فوصلوا إلى منزل البلجرامى فى الثانية عشرة تقريبا. فعرف (إقبال) السيدة (عطية فيضى) بالسيد (البلجرامى) وزوجته، واستمر الطلاب يزورنهم طول النهار وكان يبدو (إقبال) متعبا ساكتا، ولكنه كان ينطق بجملة سريعة كلما عبث به أى واحد حتى لا يجد الرد على جملته وعادت السيدة (عطية فيضى) إلى (لندن) فى الليلة نفسها .

وكان الدكتور (أرنولد) قد رتب جولة النزهة على ضفة (كيم) فى (كيمبردج) فى أول يونية ١٩٠٧م ووجهت الدعوة إلى السيد (عطية فيضى) أن تشترك فى تلك الجولة فوصلت السيدة (عطية فيضى) إلى (كيمبردج)، وقد اشترك فى هذه الجولة العديد من أهل العلم بما فيهم (إقبال)، وجرى النقاش عن مشكلة الحياة والممات فأخذ كل منهم يبدى إن رأيه غير (إقبال)، الذى ظل ساكتا طول الوقت، وحينما أنهى الجميع حديثهم وآرائهم قال الأستاذ (أرنولد) وهو يخاطب (إقبالا): لماذا أنت ساكت؟ ولماذا لم تبد فى رأيك فى الموضوع ؟ فرد (إقبال) وهو يبتسم ابتسامته الخاصة المليئة بالدعابة والسخرية قائلاً: «إن الحياة هى بداية الموت والموت هو بداية الحياة وبذلك انتهى النقاش» (١٧).

ولعل (السير عبدالقادر) قد زار (إقبالا) لآخر مرة فى (كيمبردج) خلال هذه الأيام ودعاهم بعض الأصدقاء إلى حفلة الشاى ثم خرج جميعهم إلى النهر "كيم" متنزهين وكانت السيدة تحمل "الكاميرا" فأرادت أن تصور الجماعة، وبينما هم يتهيئون للتصوير فإذا بالشمس تغيب وراء السحب فأخذوا ينتظرون ظهورها من وراء السحب فارتجل (إقبال) ذهين المصراعين وهو ينظر إلى الشمس وهى تغيب وتختفى : (١٨)

ذات وجه القمر تريد أن تصورنا على شاطئ نهر

إلا أننا يجب أن ننتظر حتى تطل علينا الشمس

وتبدأ الإجازات الصيفية فى جامعة (كيمبردج) فى الأسبوع الأخير من شهر يونية وبذلك تنتهى السنة التعليمية للجامعة . ويرى مؤلف الكتاب أن (إقبالاً) كان قد أعد أطروحته فى شهر يونية ١٩٠٧م أى فى خلال سنتين إلا ربعًا تقريبا ثم بعث بها إلى جامعة (ميونيخ)، ولم يعد (إقبال) فى حاجة إلى المزيد من الإقامة بميدنة (كيمبردج) فتحول إلى (لندن) .

وكان (السير عبد القادر قد عاد إلى بلاده فى ١٩٠٧، وليس لدينا ما يؤكد لنا عن المكان الذى نزل به (إقبال) فى (لندن) قبل أن يسافر إلى "هايدلبرج" ألمانيا) وقد جاء فى بعض ما كتب أن (إقبالا) كان ينزل عند الأستاذ (أرنولد) فى مدينة "يم بلدن"، ولكن السيدة (عطية فيضى) تصرح بأنه كان نازلاً عند ربة بين المانية واسمها الأنسة (شولى) وكان (إقبال) يعد الأطعمة الشعبية بيديه، كما أنه كان قد علم الآنسة (شولى) كيف تعدها إذا وارادت إعدادها، أقام (إقبال) شهراً تقريبًا فى (لندن)، وأغلب الظن أنه سافر إلى "هايدلبرج" فى الأسبوع الثالث من يولية .

وكان الأستاذ (أرنولد) قد دعا السيدة (عطية فيضى) و(إقبالاً) خلال إقامته فى (لندن) إلى مأدبة عشاء فى ١٦ من يونيو ١٩٠٧م وقال الأستاذ (أرنولد) خلال الحديث أنه يريد أن يرسل (إقبالاً) إلى (ألمانيا) حيث اكتشفت مخطوطات عربية نادرة تستحق القراءة و (إقبال) يصلح لذلك فوافق (إقبال) على ذلك، فوصل (إقبال) إلى منزل السيدة (عطية فيضى) فى المساء القادم ومعه كتب عربية والمانية، وظل يقرأ لها من تلك الكتب لمدة ثلاث ساعات وترى السيدة (عطية فيضى) أن (إقبالاً) كان يبدو متأثرا بفلاسفة (ألمانيا) وأنشداها من الشعر الفارسى ومعظمه كان (لحافظ الشيرازى) .

واجتمع المجلس فى ٢٣ من يونية عند السـيدة (عطية فيضى) مرة أخرى، حيث غنى الدكتور (الأنصارى) بأغنية وعزف الدفوف الآنسة (كمولة) و (رموله) ابنتا اللورد (سنها) . أما (إقبال) فارتجل بيتا شعريا فكاهيا عن كل مشارك فى الحفلة وتمتع بها الجميع وأخذ (إقبال) السيدة (عطية فيضى) إلى مقره فى ٢٧ من يونية حيث كانت ربة بيته الآنسة (شولى) قد أعدت الأطعمة الشعبية الشهية وعلقت السيدة (عطية) أن الأطعمة قد أعدت حسب التعليمات من (إقبال) وأنه هو نفسه يعرف إعداد الاطعمة الهندية كلها . وفى هذا المساء نفسه قرأ (إقبال) شيئًا من أطروحته على السيدة (عطية فيضى) ليأخذ رأيها فى ذلك، ثم أخذت السيدة (عطية فيضى) (إقبالا) معها فذهبت به

إلى (الحفلة السنوية بالمعهد الملكى) ؛حيث كان يوجد أعضاء الأسرة الملكية ، وتبرم (إقبال) من تلك الحفلة ذات التكلفة والقيود، فأخذ ينطق بجمل مليئة بالدعاية والسخرية كالمعتاد . وتصرح السيدة (عطية فيضى) أن الناس جميعًا فى (لندن) كانوا يعرفون بأن (إقبالاً) هو أرهف الطلاب الهنود وأحدهم طبعا وذكاء (١٩) ولم يكن (إقبال) يؤمن بالإكثار من الأصدقاء ، ولم يكن يختلط بالأجانب كثيراً كما أنه كان يجتنب من المشى والتجول أو الذهاب إلى الخارج ويحدثنا (السير عبد القادر) قائلاً [٢٠]:

« خصلتان من طبع (إقبال) كانتا قد أخذتا تبرزان بروزا متدرجًا وهو فى (لندن) أحداهما عدم الاختلاط بالأجانب ، وإلى ذلك أشار (إقبال) فى بعض أبياته الشعرية ولم يكن يكثر من اتخاذ الأصدقاء. أما الخصلة الثانية فهو الكسل فى التنقل والتجول حتى أنه كان يعطى الموعد للذهاب إلى مكان ما ثم يقول إنه لا يستطيع الذهاب؛ لأنه لايود أن يلبس الملابس ويخرج » .

وقد حضر (إقبال) والسيدة (عطية فيضى) فى حفلة عشاء فى ٢٩ من يونيو أقامتها السيدة (قرينة ايليت) فى بيتها ثم دخلت الآنسة – سروجنى – التى أصبحت فيما بعد (سروجنى نائيد) وشاعرة الهند المعروفة وزعيمتها السياسية وقد لبست ملابس براقة لامعة وتزينت بالحلى الغالية ؛ وقد تجملت فوق العادة أكثر من اللازم فأعرضت عن الجميع ومشت حتى وصلت إلى (إقبال) فقالت وهى تخاطبه" : ما جئت إلا لأراك" فرد عليها (إقبال) مرتجلاً"، إن هذا لهجوم مفاجىء وسوف أعبتر من العجائب إذا نجوت سالما من هذه الغرفة ؟" وظلت السيدة (عطية فيضى) تزور (إقبالاً) بعد كل يومين أو ثلاثة أيام قبل أن يسافر إلى "هايدلبرج" وأراها (إقبال) مقاله عن تاريخ العالم باللغة الألمانية فى أثناء ذلك ويبدو أن (إقبال) كان قد أخذ يستعد لدراسة اللغة الالمانية وهو لا يزال (بكيمبردج) وتحدثنا السيدة (عطية فيضى) بأن (إقبالاً) كان قد أخذ يميل إلى فلسفة (ألمانيا) وشعرها إلى جانب رغبته فى التاريخ [١٢] وسافر (إقبال) إلى (هايدلبرج) فى الأسبوع الثالث من شهر يولية ١٩٠٧ ولعله دخل (ألمانيا) من (دووار) إلى (كيلى) أو من طريق (بالون) فى مناطق (فرنسا) الشمالية الشرقية . وكان يريد أن يتعلم اللغة الألمانية بعد وصوله إلى (هايدلبرج) ليتمكن من الامتحان الشفوى عن أطروحته للدكتوراه باللغة الألمانية فى جامعة (ميونيخ) .

(هايدلبرج) مدينة جامعية صغيرة يخترقها من الوسط نهر (نيكر) وتحيط بها الجبال ذات البوادى والغابات وعلى قمم بعض الجبال منها توجد حصون ألمانية قديمة وتعرف هذه المدينة بمتنزهاتها وحدائقها المثمرة وبساتينها ذات الأزهار تسوده الصمت من كل جانب، ولا يثير الشغب فيها إلا صوت ماء النهر الجارى ومبنى الجامعة أيضا يقع على جبل، وتوجد متنزهات على ضفتى النهر إلى مسافة بعيدة، كما أنه توجد المقاهى الجميلة على ضفة النهر فى المدينة، وعند دور الإقامة للجامعة وأقام (إقبال) فى (هايدلدج) أربعة أشهر تقريبا إلى نوفمبر سنة ١٩٠٧م، وظل يدرس اللغة الألمانية وآدابها بالجامعة فى أثناء ذلك. وكانت مدرستان وهما السيدة (فزاولين وى جى ناست) و (فراولين سى نى شل) من بين من قام بتعليم (إقبال) بالجامعة تسكنان فى دار الإقامة على مقربة من النهر (نيكر) حيث كان يسكن أكثر من مائة طالب وأستاذ وكانت تدير دار الإقامة هذه أستاذة فى السبعين من عمرها واسمها الأستاذة (فراو هيلين) وكان الطلاب يتحملون تكاليف الجامعة ودار الإقامة إلا أن الأساتذة لم يكونوا يدفعون شيئًا من نفقات الإقامة، والأكل وإنما كانوا يسكنون مجانا ويتمتعون بالمزيد من التسهيلات، وكانت المواعيد الدراسية تمتد من الصباح إلى المساء وكان الأساتذة والطلاب يختلطون بعضهم ببعض فكانوا يتمشون معا فى أوقات القرا غ ويغنون معا ويجدفون فى النهر ويتجاذبون ألوان الحديث فى المقاهى، وقد قضى (إقبال) أحلى لحظات حياته بمدينة (هايدلبرج) حيث كان بها مسرورا جدا ولا يتعبه شيء ويشارك فى كل عمل مثل الأطفال يرغب فى كل شىء، ويهتم به وكان يعتبر طالبا ذكيا للغاية بين أقرانه إلا أنه لم يكن له من الممكن أن يواظب المواعيد المحددة، ومن ثَمَّ كان الآخرون ينتظرونه دائمًا وكانوا يحبونه كثيراً رغم معرفتهم بخصائله هذه وكان (إقبال) يختلف بين حين وآن إلى مدينة (ميونيخ) خلال إقامته فى (هايدلبرج)، وكانت المسافة قليلة (ميونيخ) مدينة كبيرة نسبياً ويعرف بكنائسها ومتاحفها ومكتباتها، وكان (إقبال) على صلة بجامعة (ميونيخ) حيث كان قد قدم أطروحته بها وكان لا بد له من أن يذهب إليها لامتحان الدكتوراه الشفوى . وكان يستفيد من الأستاذ (ران) وابنته السيدة (فراولينران) فى (ميونيخ) فى موضوع اللغة الألمانية وآدابها والفلسفة الألمانية ولعل (إقبالاً) كان قد درس المخطوطات العربية النادرة الموجودة بمدينة (ميونيخ) كما أخبره بها الأستاذ (آرنولد) إلا أنه ليس لدينا ما يؤكد لنا شيئًا [٢٢] من ذلك . وبعد أن نزل (إقبال) فى (هايدلبرج) وجه الدعوة إلى السيدة (عطية فيضى) أن تزوره وتأتى ببعض

الكتب معها فوصلت السيدة (عطية فيضى) مع خمسة أو ستة من زملائها فى السفر فى الساعة الخامسة مساء فى ٢٠ من أغسطس ١٩٠٧م إلى مدينة (هايدلبرج) واستقبلهم (إقبال) مع أصدقائه على المحطة فعرفهم بالسيدة (فراولين وى جى ناست) و (فراولين سى نى شل)، فذهبوا بهم إلى مقرهم فى موكب ثم شرب الجميع القهوة فى مقهى حديقة الجامعة وظلوا يتجاذبون ألوان الحديث ويتمتعون بذلك إلى آخر الليل، ولاحظت السيدة (عطية فيضى) أن (إقبالاً) كان مسروراً جدا، وقد غاب عنه أسلوب السخرية فى الحديث الذى كان يمتاز به فى (لندن) ولاحظت أن طبعة قد امتاز بشىء جديد من البساطة والحلم.

وفى اليوم الثانى اجتمعوا فى مقهى على ضفة النهر بعد نهاية المحاضرات وأخذوا يناقشون فلسفة (اليونان) و (فرنسا) و (ألمانيا) وكانت السيدة (فراولين وى جى ناست) و (فراولين سى نى شل) تعرفان اللغات الثلاثة . وكان (إقبال) منهمكا فى حديثهما أو أنه كان مستغرقا فى خياله حتى أنه شعر كأنه استيقظ من النوم عندما حان وقت الذهاب، وتحدثنا السيدة (عطية فيضى) بأن (إقبالا) كان سليط متبرما للغاية وهو فى (لندن). أما هناك فقد كان بالعكس؛ فقد كان يبدى التواضع والانكسار بين حين وآخر، وشاركهم الطلاب الآخرون فى ذلك بعد قليل وصعد الجميع على (ألف درج) حتى وصلوا إلى قمة الجبل (برشلوس) وهم يغنون الأغانى الألمانية معا. وشاركهم (إقبال) فى هذه الأغانى دون أى لحن أو صوت جميل .

واتفقوا فى اليوم الثالث على أن يخرجوا متنزهين إلى (نائين هائين) فاستعدوا مبكرين، واجتمعوا ليتمكنوا من ركوب القطار ولكنهم لم يجدوا (إقبالاً) بينهم وكان موعد القطار على وشك النهاية؛ وهم ينتظرون (إقبالاً) وفى أثناء ذلك جاءت خادمة وهى تصيح قائلة "لا أعرف ماذا حدث للاستاذ (إقبال)" فسارع الجميع إلى غرفته فى شىء من الدهشة والحيرة فرأوا المصباح مضيئًا فى الغرفة و (إقبال) جالس أمام كتب مفتوحة على لمكتب ، وقد غاب عن نفسه وعن الدنيا وما فيها وهو يحدق فى الخلاء بصمت وذهول، وكانت (فراو هيرن) مضطربة جدا فاستشارت السيدة (عطية فيضى) فى القضية فنادت السيدة (عطية فيضى) (إقبال) باسمه إلا أنه لم يرد عليها بشىء فتقدمت إليه وهزته وهى تقول له باللغة الأردية : بالله قم يا (إقبال) إنك فى مدينة ألمانية بسيطة ولست فى (الهند) حيث يرضى الناس بمثل هذه الاشياء بكل سهولة، وكان (إقبال) قد أخذ يستفيق ويعود إلى نفسه شيئًا فشيئًا، فقال إنه لم يزل يقرأ بعض

الكتب إلى آخر الليل حتى أحس فى أثناء ذلك بأن شعوره قد انفصل عن جسمه، وكان مضطربا بسبب هيام الشعور بأنه دون الجسم، إلا أنك أيقظتنى، ثم تحرك الجميع حتى وصلوا إلى (نائين هاتين) بعدالسفر بالقطار لمدة ساعة ونصف وقطعوا الطريق الجبلى صاعدين فيه ثلاثة أميال، وأخذت (فراولين وى جى ناست) تغنى أغنية هندية كانت قد تعلمتها من السيدة (عطية فيضى) مامعناه:

أيتها البائعة لأسوار الأزهار ماهذا التدلل

وشاركها الآخرون فى أغنيتها هذه وأخذوا يقطفون الأزهار البرية وهم يمشون فى طريقهم فصنعوا من الأزهار تيجانا ولبسوها على رءوسهم حتى وصلوا إلى قمة جبل حيث اختاروا مقاماً لنزولهم، وفجأة بدأ الجميع يخلعون زهورهم ويضعونها على رأس (إقبال) ويقولون له "قد توجناك تتويجا وجعلناك ملكا لمملكة تقع فى دنيا غير معلومة! ".

وفى اليوم الرابع ركب الجميع القطار الكهربائى فوصلوا إلى (كونج اشتال) فوق قمة جبل فأخذ (إقبال) يقول الأبيات الشعرية الفكاهية فى كل واحد منهم مما لم يفهمه الألمان فسألوا (إقبالاً) عن معانيها، فقال لهم : إننى أمركم فى لغة الكون أن تضعوا حلقة سحرية وأن انشدوا لنا أنشودة الملائكة، فامتثل الجميع بأمره هذا فأخذوا يغنون أنشودة من مسرحية ألمانية ويمثلونها تمثيلاً ثم أخذوا يمشون حتى وصلوا إلى مكان اسمه (كهلوف) والذى كان على ثلاثة أميال ، حيث قضوا بعض الوقت فى حدائق (كهلوف) ، ثم أخذوا يعودون وقد أمسك كل واحد منهم يد الآخر فى ثلاثة صفوف وبدءوا يمشون حتى وصلوا إلى (هايدلبرج) متعبين مكدودين متأخرين فى المساء.

وفى اليوم الخامس ركبوا قطارا واتجهوا نحو الشمال حتى وصلوا بعد ساعة إلى مكان يقع فيه بستان تاريخى حيث بنى معبد لكل ديانة إلى جانب التماثيل اليونانية والشلالات وبرك المياه والأشجار المثمرة والطيور المتنوعة ، وفى اليوم السادس خرجوا ضاحكين مسرورين مرحين وركبوا القطار حتى وصلوا إلى قمة جبل ليتفرجوا على الرقصات الشعبية للألمان القرويين. وكانت توجد آثار القلعة القديمة فى حديقة على تلك القمة فقضوا النهار كله وهم يتمتعون برقصات القرويين اللابسين الملابس الملونة المتنوعة .

وفى اليوم السابع رافقت السيدة (عطية فيضى) (إقبالاً) إلى (ميونيخ) حيث قضيا يومين فأخذها (إقبال) معه وزار الكنيسة والمتحف والقصور والحدائق، وصالات العرض للفنون

الجميلة والمكتبات، وكان (إقبال) معجبا بمدينة (ميونيخ) فكان يسميها (جزيرة الأفراح) وذهبا إلى بيت الأستاذ (ران) عند المساء واكلوا العشاء معا فغنت لهم السيدة (فراولين ران) بعض القطعات الكلاسيكية من الموسيقى الألمانية على أبياتة وأخبرت (فراولين ران) السيدة (عطية فيضى) بأن (إقبالاً) تعلم اللغة الألمانية فى مدة قليلة هى ثلاث أشهر، ولا يمكن لأحد أن يتعلم هذه اللغة بهذه السرعة وأخيراً وصلا إلى (هايدلبرج) .

وكان ٣٠ من أغسطس مختصا لسباق التجديف فى النهر ، وعندما وصل الطلاب إلى غرفة (إقبال) وجدوه محاطا بالكتب فقالت (فراولين وى جى ناست) إن اليوم مختص بسباق الزوارق ولابد لك أن تخرج، وحاول أن يعتذر ويتخلف إلا أن الجميع أخذوه وهم يجرونه ، فشاركهم (إقبال) فى سباق الزوارق إلا أن زورقه كان آخر الزوارق وصولا إلى الهدف .

وأما الأيام العديدة المقبلة فإنهم قد قضوها إما متجولين متنزهين بين الأماكن الموجودة حول (هايدلبرج) ، منها (شلوس نيكر بائن شتائن) المعروف و (جبال آئر باخ) أو مقتطفين التفاح من الحدائق أو جامعين الأزهار منها أو مشاركين فى الرقصات الشعبية أو آكلين فى المطاعم المفتوحة أو زائرين متاحف التاريخ الطبيعى والسلاح. أما (إقبال) فلم يكن مقلعا عن الفكاهة والتلاعب بالألفاظ ، وذات ليلة نظر (إقبال) إلى فتاة على مأدبة عشاء فى دار الإقامة فارتجل (إقبال) هذا البيت الشعرى أمام السيدة (عطية فيضى) فأنشده لها فاندفع فى الضحك :

على خديها شعرات ذهبية

فلا بد من المواسى الذهبية لحلقها

وكان ٤ من سبتمبر ١٩٠٧م محددا لعودة السيدة (عطية فيضى) مع زملائها إلى (لندن)، وفى صباح ذلك اليوم جاء كل منهم وقد أعد أطعمة خاصة ودخلوا حديقة الأثمار واسمها (ايش بيئر هوف) . وأما (إقبال) فكان قد أعد الأطعمة الهندية بنفسه فجلس جميعهم فى الحديقة وأكلوا تلك الأطعمة اللذيذة المتنوعة ، وعندما حان وقت التوديع للسيدة (عطية فيضى) وقف جميعهم مصطفين لها ووقفت السيدة (عطية فيضى) أمامهم فأخذوا يغنون مجمتعين هذه المنظومة التوديعية التى كانت قد أعدت باللغة الألمانية تحت إشراف (إقبال) الخاص وهذه ترجمتها [٢٣]:

وأخيرا ، قد حان لجوهرة (الهند) المضيئة للغاية

قد حان لنا أن نودعها توديعا .

تلك النجمة التى لم تزل تتلألأ وترقص بجانبنا .

والتى كانت تضىء المجامع البعيدة منها والقريبة .

تلك النجمة التى كانت تستعرض راية الصلح والأمن .

والتى كانت تمنح السكينة والطمأنينة للأرواح المضطربة فى كل مكان

إننا قد جئنا وقد تحلينا بآهة حزينة كبيرة .

تلك الآهة التى تصل قريبا وبعيدا وإلى كل مكان مرتفع .

نعم أنت التى خاطبناها فى أبياتنا الشعرية هذه .

اذهبى ودعواتنا وبركاتنا تصاحبك حيث تذهبين .

أن أطيب آمالنا وأعطر أشواقنا تصاحبك فى كل مكان .

عندما تعبرين الأنهار والبحيرات والبحار .

عودى بكل توفيق ومجد وعظمة وشأن .

إن العدد الضخم من اصدقائك لا يزالون فى انتظارك .

فإلى مثل ذلك الوقت نقول لك .

فى أمان الله ... والودا ع .

وأما تحديد التاريخ لامتحان (إقبال) الشفوى عن أطروحته بجامعة (ميونيخ) فلا نستطيع أن نجزم القول فى ذلك ؛ فقد كان الأستاذ (ف هومل) من بين لجنة المتحنين وقد منحت لـه شهادة الدكتوراه مـن جامـعة (ميـونـخ) فى ٤ من نوفـمبر ١٩٠٧ م ،

وعليه فإن الامتحان يجب أن يكون قد سبقه وقد يمكن أن يكون ذلك فى نهاية شهر سبتمبر أو في شهر أكتوبر وقد نشرت أطروحة (إقبال) للدكتوراة باللغة الإنجليزية وعنوانها (تطور فلسفة ما وراء الطبيعة فى إيران) فى ١٩٠٨ م ، فى (لندن) . وكتب الإهداء باسم الأستاذ (آرنولد) وعاد (إقبال) إلى (لندن) فى نوفمبر ١٩٠٧م ، وأخذ يستعد لامتحان المحاماة النهائى وأقام فى (لندن) حتى شهر يولية ١٩٠٨م ، ومن الممكن أن يكون (إقبال) قد دخل الامتحان النهائى للمحاماة فى مايو ١٩٠٨م ، وظهرت النتيجة فى أول يولية ثم عاد إقبال إلى وطنه .

وكان (إقبال) قد بدأ يلقى سلسلة من المحاضرات عن الإسلام ومدنيته وكان من بين موضوعات المحاضرات التصرف الإسلامى وأثر المسلمين فى المدينة الغربية والديمقراطية فى الإسلام ، والإسلام والعقل الإنسانى وغير ذلك . ويبدو من رسالة (إقبال) إلى الخواجا (حسن نظامى) والتى كتبها (إقبال) فى ١٠من فبراير ١٩٠٨م ، [٢٤] أنه كان قد فرغ من محاضرة هذه السلسلة فى ذلك الوقت وأنه كان يلقى محاضرة ثانية عن التصوف الإسلامى فى الأسبوع الثالث من شهر فبراير . وأما تواريخ هذه المحاضرات والأماكن التى ألقيت فيها فليس من السهل الوصول إلى جواب صحيح فى ذلك ، وأغلب الظن أن محاضرة واحدة منها كانت قد ألقيت فى (قاعة كتكستن) .[٢٥]

ويتضح مما كتبه (إقبال) أنه كان قد عين أستاذًا للغة العربية مؤقتا لعدة أشهر فى جامعة (لندن) ولعل التعيين فى هذه الوظيفة كان فى خلال المدة التى قضاها (إقبال) فى (لندن) والتى ذهب الأستاذ (آرنولد) خلالها فى إجازة ستة أشهر فحل (إقبال) محله كأستاذ وقام بالواجبات التدريسية مكانه .[٢٦]

وامتدت إقامة (إقبال) فى (لندن) تسعة أشهر تقريبا . وقد شارك فى النشاطات الاجتماعية للطلاب المسلمين خلال تلك المدة ، ويصرح (الميرزا جلال الدين) بأن (إقبال) قد أنشأ جمعية شبه سياسية باسم (جمعية الوحدة الإسلامية) خلال إقامته فى (لندن) وكان أمينها العام السير (عبد الله السهروردى) وكان السير

(سلطان أحمد) و (الميرزا جلال الدين) امينين مشاركين للجمعية وعندما وصل (إقبال) إلى (إنجلترا) كانت هذه الجمعية قد انشئت فيحدثنا (السير عبد القادر) بأنه هو و(إقبال) كانا يحضران فى المجالس العلمية احيانا كلما جاء (إقبال) من (كيمبردج) إلى (لندن)[٢٨] ويصرح (عبد الله أنور بيك) بأن الأستاذ (حافظ محمود شيرانى) كان قد أنشأ جمعية إسلامية تهتم بالقضايا الاجتماعية للطلاب المسلمين الواردين الجدد (بلندن) فأصر بعض الطلاب المسلمين على أن تسمى هذه الجمعية جمعية الوحدة الإسلامية إلا أن البعض الآخر قد عارض ذلك وقال بأن هذه التسمية سوف تعطيها صبغة سياسية وكان السير (عبد الله السهروردى) يؤيد تسميتها بالوحدة الإسلامية إلا أن (سيد مير على) والأستاذ (أرنولد) اراد أن تسمى الجمعية جمعية إسلامية فقط (إسلامك سوسائتى) وأخيرا أيد (إقبال) القائلين بتسميتها جمعية الوحدة الأسلامية وبهذه الاسم عرفت الجمعية[٢٩] والواقع أن المسلمين كانوا يسمون حركة الوحدة للدول الإسلامية بالوحدة الإسلامية دائما إلا أن السياسيين والصحف فى (أوربا) سموها (بين إسلام ازم) وذلك لإيقاظ الرأى العام وتنظيمه ضد هذه الحركة وعليه فكيف يمكن (لإقبال) أو الطلاب المسلمين أن يؤيدوا مصطلح (بين إسلام ازم) أو الوحدة الإسلامية على كل حال فإن الجمعيات الطلابية من هذا النوع فى (إنجلترا) يتم انشاؤها لجميع الطلاب وهذه الجمعيات إما تحتفل بالمناسبات الدينية أو توجه الدعوة إلى شخصيات معروفة لإلقاء المحاضرات ولعل (إقبالا) قد اشترك فى إجراءات هذه الجمعية خلال إقامته فى (لندن) ليتمكن من الالتقاء بالطلاب المسلمين .

وفى ١٩٠٥م تم تغيير نائب الملك فى (الهند) فحل اللورد (منتو) محل اللورد (كرزن) كما أن الحزب الليبرالى استلم السلطة فى (إنجلترا) وبذلك ظهر الامكان للمزيد من الحقوق الدستورية بواسطة الكونجرس (الهندى) وبما كان الهنادكة يطالبون بالإصلاحات الدستورية الجديدة بصفة مستمرة . وقد أدلى بالتصريحات كل من اللورد (منتو) و (جان مولى) وكيل الدولة للشئون (الهندية) عن هذا الموضوع وهذه الأوضاع أقلقت انصار السير سيد مثل (محسن الملك) و (وقار الملك) ؛ وذلك لأنه لو طبق مبدأ الانتخابات فى (الهند) فمعنى ذلك أن الأغلبية الهندوكية

سوف تسيطر على المسلمين ومن ثَّم كان موقف القادة المسلمين السياسى دفاعيا بالنسبة إلى موقف الأغلبية (الهند) وكية وكان القادة المسلمين يعتقدون بأن الاحتفاظ بحقوق الاقلية المسلمة لا يمكن إلا إذا طبق مبدأ الانتخاب على أساس النيابة المنفصلة لكل من الهنادكة والمسلمين . وبهذا الصدد كون القادة المسلمون وفدا سياسيا كان يقوده (أغا خان) فى أول أكتوبر ١٩٠٦م فالتقى هذا الوفد الإسلامى مع اللورد (منتو) فى مدينة (شملة) فأكد لهم اللورد (منتو) أنه سوف يرعى حقوق المسلمين فى ضوء ما طلبوه وكان نجاح هذا الوفد قد مهد طريقا لإنشاء منظمة سياسية للمسلمين فاجتمع القادة المسلمون فى ديسمير ١٩٠٦م بمدينة (دكا) حيث أنشئت الرابطة الإسلامية (للهند) وترأسها (أغا خان) وعين (وقار الملك) أمينا عاما للرابطة و(محسن الملك) أمينا مشاركا لها . وكانت الإصلاحات الدستورية التى اعدها (موإلى) و(منتو) قد طبقت فى (الهند) على أساس مرسوم المجالس الهندية والذى صدر فى ١٩٠٩م ، والذى اعترف بما طالبه المسلمون من الانتخابات على أساس النيابة المنفصلة ، وتم الاعتراف بذلك دستوريا .

وافتتحت اللجنة البريطانية للرابطة الإسلامية الهندية فى (لندن) فى مايو ١٩٠٨م حين عقد اجتماع المسلمين المقيمين فى قاعة (كيكستن) والذى ترأسه (سيد مير على) فانتخب (سيد مير على) رئيسا للجنة كما انتخب (إقبال) عضوا للمجلس التنفيذى واللجنة الصغيرة التى كونت لوضع القواعد والمبادئ فيها (سيد مير على) والرائد (سيد حسن بلجرامى) و(إقبال) كأعضاء لها .[٣٠]

وكان (إقبال) قد اعتاد خلال إقامته فى (لندن) كلما سافر من مقره إلى المدينة أن يسافر بالقطار وعن ثقل هذه الأسفار يحدثنا (إقبال) قائلا :[٣١]

> **كنت اسافر بالقطار عند المساء كل يوم إلى مسكنى وأنا طالب فى (إنجلترا) وكان هذا القطار ينتهى فى محطة وكان المسافرون يتحولون إلى رصيف آخر من حيث يركبون القطار الآخر وكلما وصل القطار إلى المحطة نادى كمسارى القطار بصوت عال (آل شينج) أى يجب على الجميع أن يغيروا القطار ،**

وذات يوم كنت جالسا فى القطار كالمعتاد فإذا بالمسافرين ، من قراء الجرائد أخذوا يتحدثون عن الديانة البوذية ، فأشار أحدهم إلى وهو يقول لعل هذا الرجل من (آسيا) يجب أن نسأله عن الديانة البوذية فسألونى عنها فقلت لهم أرد عليكم حالا ثم سكت بعد الكلام فسألونى مرة أخرى بعد لحظات ، فقلت لهم ارد عليكم حالا فقالوا لى لعلك تفكر فى الرد فقلت لهم : نعم ، وفى أثناء ذلك وصلنا إلى المحطة وأخذ كمسارى القطار ينادى : الجميع يغير القطار فقلت لهم : هذه هى الديانة البوذية » .

وأما تكاليف (إقبال) خلال إقامته للدراسة فى (أوربا) فكان يتحمل معظمها شقيقة (الشيخ عطا محمد) وكانت حالته الاقتصادية قد تحسنت خلال الأشهر الستة التى قضاها كأستاذ العربية فى جامعة (لندن) ، أما قبل الحصول على هذه الوظيفة فكان يطلب النقود من شقيقه وعن ذلك يحدثنا (إقبال) قائلا .[٣٢]

"عند ما ذهب إلى (إنجلترا) كانت عندى نقودا ادخرتها إلا أن معظم النفقات أعطاها لى شقيقى كما أنه كان يرسل إلىَّ النقود بين حين وآخر خلال إقامتى (بإنجلترا) وعندما نجحت فى امتحان بكالوريوس من جامعة (كيمبردج) كتب إلى شقيقى قائلا بأنى أكمل دراسات الحقوق وأعود إلى بلادى إلا أننى كنت أريد الحصول على درجة الدكتوراه من (ألمانيا) فأرسل إلى النقود التى كنت طلبتها منه وخلال تلك الأيام كان شقيقى جالسًا بين أصدقائه المخلصين ذات يوم فسأله رجل : سمعنا أن (إقبالاً) قد حصل على شهادة أخرى فرد عليه شقيقى : نعم ، ماذا أقول لك إنه لا يزال يحصل على شهادة بعد أخرى ولا نعرف متى تدر عليه هذه الشهادات بشىء ينفعنا » .

وفى هذا الطور من حياته حدثت تغييرات عديدة فى شعر (إقبال) أولا أنه أدرك أنه لا يمكن أن نغير الشعر التقليدى حتى نتمكن من التعبير به عن الأفكار الشرقية حسب الضرورة أو نجعله يحقق اهدافنا - ونظرا إلى هذا الرأى اعتزم (إقبال) على أن يعرض عن نظم الشعر وأغلب الظن أنه كان قد ذكر ذلك لصديقه (السير عبد القادر) فى ١٩٠٦م فحاول (السير عبد القادر) أن يقنعه قائلا بأن شعره يتضمن تأثيرا قد يمكن أن يكون علاجا للأمراض التى يعانى منها شعبة المتخلف الشقى فلا يجوز إضاعة الكفاءة والموهبة المفيدة من هذا النوع واتفق أخيرا على الأخذ برأى الأستاذ (آرنولد) فوافق (آرنولد) ما رآه (السير عبد القادر) وقرروا على أنه لا يجوز (لإقبال) أن يعرض عن نظم الشعر .[٣٣]

أما التغيير الثانى على حد تصريح (السير عبد القادر) فهو تغير بدأ من نقطة صغيرة بدائية حتى وصل إلى هدف عظيم وعن ذلك يحدثنا (السير عبد القادر) .[٣٤]

« الحدث الصغير الذى بدأ به (إقبال) ينظم الشعر باللغة الفارسية هو أنه كان معزوما عند صديق من أصدقاءه فطالبوا منه أن ينشد لهم شعرًا فارسيا وسألوه هل ينظم الشعر هو بالفارسية ايضا فكان لابد له من الاعتراف بأنه لم يحاول أن يقول الشعر باللغة الفارسية أكثر من بيت أو بيتين إلا أن هذه اللحظة كانت لحظة حاسمة وهذه المطالبة من أصدقائه أصبحت حافزا لنظم الشعر بالفارسية فعاد من مأدبة الطعام فاستلقى على مضجعه ولعله قضى بقية الليل وهو يقول الشعر بالفارسية حتى أنه قابلنى بعد أن استيقظ فى الصباح الباكر فأرانى قصيدتين غزليتين بالفارسية ثم أنشدنيها على لسانه ، فهاتان القصيدتان الغزليتان أكدتا له عن موهبته ومقدرته على نظم الشعر بالفارسية ولم يسبق له أن يختبر كفاءته فى هذا المجال وبعد ذلك - وخاصة بعد عودته من (إنجلترا) - تحول طبعه إلى نظم الشعر بالفارسية وإن كان ينظم الشعر بالاردية بين حين وآخر» .

وبحكم إلمامه بالآداب الإنجليزية كان (إقبال) قد تأثر بالشعراء الإنجليز مثل (ملتون) و (ردز ورث) و (شيلى) و (بائرون) و (براونينج) و (ماثيو ارنولد) و (تينسون) و (ايرسون) و (كرى) و (لانج فالو) إلى جانب الشاعر الكبير (شكسبير) . ومن الممكن أن يكون (إقبال) قد ألم ببعض القطاعات من الآداب الفرنسية[٣٥] ولكنه بحكم رغبته فى اللغة الألمانية درس الآداب الألمانية وقرأ منها شيئا كثيرا خلال إقامته فى (هايدلبرج) وكان يميل (إقبال) إلى الآداب الألمانية لسبب آخر وهو أن الحركة الشرقية فى الأدب الألمانى كان أكثر تأثيرا وروعة من الآداب الأوربية الآخرى . وكانت الحركة الشرقية قد بدأت بمجموعة مختارة الفها (هيردر) وسماها الأزهار المختارة من شعر الشعراء الشرقيين ، وكانت هذه المجموعة تشتمل على شعر (حافظ) و (سعدى) و (رومى) و (بهارترى) إلى جانب الحكايات المترجمة من (اوبنشيد) و (بجوت جيتا) ثم اهتم (جوته) بهذه الحركة اهتماما بالغا ، وكان قد تأثر بالآداب الفارسية والعربية والسنسكريتية . فإن كتابه الغربى الخاص (فاوست) يحمل طابعا خاصا لمنظومة (شكنتلا) للشاعر (كالى داس) وخاصة فى بداية الكتاب . وكانت دراسة (جوته) لديوان ((حافظ)) حافزا وراء تأليف (الديوان الشرقى الغربى) وكان قد تأثر إلى جانب "(حافظ)" بالشاعر (رومى) و (سعدى) و (فريد الدين عطار) و (فردوسى) كما أنه تأثر بالبيئة النبوية الشريفة وتعاليم القرآن الكريم ، وقد أكثر من التشبيهات والاستعارات الفارسية فى ديوانه هذا مما أنشأ الجو الشرقى فى شعره ، وقد تدعمت الحركة الشرقية فى الأدب الألمانى بنشر الديوان الشرقى الغربى ، ثم تلاه (روكرت) و (بلوتون) و (بودن اشتيت) و (شولر) و (هائى سينى) فنهضوا بها إلى درجة الكمال حتى أن النظم على أسلوب (حافظ) اصبح حركة مستقلة فى الأدب الألمانى وهكذا دخلت الروح الشرقية فى الأدب الألمانى[٣٦] وكان (إقبال) قد تأثر بالشعراء الألمان جميعا إلا أن تأثير (جوته) كان أكثر عمقا و دواما .

وفى خلال هذا الطور من حياته كان (إقبال) قد نظم أربعا وعشرين منظومة وسبع قصائد غزالية والتى يضمها الجزء الثانى من ديوأنه (صوت الجرس) أما المنظومات فإن منها ما نظمها (إقبال) وهو فى (كيمبردج) أو (هايدلبرج) فهى تصف المشاهد الطبيعية وصفا جميلا ومنها منظومة (الحسن والعشق) و (العشق الغادر) وهما منظومتان تصوران الحب أو العشق المجازى عند (إقبال) وكان قد نظمها الشاعر بعد أن تأثر بالجمال النسوى أو فى البيئة الأوربية الخاصة حيث يعتقد الشاعر بأن غدره احسن من وفاء الأوربيين أما المشاعر الوطنية فقد كانت توجد فى البيئة الأوربية ايضا - إلا أن شعور الأمة الإسلامية أو الاخوة الإسلامية فى كنفها كان قد اخذ يتطور ويزداد شيئا فشيئا فى احاسيس الشاعر وعواطفه أما الفلسفة والتصوف فإن فكرة وحدة الوجود لم تزل تسيطر على ذهن (إقبال) رغم أن قلبه لم يكن راضيا مطمئنا بهذه الفكرة الصوفية وأن الثلاثة من بين هذه المنظومات إنما تعبر عن رسالة خاصة إلى بعض الأفراد أو الفئات فمثلا منها رسالة إلى طلاب عليكرة وكذلك رسالة الحب و (رسالة) منظومتان من هذا القبيل وهذا مما يوضح جليا أن (إقبالاً) كان قد اخذ يشعر شيئا فشيئا بأن الشعر الهادف يجب أن يكون جزءاً من النبوة[٣٧] أن قصيدة غزلية ومنظومة جديرتان باهتمامنا الخاص بهذه المناسبة أما القصيدة الغزلية فقد قالها الشاعر فى مارس ١٩٠٧م[٣٨] وهى مليئة بالتكهنات والتنبؤات عن الشرق والغرب .

أما المنظومة فعنوأنها (إلى عبد القادر) وهذه المنظومة إنما هى دعوة إلى شعر ثورى من أجل التغيير الثورى فى الأفكار والمشاعر القومية وأما منظومة (صقلية) فقد نظمها (إقبال) خلال رحلته بالبحر عائدا إلى الوطن وذلك حين مرت سفينته عند جزيرة (صقلية) .

أما الثورة الكبرى التى حدثت فى ذهن (إقبال) وفكرة خلال إقامته فى (أوربا) فهو تبرمه من الفلسفة والتصوف وكراهته للقومية وعودته واتجاهه إلى التعاليم الإسلامية قلبا وروحا وفكرا . أما كيف ومتى نشأت وتطورت هذه الثورة الفكرية عند (إقبال) فإن الرد على هذا السؤال بتحديد المراحل المختلفة تاريخيًا أمر غير ممكن ،

إلا أنه توجد بعض الإشارات فى شعر (إقبال) أو فيما كتبه من رسائل أو ما كتبه من أصدقاءه عنه ، رغم أن ما كتبه أصدقاؤه والذين تعرفوا إليه وهو فى (إنجلترا) لا يدل على شىء ولا يقودنا إلى نتيجة . فهذا هو الأستاذ (ميك تيجرت) يصرح بأن (إقبالاً) كان يقول بوحدة الوجود خلال إقامته فى (كيمبردج) . أما السيدة (عطية فيضى) فإنها لاحظت فى (لندن) بأن (إقبالاً) كان معجبا بالشاعر (حافظ الشيرازى) . وأما (السير عبد القادر) فهو يشير إشارة إجمالية إلى أن (إقبالاً) عند ما أتيح له أن يرى عيوب المجتمع الغربى من قريب فإنه أخذ يبغض ويكره حب المال وضيق الصدر الذى تمتاز به المدنية الغربية[٣٩] وكان يريد (إقبال) أن يسجل المراحل المختلفة التى مر بها قلبه وذهنه وقد صرح بذلك فى أكثر من موضع فى رسائله فهو يحدث (السيد سليمان الندوى) فى رسالته إليه والتى كتبها فى ١٠ أكتوبر ١٩١٩ م ، : أننى أود أن أحكى وأسجل المراحل التى مررت بها قلبا وفكرة وأن هذه القصة لا بد منها لأنها تسلط أضواء على شعرى[٤٠] ، وفى رسالة بعث بها إلى (عشرى رحمانى) فى ٢٧ من أكتوبر ١٩١٩ م ، يقول فيها : أما حياتى فليس فيها شىء غير عادى يفيد الآخرين أو يعتبرون به . أما التغيير الثورى التدريجى الذى حدث فى فكرى فقد يكون موضع الاعتبار لهم فإذا أتيحت لى الفرصة فإننى أعتزم تسجيل ذلك وقيده وأن هذه الفكرة لا تزال فى فهرس العزائم حتى الآن[٤١] ، وقد أخبر (ممتاز حسن) فى لقاء معه بأنه خلال إقامته فى (كيمبردج) كان يدرس الاقتصاد ويستمع إلى المحاضرات فى هذا الموضوع إلى جانب الفلسفة ودراستها . وذلك لكى لا يميل ذهنه إلى جانب متطرف ويمر طبعه مستقيما متوازنا على طريق الاعتبار[٤٢] ، وفى رسالة كتبها فى ٧ من سبتمبر ١٩٢١ م ، ويعث بها إلى (وحيد أحمد) رئيس التحرير لمجلة « نقيب » الصادر فى بدايون[٤٣] .

« أن أعدى أعداء الإسلام والمسلمين فى الوقت الحاضر أنما هو التعصب للعرقى وفكرة القومية ، وقد مضى خمس عشرة (أولا كتب ثلاث عشرة ثم شطبها وجعلها خمس عشرة) سنة حين شعرت بذلك لأول مرة حين كنت فى (أوربا) وهذا هو الشعور الذى أحدث ثورة كبيرة فى فكرى ومخيلتى . الواقع أن البيئة

الأوربية هى التى جعلتنى مسلما حقيقيا وتلك هى قصة طويلة .
فإذا أتيح لى فإننى سوف أقيد المشوار الذى مر به قلبى وفكرى .
وأنا على ثقة ويقين بأن ذلك سوف يفيد الكثيرين من الناس ومنذ اليوم الذى شعرت بذلك لا تزال هذه الفكرة هى هدفى وطموحى فى كل ما كتبته أو قلته بعد ذلك . ولست أعرف هل أثر فى نفوس الناس ما كتبته أو قلته ، ولكن الأمر الذى لا شك فيه أن هذه هى الفكرة التى أثرت فى حياتى تأثيرات مدهشا » .

أما التأثر بالمدنية الغربية فإن ذلك لم يكن يوجد فى (إقبال) أطلاقا قبل سفره إلى (أوربا) أو بعد ذلك وإنما كان يملك ذهنا ثاقبا ونظرا باحثا نفاذا ومن ثًم لم توجد فيه شائبة من التقليد الغربى الأعمى فى أى وقت من الأوقات .

لا شك أنه كان قد تفرج على جمال (أوربا) الظاهرى ، ولكنه مع ذلك تعمق فى باطنها بعقل واع ونظر صائب ، وكان قد شاهد العلوم العقلية الحديثة والتكنولوجيا وتأثيرها المعجز فى البيئة الأوربية ، ولكنه مع ذلك شاهد أيضا أن العلم والفن عند الأوربيين ليس وراء ذلك غرض إلا المادية ، ومعنى ذلك أن العقل البشرى يتدرب ويتطور فى (أوربا) أما القلب فيبقى عطشان محرومًا وأن العقلية الأوربية تقوم على المادية وهدفها الوحيد هو الأنتفاع والتمتع ، إلا أن هذه العقليات الأوربية قد حرمت مشاعر العشق والحب الحقيقى التى تربى وتقوى فكرة الكرامة البشرية والصداقة الإنسانية فى الأرواح والنفوس الإنسانية الفكرية ، والتى تضمن تطور الحياة تطورا صحيحا سليما ، وعليه فإن بصيرة (إقبال) الشرقية كانت قد أدركت بأن المدنية الغربية فى باطنها فساد ودمار وأن هذا الطور البراق إنما هو ظاهرة مؤقتة .

وكذلك فإن الصراع القائم بين الكنيسة والدولة فى (أوربا) والذى أنهزمت فيه الكنيسة وخسرت فى القرن الثامن عشر الميلادى أصبحت الديانة قضية فردية فى الحياة ، ولم يعد الهدف الروحى المشترك أساسا للتنظيم القومى ، وكذلك فإن تطور العلوم الفلسفية والعلوم الحديثة والتكنولوجيا كان من الأسباب التى أحدث المنافسة

العداء بين الشعوب فأخذت تنافس بعضها البعض للفوائد المادية وجمع الأموال واستغلال الضعيف من أجل السيطرة والتغلب ، ولم يكن أحد يود أن يتخلف فى هذه المسابقة وكانت النتيجة أن معظم الدول فى (آسيا) و (أفريقيا) وأمريكا اللاتينية كان قد أستعبدها الإنجليز أو الفرنسيون أو الروس والهولنديون والأسبان فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى حتى أن دولة صغيرة مثل بلجيكا أحتلت دولة أكبر منها أضعافا مضاعفة مثل الكونغو وعليه فإن المشاعر الوطنية والتقدم العلمى كان سببا فى تنشيط هذه الشعوب الأوربية وتقويتها مما جعلها تنهب الضعفاء وتسلب أموالهم وتسيطر عليهم وتستعبدهم .

وكانت (روسيا) فى عهد (قيصر بتر الأول) فى سنة ١٧٢٥ قد أخذت تتغرب أو تتبع الأساليب الغربية فى الحياة ، وفى القرن التاسع عشر فى عهد (قيصر إسكندر الثانى) أجتاحت (روسيا) الدول الإسلامية فى (آسيا) الوسطى . وسيطرت عليها وضمتها إلى الإمبراطورية الروسية ثم تركزت أنظار الحكام الروس على بلاد الأتراك العثمانيين فى (أوربا) الشرقية فأخذوا يشجعون حركة الاتحاد القومى السلافى وأخذوا يؤيدونها وبذلك أرادوا أن يشجعوا الصراع بين (صربيا) وبين (النمسا) و (المجر) ؛ وذلك لأن الاضطرابات فى هذه المنطقة كانت تمهد الطريق للجيوش الروسية لاحتلال مضيق (دانيال) من ناحية ، وأما من ناحية أخرى فإن الحكام الروس كانوا قد أخذوا يحرضون ويثيرون الأمم والشعوب المختلفة فى الدول البلقانية للعصيان على الأتراك العثمانيين وقد كانت النتيجة أن الأتراك العثمانيين قد طردوا من معظم المناطق فى (أوربا) الشرقية فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى .

وعند رحلة (إقبال) إلى (إنجلترا) فى ١٩٠٥ م ، كان الحكام الروس قد أنهزموا فى الحرب التى قامت بين (اليابان) و(روسيا) وكان الغرض من هذه الحرب إنما هى السيطرة على المناطق الشمالية الشرقية الساحلية فى (آسيا) و (كوريا) و (البحار الشمالية) ، وكانت هذه هى الحرب الأولى اشتركت فيها دولة آسيوية وحاربت قوة غربية بأحدث أنواع السلاح ، وكانت (اليابان) قد أخذت تستخدم الأساليب الغربية

من أجل المسابقة مع الدول الغربية فى مجال الصناعة والتكنولوجيا فتقدم اليابانيون فى مجال التجارة خلال بضع سنوات وكانت قوتهم قد بلغت إلى حد أنهم استطاعوا أن يهزموا الصين وينتزعوا منها جزيرة (فورموزا) وبعض المناطق الآخرى فى ١٨٩٥م وفى هذا العصر كان الاستعمار الروسى يتطلع إلى الشرق الأقصى ايضا فقد احتل قيصر (روسيا) (إسكندر الثانى) المناطق الشمالية الغربية (للصين) وتصف الجزيرة اليابانية (سكهالن) وفى النهاية تشابك الاستعماران الروسى واليابانى فدمر اليابانيون الأسطول البحرى الروسى فى الشرق الاقصى وهزموا الروسيين فى كل جبهة من الجبهات وذهب الجنود الروس ضحية لهذه الحرب بعدد لا يمكن احصاؤه واستطاعات (اليابان) استعادة مناطقها المحتلة إلى جانب السيطرة على بعض المناطق الشرقية للمملكة الروسية .

وكانت (إيطاليا) و (ألمانيا) فى (أوربا) قد تخلفتا فى المسابقة الاستعمارية وذلك لأن الشعوب الإيطالية والألمانية كانت مبعثرة منقسمة إلى دويلات صغيرة فكانت (فرنسا) و (بريطانيا) والأمم المتحدة الأخرى فى (أوربا) تحاول من أجل الاحتفاظ بمصالحها أن تقف فى طريق توحيد الشعوب الإيطالية والألمانية حتى تستمر فى شيء من التفرق والتشتت بصفة مستقلة لكى لا تتمكن من السيطرة على الشعوب المغلوبة على أمرها فى (أسيا) و (أفريقيا) أو من المشاركة فى استغلالها أو المطالبة بنصيبها فى هذه المهمات التتجارية الاستغلالية .

على كل حال فإن الشعب الإيطالى قد تمت وحدته على يد (مازينى) ، و(مازينى) هذا كان محاميا من أهل (جنيف) فأنشا جمعية ثورية سرية باسم (الإيطالية الشابة) فى ١٨٣١م ، وكانت تهدف هذه الجمعية إلى توحيد الشعب الإيطالى ؛ وذلك بانضمام الدول الصغيرة الإيطالية على أساس الدستور المشترك . وقد بدأت حركة الوحدة القومية فى (إيطاليا) فى ١٨٤٨م وقد أسس (مازينى) جمهورية (روما) بمساعدة (سافى) و (مين لى) فى ١٨٤٩م إلا أن هذه المحاولة لم تكن ناجحة وأكره (مازينى) على مغادرة (روما) ثم بدأت التظاهرات الناجحة من أجل الوحدة القومية فى المدن الكبرى فى (إيطاليا) تحت تعليمان (مازينى) وفى هذه المرحلة جاء (جاريبالدى) يقدم يد المساعدة إلى (مازينى) وكان شمال (إيطاليا) تحت احتلال

النساء وشارك (جاريبالدى) فى ثورة الإيطاليين ضد النمساويين وحقق نجاحا فى عدد من المهمات وهو الذى منع الفرنسيين من دخول (روما) وهو الذى احتل (صقلية) وفتح (نيبلز) وأخيرا حقق الاتحاد القومى الإيطالى بجهود (مازينى) و (جاريبالدى) فى نهاية القرن التاسع عشر تحت قيادة الملك (فكتور إيمنول الثانى) ومنذ تلك اللحظة أخذت (إيطاليا) تشارك فى لعبة الاستعمار وسباقه فاحتلت (اريتيريا) و (الصومال) فى إفريقيا الشرقية .

وأما توحيد الشعب الألمانى ووحدة (ألمانيا) فيرجع فضل ذلك إلى (بسمارك) فقد كانت أربعون دولة صغيرة للألمان فى حدود (ألمانيا) الجغرافية وكانت مشاعر الوحدة توجد فى نفوس السكان لهذه الدويلات الصغيرة إلا أن هذه الوحدة لم تكن تتخذ صورة إيجابية والنتيجة التى استنبطها (بسمارك) هو أن توحيد الشعوب الألمانية لا يمكن تحقيقه إلا بالقوة والسلاح فيعينه ملك (بروسيا) (وليام) رئيسا لوزارائه ، ومنذ تلك اللحظة اشتغل (بسمارك) ينظم الجيوش البروسية وكان يعتزم أن ينتزع قيادة الإمارات الألمانية الجنوبية من يد (النمسا) بالقوة العسكرية ثم يوحد (ألمانيا) تحت قيادة (بروسيا) ومن أجل (النمسا) ومن ثُم اعلنت (النمسا) حربا ضد (بروسيا) إلا أن الانتصار المفاجئ لجيوش (بروسيا) فى هذه الحرب كان قد أصبح سببا لتوحيد الإمارات الألمانية تحت قيادة (بروسيا) . ولم يبق أمام (بسمارك) مشكلة غير انضمام الإمارات الألمانية الجنوبية إلى الاتحاد الألمانى ولم يكن ذلك من الممكن إلا إذا هجمت دولة أجنبية على (بروسيا) وكان (بسمارك) ينتظر هذه الفرصة المواتية وقد تحقق له ذلك فى ١٨٧٠م وكان المفروض أن يتولى (ليوبولد) عرش اسبانيا وكان (ليوبولد) هذا من أقارب وليام ملك (بروسيا) فطلب ملك (فرنسا) (لونيس نابليون الثالث) من الملك (وليام) أن لا يسمح (لليوبولد) أن يتمكن من السيطرة على أرض اسبانيا إلا أن الملك وليام رفض ذلك وأخبر (بسمارك) بما جرى بينه وبين السفير الفرنسى من الحديث فى هذا الموضوع . واراد (بسمارك) أن يستغل الوضع فنشر هذا الحديث فى الجرائد بأسلوب جعل الألمان يشعرون بأن فى ذلك إهانة لملكهم كما أن الفرنسيين جعلوا يشعرون بأن فيه اهانة لسفيرهم وكانت النتيجة كما كان

يتمناها (بسمارك) ؛ حيث أعلنت (فرنسا) حربا ضد (بروسيا) وذلك ما جعل الإمارات الألمانية الجنوبية تقوم بتأييد (بروسيا) ومساعدتها وذلك طبقا للاتفاقية التى كانت قد تحققت فيما سبق وأنهزمت (فرنسا) فى هذه الحرب أنهزاما كاسحا .

وفى ١٨٧١م تم انضمام الإمارات الألمانية الجنوبية كلها إلى الإمارات الشمالية التى كانت تقودها (بروسيا) ماعدا (النمسا) وتم تتويج الملك (وليام) حاكما على المملكة الألمانية المتحدة وعرف بلقب قيصر الإمبراطور وخلال عشرين سنة أخرى غير (بسمارك) أوضاع (ألمانيا) المتحدة وتحول الشعب الفلاح إلى شعب صناعى قوى وتقدمت (ألمانيا) فى الفلسفة والعلوم والتكنولوجيا والصناعة والمهم والتجارة تقدما عظيما للغاية حتى نشأ شيء من الكبر القومي الخاص فى نفوس الشعب الألمانى واخذوا يعتقدون بأن المدنية الألمانية هى ارقى المدنيات وأعلاها فى العالم وأن شعوب العالم لا يعادى الألمان إلا بسبب الغيرة والحسد وفى ١٨٨٨م بدأ قيصر وليام الثانى يدعم أسس الاستعمار الألمانى ونجحت (ألمانيا) فى احتلالها لعدد من المناطق فى أفريقيا ثم أعد أسطولا بحريا تجاريا من أجل مواجهة الإنجلير فى المجال التجارى كما أعد جيشا المانيا لم يسبق له نظير فى تاريخ (أوربا) كلها .

وكان الاستعمار الروسى واستعمار الشعوب الأوربية قد أخذ يتطور ويتدعم يوما فيوما أما الاستعمار العثمانى التركى فكان قد أخذ يميل إلى الزوال والانحطاط وقد بدأت حركة التغرب أو تبنى أساليب الحياة الغربية فى (تركيا) العثمانية فى سنة ١٧٧٤م ثم اتخذت خطوات إيجابية ومحاولات إدارية لإصلاح النظم الإدارية وذلك بإنشاء المنظمات الإدارية فى عهد السلطان (سليم الثالث) والسلطان (محمود الثانى) وذلك بعد سنة ١٨٣٩م ، وقد كان من أمانى القادة المسلمين من أمثال (رشيد باشا) و (على باشا) و (مدحت باشا) أن تتحول (تركيا) العثمانية إلى دولة معاصرة حيث يتمتع كل مواطن بالحقوق المدنية على أسس المساواة وحيث يتم إقامة مملكة دستورية على المبادئ الديمقراطية إلا أن النزعة الدكتاتورية للسلاطين الأتراك وقفت فى سبيل ذلك فى كل مرحلة من المراحل وفى ١٨٧٦م أراد السلطان (عبد الحميد) أن يستغل

حركة الوحدة الإسلامية من أجل تحقيق أهدافه وأغراضه الشخصية ولكنه فشل فى ذلك وفى هذا العهد نفسه طرد الأتراك من معظم المناطق فى (أوربا) الشرقية وعرفت (تركيا) العثمانية بالإنسان الأوروبى المريض وقد مر الأتراك بعهد دكتاتورى جبار وأخيرا نجحت الثورة التى قادتها منظمة الأتراك الشبان فى ١٩٠٨م ، وفى ١٩٠٩م فى خلع السلطان (عبد الحميد) ثم أخذ الأتراك الشبان ينادون بوحدة العالم الإسلامى تحت قيادة أنور باشا وذلك لاكتساب التأييد من الدول الإسلامية الأخرى ولكن فى الواقع كانت المحاولات قد بدأت لإيجاد وحدة الشعوب التركية مثل وحدة الشعوب الألمانية وكان أنور باشا قد تأثر كثيرا (بألمانيا) ومن ثَّم حاول التقريب بين (ألمانيا) و(تركيا) العثمانية وقد كان (المغرب) جزءا من السلطنة العثمانية وكانت (فرنسا) تريد احتلاله إلا أن قيصر (وليام الثانى) طالب بالمحافظة على المصالح الألمانية فى (المغرب) كما أن (قيصر وليام الثانى) كان قد بدأ تطبيق المشروع الذى كان يهدف إلى الاتصال بين (برلين) و (بغداد) بالسكك الحديدية الألمانية .

وأما إيران فكانت قد بدأت حركة التغرب فيها فى عهد الملك (نصير الدين) قاجار فى ١٨٥٢م وأنشأ الإنجليز مصرفهم الأول فى إيران فى ١٨٨٩م وبعد مدة تولت (بلجيكا) جباية الضرائب الجمركية للدولة وبعد ذلك بمدة قليلة بدأت سيطرة بريطانيا والروس على البلاد تتزايد شيئا فشيئا وذلك لأن الملك كان يستدين منهم لقضاء حوائجه وتحقيق أغراضه ، وبدأت إيران ترزح تحت وطئة الديون لهذه القوى وكانت النتيجة لهذه الظروف أن نشأت حركة قومية فى إيران وأخذ الشعب الإيرانى يطالب بتطبيق الدستور وحين تولى العرض الملكى الملك مظفر الدين بعد اغتيال الملك (نصير الدين) فبدأ بذلك الصراع بين أنصار الملكية وبين الدستوريين . وقد أيدت (روسيا) انصار الملك فى هذا الصراع كما أن بريطانيا كانت تساند الدستوريين . ولم يكن الغرض من ذلك أن الإنجليز كانوا يرغبون فى تطبيق الدستور فى إيران وإنما كان ذلك لأن القوة المنافسة لهم أى (روسيا) كانت تؤيد أنصار الملكية . وأخيرا انتصر الدستوريون فى هذا الصراع مما اكره الملك مظفر الدين على تطبيق الدستور فى ١٩٠٦م وأنشئ المجلس الوطنى الايرانى وأنشا الإيرانيون مصرفهم القومى مما

جعل الإنجليز يوقعون الاتفاقية مع (روسيا) فى ١٩٠٧م وطبقا لهذه الاتفاقية قسمت إيران إلى قسمين نظرا إلى مناطق السيطرة والهيمنة فتم الاعتراف بسيطرة (روسيا) على القسم الشمالى واصبح القسم الجنوبى تحت السيطرة الإنجليزية وفى ١٩٠٨م ، الغى الملك (محمود على) الدستور الإيرانى بمساعدة الروس ، وبذلك بدأ الصراع بين انصار الملكية والدستوريين من جديد وأنتصر فيه الدستوريون مرة أخرى وسمى هذا النجاح بالانتصار الوطنى وفى ١٩١٩م خلع الملك (محمود على) .

وكانت القوة المتزايدة الألمانية فى (أوربا) قد أصبحت خطرا هائلا لكل من (فرنسا) و (بريطانيا) و(روسيا) ولذلك بدأت سلسلة الاتفاقات بين الشعوب الأوربية لتحقيق التعادل والتوازن للقوة فى (أوربا) ، وقد تم الاعتراف بالمكانة القومية لكل من (ألمانيا) و (إيطاليا) ولأول مرة فى تاريخ (أوربا) وكان الفرنسيون يبغضون الألمان كما أن الألمان كانوا يبغضون الفرنسيين بغضا شديدا للغاية وكذلك فإن الفرنسيين كانوا على جمر من القلق لينتقموا من الألمان لما كبدوهم من الهزيمة النكراء فيما مضى وكذلك فإن مملكة (النمسا) و (المجر) كانت تبغض (روسيا) كما أن (روسيا) كانت تبغضها وكان الإنجليز يعتبرون الألمان عدوا منافسا لهم فى الشؤون التجارية والصناعية وكانوا يحاولون تذليلهم واخفاقهم بأى طريق كان وأخيرا تمت الاتفاقية بين (ألمانيا) ومملكة (النمسا) و (المجر) من أجل التعادل والتوازن للقوة فى ناحية ومن ناحية أخرى تمت الاتفاقية الثلاثية بين كل من بريطانيا و (فرنسا) و (روسيا) ، وهكذا انقسمت القوى الاستعمارية الأوربية إلى كتلتين .

ولو أن (إقبال) كان قد كتب قصة المشوار الذى مر به قلبه وضميره – والذى أحدث التغيير التدريجى فى أفكاره – لكان من الممكن أن يكشف عن أحوال وظروف مهمة وذلك على أساس تجاربة الشخصية ومشاهداته الذاتية إلا أن دراسة هذا التغيير العظيم لا يمكن الا بالطرق الخارجية .

سافر (إقبال) إلى (أوربا) وهو يؤمن إيمانا قويا بالوطنية والقومية حتى أن سفينته حين مرت بشواطئ (إيطاليا) أنشد تعظيما لها ما معناه :

« أيها الحقول موطن (مازنى) نتمنى لك الازدهار ونبعث إليك تحية السلام من السفينة » .

ولكنه لم يمض سنة أو سنة ونصف على (إقبال) فى (إنجلترا) حتى بدأت الجوانب الرهيبة السوداء المعادية للبشرية التى تضمرها الوطنية الحديثة تظهر شيئا فشيئا وأخذ يشعر (إقبال) بأن صلة الإنسان بجنس أو لون أو لسان أو مولده فى منطقة من المناطق إنما هو شيء يحدث مصادفة ولا دخل لإرادة الإنسان فى ذلك والذى يحدث بالمصادفة لا يستحق أن يكون موضع فخر وكبرياء وكذلك حب الإنسان لجنس بشرى أو فئة خاصة أو قطعة أرضية خاصة لا أصل له ولا أساس اطلاقا . وكذلك فإن الإنسان أذا أخذ يبغض الاجناس البشرية الآخرى ويحتقرها ويقهرها ويسيطر عليها ويسلب حقوقها أو يستغلها لمصالحه فليس هناك ما يبرر ذلك دينيا وروحيا وخلقيا وكان (إقبال) يرى أن فكرة الوطنية أو القومية التى يتبناها الإنسان الغربى تعارض المبادئ الكونية من الكرامة البشرية وفى ١٩٠٧م رأى يعينى رأسه الشعوب الأوربية قد انقسمت إلى أحزاب وتكتلات وقد خرجت كل فئة وكتلة ضد الآخرى على أساس الصلاح العسكرى وكان (إقبال) يرى أن هذا التشاجر والتناحر إنما هو يشبه التشاجر والتناحر الذى يكون بين اللصوص المغيرين الذين لا يريدون إلا التوسع فى التجارة المستغلة أو الإغارة على الضعفاء ومن ثَم أخذ (إقبال) يبغض الاستعمار الغربى الإمبريالية بغضا شديدا كما أنه أخذ يبغض الوطنية والقومية ويحتقرها احتقارا شديدا وقد بلغ هذا البغض والتحقير من العمق حتى أن (إقبال) أخذ يندم على ما قاله من الشعر الوطنى والقومى فيما مضى حتى أنه كان يكثر من القول بأن شعره الذى قاله قبل سفره إلى (أوربا) إنما هو الشعر الجاهلى الذى قاله فى العصر الجاهلى .

على كل حال فإن رسالة (إقبال) التى كتبها فى السابع من سبتمبر ١٩٢١م وما قاله من قصيدة غزلية فى شهر مارس ١٩٠٧م يوضح لنا جليًا بأنه كان قد أخذ يعتبر بأن فكرة الفوارق العنصرية والوطنية والقومية من أعدى أعداء الإسلام والمسلمين ، وقد نشأ هذا الشعور عنده فى أخريات إقامته فى (كيمبردج) حين أعلنت

الاتفاقية الثلاثية وإن تلك القصيدة الغزلية ضد الفكرة الأوربية عن الوطنية والإمبريالية إنما كانت تعبيرا عن مشاعره كرد فعل لما شاهده واطلع عليه فقال ما معناه :

١ – يا أهل الغرب أن أرض الله ليست محلا تجاريا وإن الذهب الذى تظنونه جيدا سيصبح ذهبا مغشوشا .

٢ – إن مدنيتكم هذه سوف تنتحر بخنجرها الذاتى وإن الوكر الذى يكون فى غصن ضعيف لا يمكن أن يكون قويا ويدوم طويلا .

٣ – إن الذين يحبون الله هم ألوف مؤلفة يهيمون فى البوادى والغابات أننى سأتبع وأطيع الشخص الذى يحب عباد الله .

٤ – وأخيرا أنشد الجو الصامت فى الحجاز أنشودتها النائمة فاستمعت إليها الأذن الصاغية المنتظرة لذلك الصوت الحجازى . وذلك أن العهد الذى تم بين أهل البدو والصحارى وبين خلق الله سوف يتجدد تجددا قويا .

٥ – وإن ذلك الذى خرج من البادية فقضى على الإمبراطورية الرومية ولقد سمعت لسان الملأ إلا على أن ذلك الأسد البدوى سوف يستيقظ ويلعب بدوره .

٦ – أننى مرة أخرى سوف أخرج قائدا لتلك القافلة المتعبة فى ظلام الليل الحالك وإن آهتى المؤلمة الحزينة سوف تنشر الشرر فى الفضاء وتضيئها وإن النفاسى ستصبح شعلة نار لتضىء الطريق للقافلة الإسلامية .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذه المرحلة أن الأفكار المعارضة للإمبريالية والاستعمار والوطنية كانت توجد فى (أوربا) مثل العالمية والإنسانية والاشتراكية والتقدمية والشيوعية ، وكانت تنادى هذه الأفكار كلها بكرامة البشرية وكانت ترغب فى إيجاد دنيا جديدة على مبادئ الأخوة العالمية ، وكانت جمعيات سرية كثيرة

روسية جددت نشاطها ضد الإمبريالية والملكية فلماذا لم يلتفت (إقبال) إلى هذه الأفكار حين اراد أن يرفض الإمبريالية والاستعمار والوطنية والقومية وتعارضها ولماذا فضل الرجوع إلى المبادئ الإسلامية الأساسية ؟ والرد المجمل على هذا السؤال هو أن هذه الأفكار والنظريات كلها كانت نتيجة للفلسفة والعلوم العقلية الأوربية[٤٤] . وكانت هذه الأفكار والنظريات تقوم كلها على المادية . وكان قد اتضح عند (إقبال) أن الفلسفة الأوربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فلسفة واهية مجوفة قبل ذهابه إلى (أوربا) وهو طالب فى المعاهد العلمية بمدينة (لاهور) وكان قد عثر على الرد أو الحل لذلك فى التصرف الوجودى . أما الآن فكانت الفلسفية الأوربية والتصرف الوجودى كلاهما قد فقد اهميتهم ومكانتهما عند (إقبال) وكان (إقبال) قد تجاوز مرحلة العقل واخذ يتقدم نحو مرحلة الشوق والحب الآلهى وكان قد أخذ يستيقن بأن الفلسفة لا قيمة لها غير التمرين الذهنى الفارغ كما أنه كان قد أخذ يعتقد بأن التصرف الوجودى وتعاليمه إنما هو سكرافيرنى ولا شك أن (إقبال) كان قد حضر ليستمع إلى المحاضرات الخاصة عن الاقتصاد وهو فى (كيمبردج) و(لندن) وذلك لرغبته العميقة فى الاقتصاد ولكى يتمكن من معرفة الأفكار المدنية الأوربية المعاصرة وأنه قد تاثر بهذه المحاضرات الاقتصادية إلا أنه لم يكن من الممكن لأية نظرية اقتصادية أو مبدأ اقتصادى أن يضل (إقبالاً) عن طريق الحق .

ان كلمة القوم فى القرآن الكريم قد جاءت فى معنى الفئة أو القبيلة وبعبارة أخرى أن الفئة البشرية التى تتكون على أسس الجنس المشترك أو اللون أو اللسان أو المنطقة يمكن أن تسمى تلك الفئة البشرية قبيلة أو شعبا أو قوما طبقا للنظرية القرآنية . ويقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه المجيد " **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله اتقاكم** "[٤٥] . على كل حال فإن الإيمان بالشريعة الإسلامية لا يسميه القرآن الكريم قبيلة أو قوما أو شعبا وإنما يسمى المؤمنين بالشريعة الإسلامية أمة أو ملة وإلى ذلك يدعو القرآن الكريم ، فإن كلمة الأمة أو الملة تعنى جماعة من البشر الذين يربط بينهم الإيمان والعقيدة ارتباطا روحيا عميقا وثيقا وإن هذه الجماعة بإمكانها أن تستوعب القبائل والشعوب والأقوام وأن الوحدة البشرية على

مبادئ الإيمان فى الإسلام تقضى على الهنصرية واللونية والعصبية اللغوية كما أنها تقضى على الوطنية وتتحرر من هذه القيود كلها وأن السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام تحدثنا بأنه صلى الله عليه وسلم قد هاجر من مسقط رأسه أى مكة المكرمة احتفاظا بايمأنه وعقيدته وأخى بين المهاجرين والانصار على المبادئ الايمانية المشتركة بعد أن وصل إلى المدينة المنورة ومعنى ذلك أن الأمة الإسلامية أو الملة الإسلامية التى قامت وتأسست بالمدينة المنورة لا ترجع وحدتها إلى الوطن وأنما ترجع إلى مبدأ الإيمان والعقيدة المشتركة وبهذا يتضح أن الأمة الإسلامية ليس لها وطن بالذات وأن كل منطقة من أرض الله يقوم فيها المجتمع الإسلامى على مبادئ الإيمان والعقيدة المشتركة بين المسلمين فهو وطن الإسلام ولعل (إقبال) كان يفكر فى هذه الجوأنب من التعاليم الإسلامية حين قال فى قصيدة غزلية آخرى وهو فى (إنجلترا) ما معناه :

١ - إن وطننا يمتاز بين أوطان العالم كله لأن النبى العربى - صلى الله عليه وسلم - قد بناه على مبادئ ممتازة لأن حصن الملة الإسلامية لا يقوم على وحدة الوطن أو الأرض .

٢ - لا ذهاب ولا إياب ولا حياة ولا ممات وأن هذه الامتيازات والفوارق إنما هى خدعة وأن كل شيء منا وكل ظاهرة من الظواهر تتصل بنا الا أن وطننا ليس بين هذه الظواهر .

وكان (إقبال) قد لاحظ لأن قوى الاستعمارية من (روسيا) و (أوربا) تعتزم تمزيق الوطن الإسلامى وتفريقه من أجل أغراضها الدنيئة الخاصة لأنها بسياسة التمزيق والتفريق تستطيع احتلال البلاد الإسلامية كلها واحدا بعد الآخر وتتمكن من أن تسلب حقوق المسلمين وتستغل بلادهم ولاحظ (إقبال) كذلك بأن الحركات القومية فى (مصر) و (تركيا) و (إيران) و (افغانستان) والدول العربية الآخرى قد بدأت نشاطها ؛ وذلك كرد فعل أو تأثير مباشر تحت الفكرة القومية الأوربية حتى أن بعض هذه الدول قد بدأ فيها حركات قومية من أجل الحصول على استقلال قومى وأخذ هذا الصراع يشتد يوما فيوما وكان (إقبال) يرى أن الدين جاء ليصلح من حال البشر

ويقيم السلام بينهم كما أن الهدف النهائى للإسلام إنما هو إنشاء الوحدة البشرية على المبادئ الأخوية العالمية والكرامة البشرية وذلك بالقضاء على تعصب الجنسية واللون واللسان والمنطقية وكان (إقبال) يخشى أن الوطنية الأوربية إذا نشبت بين الامم الإسلامية فإن المسلمين لابد من أن يبغض بعضهم البعض كما هى حال الدول الغربية وشعوبها أو أنهم سوف يتقاتلون ويحارب بعضهم البعض ويسلبون حقوق بعضهم البعض أو يستغلون أخوأنهم وبذلك تنقرض الامم الإسلامية عن آخرها ومن ثَّم كان (إقبال) يرى أن بقاء العالم الإسلامى وقوته وحياة الامم الإسلامية إنما هو فى حاجة إلى التوحيد بين الامم الإسلامية على مبادئ الإيمان والعقيدة المشتركة أقام (مازينى) و (بسمارك) وحدة قومية وطنية فى (إيطاليا) و (ألمانيا) . أما (إقبال) فأخذ يفكر فى وحدة الأمم الإسلامية على أسس متينة من الإيمان والعقيدة الإسلامية .

وأن هذه الثورة التى حدثت فى ذهن (إقبال) وضميره فى ١٩٠٧م قد كان من نتائجها الحتمية البعيدة المدى أن يعرض عن توحيد الهنادكة والمسلمين على مبادى الوطنية أو القومية فى شبه القارة (الهندية) وتوجد شواهد فيما كتبه (إقبال) تدل ذلك دلالة واضحة وعاد (إقبال) إلى (لاهور) فى يولية ١٩٠٨م ، وبعد ثمانية أشهر منذ ذلك تسلم (إقبال) دعوة من قبل (منشى غلام قادر فرخ) فى (امرتسر) يدعوه أن يشارك فى الاجتماع السنوى لجمعية تضم الهنادكة والمسلمين والشيخ ، كان اسم الجمعية (مانروا لاج) فكتب إليه (إقبال) رسالة فى ٢٨من مارس ١٩٠٩م يقول له فيها :[٤٦]

« كنت أرى أنه لابد من القضاء على الخلافات المذهبية فى هذا البلد (الهند) ولم أزل أعمل بذلك فى حياتى الخاصة حتى الأن إلا أننى ارى الآن أن من صالح الهنادكة والمسلمين كليهما أن يبقى التشخيص القومى لكل واحد منها على وجه مستقل . إن فكرة القومية المشتركة (للهند) فكرة جميلة للغاية وتحمل جذبة شعرية فى داخلها إلا أن ذلك يبدو مستحيلا الآن ، وذلك نظرا إلى الظروف الراهنة والنزاعات القومية التلقائية للديانتين كلتيهما » .

وهذه الثورة الداخلية التى حدثت فى نفس (إقبال) وفكره وضميره خلال إقامته فى (أوربا) كانت لها النتائج بعيدة المدى وقد يمكن أن تكون هذه الثورة الداخلية هى التى جعلت (إقبال) يتحول إلى قول الشعر باللغة الفارسية ، فهذه هى المرحلة التى أكمل (إقبال) خلالها دراساته العليا كما أن عواطفه الشعرية تطورت فى مراحلها المختلفة حتى وصلت إلى مفترق حاسم ، حيث إمكن لها أن تثب وثبة عظيمة حتى تصبح جزءا من الرسالة والنبوة كما يقال .

وكان (إقبال) قد غادر (إنجلترا) نحو بلاده فى يولية ١٩٠٨م ، وليس من الممكن أن نحدد التاريخ بالضبط وحين وصلت سفينته عند جزيرة (الصقلية) وهو عائد من (أوربا) كان قلبه يتدفق بعواطف فريده أنه لم ينظر إلى (الصقلية) كأنها أرض (مازينى) وأنما اعتبرها ضريحا للمدينة الحجازية فنظر إليها واستعبر باكيا يقول ما معناه :

١ – أخبرينى يا (صقلية) قصة من تضرين فى آثارك التاريخية ؟
لأن الصمت الذى يسود شواطئك يحمل أسلوبا بلاغيا رائعا .

٢ – حدثينى عن آلامك فاننى حزين جريح مثلك أشعر بالآلام
لاننى أنا غبار القافلة التى كانت قد نزلت فيك .

٣ – ارينى صورة قديمة من الماضى واحكى لى قصة الأيام
السالفة وأثيرى عواطف القلق والاضطراب فى قلبى .

٤ – سوف أخذ منك هدية إلى (الهند) وسوف أتحف بها اهلها
أما هنا فابكى وحيدا ولكننى سوف أجعل غيرى من
المسلمين يبكون حين أعود إلى بلدى .

وقد وصل (إقبال) إلى دلهى فى ٢٥من يولية ١٩٠٨م من طريق (بومباى) حيث وجد أصدقاءه قد وصلوا إلى محطة القطار ليستقبلوه ، وفى اليوم التالى رافق أصدقاءه حيث زاروا ضريح (نظام الدين أولياء) ووقف بجانب الضريح فظل يدعو الله ويناجيه للحظات طويلة ، حتى أنهم قضوا النهار كله فى الضريح ، وكان (نيرنك)

و (مقبول أحمد نظامى من أصدقاءه قد اعدا منظومتين للترحيب به كما أنهم كانوا قد تمتعوا بأغنية (القوالين) وكان الخواجا (حسن نظامى) رئيس الحفلة ، وفى المساء ذهبوا إلى قبر الشاعر (غالب) وقرءوا الفاتحة عليه .

ووصل (إقبال) إلى (لاهور) بالقطار عند الظهيرة فى ٢٧من يولية ١٩٠٨م حيث استقبله أصدقاءه استقبالا حارا ومن هناك اتجهوا نحو حديقة البلدية خارج باب (بهاتى) حيث كان صديقه (شيخ جلاب دين) أقام حفلة تكريما له وقد حضر فى الحفلة مائة وخمسون من أصدقاء (إقبال) وألقى السير (محمد شفيع) كلمته تحدث فيها عن شخصية (إقبال) وشعره كما أن البعض من أصدقاءه الشعراء أنشدوا منظوماتهم ترحيبا به واستقبالا له ؛ فمنهم (الشيخ حامد حسن قادرى) و (الله يار جوجى) و (منشى غلام على خان غلامى) و (منشى نذر محمد) و (بدر الدين قيصرى) .

وبعد نهاية هذه الحفلة فى مساء نفس اليوم سافر (إقبال) بالقطار إلى (سيالكوت) حيث استقبل استقبالا حارا منقطع النظير فكان رصيف المحطة حافلا بالمستقبلين له والمرحبين به بما فيهم والد (إقبال) وشقيقه وأقاربه الآخرون وكان (شيخ اعجاز أحمد) بين المستقبلين وهو فى العاشرة من عمره وكان قد رافق والده يستقبل (إقبال) . والبس المستقبلون (إقبال) قلائد الأزهار الكثيرة حتى غطوا وجهه بين الزهور ، وخرج من المحطة بصعوبة بالغة حتى وصل إلى منزله حيث عانق أمه الحنون التى كانت فى انتظاره منذ ثلاث سنوات .

الهوامش

هوامش الفصل الأول

(١) راجع الجزء الثانى من "روزكار فقير" لفقير سيد وحيد الدين ص ١٢٠ لمشاهدة الصورة العكسية من الوثيقة .

(٢) "أنوار إقبال" اعداد بشير أحمد دار ص ٥١-٨٧ وإيضا قد صرح (السير عبد القادر) فى مقال له عن (إقبال) وترجمته والذى نشر فى مجلة " خدنك نظر " الصادرة من (لكنؤ) فى مايو ١٩٠٢م وقال إنه ينتمى إلى قبيلة " سيفرو" .

(٣) " تاريخ أقوام كشمير" الجزء الأول ص ٤٣-٤٤ ولدراسة الرسالة بكاملها يرجى الرجوع إلى " أنوار إقبال " ص ٧٥-٧٧

(٤) " تاريخ أقوام كشمير" الجزء الثانى ص ٤٤ ، وقد جرى البحث عن أسرة مسلمة من قبيلة " سبرو" حين أرادت أسرة إقبال أن تزوج ابنها أى ابن شقيق إقبال شيخ إعجاز أحمد إلا أن الأسرة فشلت فى ذلك .

(٥) أصل الرسالة يحتفظ به شيخ إعجاز أحمد . أما الصورة العكسية فيرجى الرجوع إلى مجلة "صحيفة" وعددها الخاص عن إقبال ، والجزء الأول منه لشهر ديسمبر ١٩٧٣ بين ص ٤ - ٥ وأما سجل جامعة دلهى فى ذلك الوقت فقد كان الدكتور (صوفى غلام محى الدين) .

(٦) " تاريخ أقوام كشمير" طبع ١٩٤٣م ص ٣٢١-٣٢٣

(٧) مسكين ص ١٢٣ و ١٢٤

(٨) " روزكار فقير" الجزء الثانى ص ١١٣-١١٤ وقد أعد الدكتور أكبر حيدرى كاشميرى مقالا خاصا عن أسرة (إقبال) وأصلها والذى كان قد نشر فى مجلة "قومى أواز" الأسبوعية من (لكنؤ) ٢٤ فبراير ١٩٨٠م والطبعة الثانية بتغيير يسير فى جريدة "أفتاب" الصادرة من "سرينجر" فى ٢١من أبريل ١٩٨١م ويرى أكبر حيدرى بأن الذى أوهم الناس وأوقعهم فى الوحل من الخطر هو ما قاله الشيخ فوق بأن (إقبال) من براهمة كشمير وينتمى إلى قبيلة "سبرو" وقد ابتكر الشيخ فوق اسطورة تشرح كلمة "سبرو" فيقول فى مقاله الأول بأن (السير عبد القادر) كان قد اعد مقالا عن ترجمة (إقبال) والذى نشر فى مجلة " خدنك نظر" من (لكنؤ)

فى مايو ١٩٠٢م ولكن (السير عبد القادر) لم يذكر شيئا من هذه النسبة من أسرة (إقبال) إطلاقا فلم يكن احد غير الشيخ فوق الذى كان يرغب فى ابتكار الاساطير من عنده إلا أن ما قاله أكبر حيدرى وصرح به ليس صحيحا وذلك لأن (السير عبد القادر) يقول فى مقاله ذلك بأن (إقبال) من أصل كشميرى وينتمى إلى أسرة قديمة من بانديت كشمير والتى فرع من فروعها فى الوطن الأصلى فى كشمير وأما الفرع الذى منه (إقبال) فكان قد أسلم منذ القرنين من الزمان وأما قبيلته فهى "سيفرو" وأن الذى جعل أسلاف (إقبال) يعتنقون الإسلام هو اعتقادهم فى ولى من اولياء الله (فالسير عبد القادر) يأتى بكلمة (سيفرو) بدل كلمة (سبرو) أو (سيبرو) إلا أنه يوافق ما قاله الشيخ فوق وأن الذى قاله الشيخ فوق أو (السير عبد القادر) عن أسرة (إقبال) وأصلها ليس من الأساطير المبتكرة والواقع أن هذه المعلومات عن أسرة (إقبال) وأصلها قد حصل عليها الشيخ فوق و(السير عبد القادر) من (إقبال) أو من والده ثم يحاول أكبر حيدرى أن يحقق بأن الشرح لكلمة (سيبرو) والذى جاء به الشيخ فوق لم يأت به الشيخ فوق وإنما جاء به والد (إقبال) لا يوجد فى مرجع من المراجع التاريخية والمشكلة الآن فى أن "سيبرو" قبيلة معروفة من براهمة "كشمير" فإذا كان أكبر حيدرى لا يوافق بما جاء به (إقبال) أو والده من شرح الكلمة فماذا سيكون شرح الكلمة على ما حققه أكبر حيدرى فى بحثه ياترى ؟ وكان (إقبال) قد علم من أبيه أن جدهم الأعلى الذى اعتنق الإسلام كان يعرف بلقب (بابا لول حج) وقد أورد أكبر حيدرى العبارات الفارسية التى اقتبسها من كتاب (نور نامه) لنصيب الدين سنة ١٦٣٠م ، و (تاريخ كشمير أعظمى) (واقعات كشمير) لمؤلفه ديده مرى ١٧٥٥م و " تاريخ كبير كشمير" لمسكين ١٩٠٢م ، ثم حاول أن يشرح هذه العبارات الفارسية ما يدل على أن (بابا لول حج) كان قد تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها ثم ترهب فهو يرى أن بابا (لول حج) لم يكن له عقب إلى أن والده (إقبال) لم يكن قد سمع إلا من أجداده بأن جدهم الأعلى الذى سبق إلى الإسلام أولا كان اسمه (بابا لول حج) وقد وصل إليهم هذا القول كابرا عن كابر وعليه فإن ما أورده من اقتباس (ديده مرى) يدل على أن (بابا لول حج) قد كان له عقب رغم أنه كان قد ترهب .

(٩) مجلة "صحيفة" عددها عن (إقبال) القسم الأول ص ٦ سلسلة النسب لاجداد (إقبال) للدكتور محمد باقر .

(١٠) "أدبى دنيا" مايو ١٩٦٥م ص ٩ (صلاتى بإقبال) للخواجا (حسن نظامى) .

(١١) "مشاهير كشمير" طبعة ١٩٣٠م .

(١٢) "تاريخ بده شاهى" طبعة ١٩٤٤ ص ٤٠٠-٤٠١ .

(١٣) المرجع نفسه ص ٢٩٤-٢٩٩ و ٣٠٦-٣٠٩ و ٢٥٧ ، وقد اعتمد الشيخ فوق على مجمع التواريخ لكشمير لمؤلفه الباندیت (بيربر كاهشرو) .

(١٤) " تاريخ أقوام كشمير" طبعة ١٩٣٤ ص ٣٥٢-٣٩٦ وللمزيد من المعلومات يرجى الرجوع إلى كتاب " كشمير" بالإنجليزية لصاحبه الدكتور "ج م ، د صوفى" الجزء الأول ص ٢٨-١٠٢ وتشرار شريف مدينة صغيرة على عشرين ميلا تقريبا من مدينة "سرى ناجار" والشيخ نور الدين ولى رشى هذا له أتباع من الهنادكة وهو يعرف عندهم باسم "نندارشى" أو "سهاجا نندا" .

(١٥) مجلة صحيفة ، عددها عن (إقبال) ، الجزء الأول ص ١١-١٢ سلسلة النسب لأجداد (إقبال) للدكتور محمد باقر .

(١٦) الشيخ فوق ص ٣٢٠-٣٢٣ .

(١٧) "(إقبال) كى حضور" الجزء الأول ص ١٥٩-١٧٠ .

(١٨) الرسالة إلى مؤلف الكتاب .

(١٩) " تاريخ أقوام كشمير" طبعة ١٩٤٣ ص ٣٢٠-٣٢٣ .

(٢٠) "فقير سيد وحيد الدين ص ١٥٥ و ١١٦ .

(٢١) راجع مجلة "نقوش" عددها الخاص لشهر يونية ١٩٦٤م ص ٢ ويصل (إقبال) بأن أسلافه من البراهمة الذين أنفقوا أعمارهم وهم يفكرون فى ذات الله ما هو وكيف هو ؟ أما أنا فاقضى أيامى وأنا أفكر فى الإنسان وكان مسكن أسلافه فى كشمير فى قرية "تشكو برجنه أوون" فى مديرية كولجام وقد ذكرت قرية "تشكو برجنه أوون" من ضمن ترجمة بابا لول حج ووطنه وقد تم تحديد عصر بابا لول حج وهو بالقرن الخامس عشر الميلادى فهل يمكن أن يكون ذرية بابا لول حج قد عاشت فى تلك القرية إلى قرون ، وأن أسلاف (إقبال) كانوا قد هاجروا من مديرية كولجام إلى مدينة سيالكوت ؟ وقد يمكن أن يكون كذلك ومن الممكن أن يكون المصدر عند الشيخ فوق هو والده اقبال أو (إقبال) نفسه وراجع (إقبال كى چند جواهر ريز) (القطعات المجوهرية (لإقبال) للخواجا (عبد الحميد) ص ٢٣ .

(٢٢) كشمسر (بالإنجليزية) الجزء الأول ص ٢٩٦-٣٢٨ والجزء الثانى ص ٦٩٩-٧٥٠

(٢٣) المرجع نفسه ، الجزء الأول ص ١٧٣-٢٨٨ و ٢٨٩ والجزء الثانى ص ٧٢٩

(٢٤) راجع جريدة "إحسان" عددها عن (إقبال) ٢٧من يونية ١٩٣٨م

هوامش الفصل الثانى

(١) تاريخ سيالكوت للشيخ محمد دين فوق طبعة ١٩٢٤ ص ٩٤-١٢٦ ، وأيضا راجع تاريخ سيالكوت لصاحبه عبد الصمد فلام محمد صاحب مطبع صمدى حى رنكبوره مدينة سيالكوت طبعة ١٨٨٧ ص ٥-٤٠

(٢) تاريخ أقوام كشمير طبعة ١٩٤٣ ص ٣٢٠-٣٢٣ وأيضا راجع "روز كار فقير " الجزء الثانى ص ١٢٤-١٢٦ و ١٣٣-١٣٥ وذكر اقبال لعبد المجيد سالك ص ٨-١٠

(٣) التعليق على كتاب "المسلم الهندى" لصاحبه هنتر من مؤلفات السير سيد أحمد (بالإنجليزية) ص ٤٤

(٤) "هندى مسلمان" (المسلم الهندى) لصاحبه هنتر (بالإنجليزية) ص ٣-٤ و ١٣٥-١٣٩ و ١٦٥-١٦٧ طبعة اكسفورد و"تاريخ هند" لمؤلفه شميث (بالإنجليزية) ص ٥٠٣ ، " تاريخ الثورة الهندية" لمؤلفه (ميلى سون) (بالإنجليزية) الجزء الأول ص ٢-٣ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٩ والإسلام الهندى (بالإنجليزية) لصاحبه (مرى تائى توس) ص ١٩١-١٩٣

(٥) "سيرة سيد أحمد شهيد" لسيد أبى الحسن على الندوى ص ٥٧-٨٣ و ١٠٤-١٤٣ و ١٥٠-٢٠٣ وأثار الصناديد لسير سيد أحمد خان ص ٤٣-٤٧ المسلم الهندى (بالإنجليزية) ص ١٢-١٥ وأيضا سيد أحمد شهيد (فى جزأين) لغلام رسل مهر ، وجماعة المجاهدين لغلام رسول مهر ٥٧-٨٩ و ١٠٩-١٢٩

(٦) المسلم الهندى (بالإنجليرية) ص ٤٤-٤٧ " الإسلام الهندى" بالإنجليزية ص ١٧٩-١٨١ وكلكتة ريويو (بالإنجليرية) المجلد الخمسون طبعة ١٨٧٠ ص ١٠٤ وإيضا المجلد الواحد والخمسون ص ١٧٧ و ١٧٨ تاريخ الهند البريطانية (بالإنجليزية) لجيس مل الجزء التاسع ص ٢٢٠-٢٢٣ وللمزيد من الاطلاع يرجى الرجوع إلى "سركزشت مجاهدين" أى (قصة المجاهدين) لغلام رسول مهو ص ٢٠٢

(٧) كلكتة ريويو (بالإنجليرية) مجلد ٥١ ص ١٨٨ و ١٨٩ وإيضا مجلد ٥١ (رقم سى ١١) ص ٣٨١ و ٣٨٤ و ٣٨٤ ويرجى الرجوع إلى (سركَذ شت مجاهدين) للمزيد من الاطلاع .

(٨) (كشمير) لصاحبه ج د م ، صوفى (بالإنجليرية) الجزء الثانى ص ٧١٦-٧١٩

(٩) كلكتة (بالإنجليرية) مجلد ٥١ (رقم سى ١١) ص ٣٨٢ و ٣٨٦ و ٣٩٢ و ٣٩٩ والمسلم الهندى (بالإنجليزية) ص ٢٣-٢٥ و ٢٧ و ٣٨ و ٤٢ و ٧٨ و ٨٤-١٠٥ وراجع "سركَذشت مجاهدين" للمزيد من الاطلاع .

(١٠) الإسلام الجديد فى الهند (بالإنجليزية) لصاحبه سميث ص ١٦٢

(١١) كلكتـة ريويو (بالإنجليـرية) مـجلد ٥١ (رقم سى ١١) ص ٢٨٢ تاريخ الثـورة (الهندية) (بالإنجليزية) الجزء الأول ص ١٤٢-١٤٣ والجزء الثانى ص ٢٧ والمسلم الهندى (بالإنجليزية) ص ١١ و ٢٤-٤٣ و ٦١ و ٧٥ و ٨٩ و ١٣٩

(١٢) ١٨٥٧م لغلام رسول مهر ص ٢٠١-٢١٩ و ٤٤٠-٤٤٧

(١٣) مـذكـراتى فى الهند (بالإنجليـزية) ص ١١-٤٣ وللمـزيد من المعلومـات راجع ظهـور الحكم الإنجليزى واكتماله فى الهنـد (بالإنجليرية) لمؤلفيه ثامب سـون و ج ت جيرت ص ٤٣٩

(١٤) كانبور (بالإنجليزية) لصاحبه ج ، أترلوليان ص ١٠٩ وإيضا وراجع ظـهور الحكم الإنجليزى واكتماله فى الهند (بالإنجليزية) ص ٤٦٢

(١٥) قيصر التواريخ ، الجزء الثانى ص ٤٥٢

(١٦) "حياة جاويد" القسم الأول ص ٧١ و ٢١٤ و ٢٢٢

(١٧) كلكتة ريويو (بالإنجليزية) مجلد : ٥٠ ص ٧٣ - ٧٥

(١٨) الجغرافيا التاريخية للهند (بالإنجليزية) لصاحبه أ.أ رويريس ص ٣٦٣ وظهور الحكم الانجليزى واكتماله فى الهند (بالإنجليزية) ص ٤٤٢ - ٤٤٣

(١٩) مقالات تهذيب الأخلاق ، الجزء الثانى ص ٥٥٢ و ٥٢٣

(٢٠) المسلم الهندى (بالإنجليـزية) ص ١٦٨ - ١٧١ و ١٨٤ - ١٨٦ و ١٩٣ - ١٩٤ «أسـباب بغـاوت هند» أى (أسباب الثورة الهندية) السير سيد أحمد خان ص : ١٧ - ١٩

٢١ - إقبال كى حضور (فى حضرة إقبال) الجزء الأول ص ٩٤

٢٢ - تاريخ سيالكوت ص ١٢٦

٢٣ - ذكر إقبال ص ١٠ - ١١

هوامش الفصل الثالث

١ - أنوار إقبال إعداد بشير أحمد دار ص ٧٣

٢ - وقد جاءت الترجمة باللغة الإنجليزية ويرجى الرجوع إلى «نقش إقبال» لسير عبد الواحد معينى ويقابل ذلك ص ١٧

وقد حقق الدكتور سعيد اختر الدرانى أن (إقبالا) كان قد كتب بخط يده تاريخ مولده «المحرم ١٨٧٦م وذلك فى أول أكتوبر ١٩٠٥ م ، فى سجل كلية التثليث لجامعة (كيمبردج) وذكر إنه كان يسكن فى ١٧ قصر برتقال وأنه قد لاحظ لافتة معلقة على ذلك المنزل ثم أن إقبال سجل سنة تسعة وعشرين فى سجل القبول لخان لنكن (بلندن) وذلك فى ٦ نوفمبر ١٩٠٥م ويطابق ذلك أن مولده ١٨٧٦م وقد تم امتحانه الشفوى للدكتوراه أمام مجلس كان يرأسه الأستاذ (ف. هومل) بجامعة ميونيخ فى ٤ نوفمبر ١٩٠٧ ، وتنص بطاقة الامتحان على أن تاريخ مولده هو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م ويرى الدكتور الدرانى أن المحرم يطابق النصف الأخير من يناير والنصف الأول من فبراير لسنة ١٨٧٦م ، وعليه فإن مولد إقبال كان فى يناير وفبراير ١٨٧٦م ، وراجع كتاب «العلامة إقبال فى أوربا» والمقالات الآخرى (مسودة خطية بالأردوية) ويظهر بما حققه الدكتور درانى بأن تاريخ مولد إقبال الذى كان يؤيده إقبال نفسه وهو حى هى سنة ١٨٧٦م ويبدو بأن إقبال عندما كان حديث العهد بوروده فى (لندن) ذكر أن مولده ١٨٧٦م فإذا كان قد صرح بشهر المحرم فى سجل كلية التثليث ؛ فهو أيضا كان على أساس التقدير والتخمين فإذا كان شهر المحرم فى تلك السنة قد جاء فى يناير وفبراير فيجب أن نعبر بذلك عن فصل الشتاء ، وقد صرح الشيخ عطا محمد على وجه التقدير والتخمين بأن مولد إقبال كان فى شهر ديسمبر ١٨٧٦م ويعنى بذلك فصل الشتاء لسنة ١٨٧٦م ، إلا أنه من الممكن أن (إقبالا) كان قد راجع أبويه عن تاريخ مولده حين قدم ترجمته مع أطروحته فى ميونيخ بعد سنتين والواقع الذى ليس فيه شك أن (إقبالا) كان يكتب رسالة إلى أمه فى سيالكوت خلال كل أسبوع وهو فى (أوربا) وأنها كانت تنتظر رسالته طوال الأسبوع إلا أن (إقبالا) ذكر تاريخ مولده حسب التقويم الهجرى الذى يوافق ١٨٧٦م ، فقدر ذلك إقبال تقديرا ولم يحاول أن يغير تغييرا مفصلا .

٣ - وراجع لصورة طبق الأصل «روز كار فقير» الطبعة الثانية لفقير سيد وحيد الدين ص ٢٣٢

٤ - أنوار إقبال ص ٧٩

إن مقال السير عبد القادر عن ترجمة إقبال والذى كان قد نشر فى «خدنك نظر» الصادرة من (لكنؤ) فى عدد مايو ١٩٠٢م لم يذكر فيه تاريخ مولد إقبال أو سنه ، وراجع أيضا «إقبال جاد وكر هندى نثراد» إقبال الساحر هندى الأصل) لعتيق صديقى مكتبة جامع دلهى الجديدة ص ١٣٤ - ١٤٤

٥ – وللمزيد من المعلومات يرجى الرجوع إلى تصريح مشفق الخواجا الذى نشر فى جريدة «جنك» كراتشى ٢٦ أبريل ١٩٧١م .

٦ – «روز كار فقير» (الطبعة الثانية) ص ٢٣٢

٧ – نقوش ، العـدد الخاص عـن إقبال ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ١٠

٨ – أنوار إقبال ص ٧٣

٩ – المرجع نفسه ص ١٠

١٠ – نقش إقبال ص ١٤ – ١٥

١١ – المرجع نفسه ص ١٥ ويرجى الرجوع إلى مقال الأستاذ (جان ميرك) ، تاريخ مولد محمد إقبال (بالإنجليزية) فى مجموعة المقالات «السيف والعصا الملكية» تأليف رفعت حسن (بالإنجليزية) طبعة أكاديمية إقبال (لاهور) ١٩٧٧

١٢ – وقد استشهدت السيدة (اين ميرى شمل) كما استشهد الأستاذ جان ميرك بالطريقة نفسها ويرى الأستاذ جان ميرك أن قبول إقبال بكلية الإرسالية الإسكاشية كان فى السادسة عشرة من عمره . يبدو أنسب وأقرب إلى القياس بالنسبة إلى القول لأنه كان فى الثامنة عشر من عمره وأيضا راجع (بال جبريل) بالإنجليزية ص ٣٥

١٣ – المرجع نفسه ص ٢٢٩ – ٢٣٧

١٤ – ملاحظة الشيخ إعجاز أحمد قدمها إلى اللجنة المركزية لتاريخ مولد إقبال (بالإنجليزية)

١٥ – المرجع نفسه ص ١٥٨ ويرجى الرجوع إلى صفحة تقابل لصورة «محتويات السجل»

١٦ – نقوش العدد الخاص عن إقبال سبتمبر ١٩٧٧م بهامش ص ٢٩

١٧ – المقالات السبعة (بالأردية) طبعة أردو بيلشرز فى (لكنؤ) ١٩٧٥م ص ٤٢

١٨ – نقوش إقبال (الترجمة الأردوية لروائع إقبال للسيد أبى الحسن على الندوى) ص ١٨ وعن (ججن ناث أزاد) يرجى الرجوع إلى نقوش العدد الخاص عن إقبال : الجزء الثانى ديسمبر ١٩٧٧م ص ٣٨

١٩ – ولصورة الأصل يرجى الرجوع إلى الطبعة الثانية من روزكار فقير مايقابل ص ٢٣٣

٢٠ – المرجع نفسه ص ٢٣١

٢١ – إقبال درون خانه (إقبال داخل بيته) ص ١٥٧

٢٢ – ملاحظة الشيخ إعجاز أحمد (بالإنجليزية) .

٢٣ – وللصورة العكسية يرجى الرجوع إلى الجزء الثانى من روز كار فقير ص ١١٩

٢٤ - إقبال درون خانه ص ١٥٥

٢٥ - المرجع نفسه ص ١٥٥ - ١٥٨

٢٦ - نقوش العدد الخاص عن إقبال الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٧٧ ص ٣٩

٢٧ - موقع إقبال إعداد ججن ناث ازاد ، قسم المطبوعات ، وزارة الإعلام ، حكومة (الهند) ١٩٧٧. ص ٧

٢٨ - المرجع نفسه ص ٧

٢٩ - راجع «حياة إقبال» لصاحبه م ، س ناز ص ١٥ وعلى أساس الخطأ نفسه ذكر ججن ناث ازاد في شجرة النسب لأسرة إقبال بأن «بابا صالح» هو الجد الأعلى لبابا لول حج ، وراجع أيضا موقع إقبال ص ٧ للخطأ نفسه راجع ياد إقبال لصابر كلوروى ص ٥

٣٠ - نقوش ، العدد الخاص عن إقبال الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ٢٢ - ٢٣

٣١ - وقد ورد البيانان في صفحة ١٥٦ إلى ١٥٩ من كتاب «إقبال درون خانه» .

٣٢ - المرجع نفسه بهامش ص ١٥٨

٣٣ - نقوش العدد الخاص عن إقبال ، الجزء الثاني ديسمبر تاريخ مولد العلامة إقبال ص ٢٤

٣٤ - المرجع نفسه ص ٣٩

٣٥ - إقبال درون خانه ص ١٥٥

٣٦ - ملاحظة الشيخ اعجاز أحمد (بالإنجليزية) .

٣٧ - المرجع نفسه .

٣٨ - المرجع نفسه .

٣٩ - نيرنك خيال ، العدد الخاص عن إقبال ١٩٣٢م ص ٢٥

٤٠ - المرجع نفسه ص ١٦٣

٤١ - نقوش العدد الخاص عن إقبال ، الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ١٥ - ١٦

٤٢ - إقبال درون خانه ص ١٥٣ - ١٦٣

٤٣ - نيرنك خيال - العدد الخاص عن إقبال ١٩٣٢م ص ٧٤ فيها مقالة لشيخ افتاب أحمد وعنوانها «أساتذة العلامة السير إقبال وللمزيد من الاطلاع راجع حياة إقبال طبعة (تاج كمبنى) بلاهور ص ١٢ - ١٣

٤٤ - نقوش العدد الخاص عن إقبال ، الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ١٥

٤٥ – إقبال درون خانه ص ١٥٥

٤٦ – نقوش العدد الخاص عن إقبال ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ المولد للعلامة إقبال ص ٢٤ ، ٢٥ و ٣٠

٤٧ – دراسة نقدية للأدب الكلاسيكى (بالأردية) طبعة مكتبة أدب جديد لاهور ١٩٦٥م ص ٣٠٦ و ٣٠٧

٤٨ – ما يقابل ص ١٧ كتاب «نقش إقبال» .

٤٩ – نقوش ، العدد الخاص عن إقبال ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ١٨

٥٠ – ملاحظة الشيخ اعجاز أحمد (بالإنجليزية) وهذا هو المنزل نفسه الذى ظل فى ملك المؤلف على أساس الهبة .

٥١ – نقش إقبال ص ١٨

٥٢ – نقوش ، العدد الخاص عن إقبال ، الجزء الثانى ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ١٤

٥٣ – المرجع نفسه ص ١٤

٥٤ – المرجع نفسه ص ٣٠

٥٥ – المرجع نفسه ص ٣٠

٥٦ – المرجع نفسه ص ٣٠

٥٧ – المرجع نفسه ص ١٥

٥٨ – ملاحظة الشيخ إعجاز أحمد (بالإنجليزية) .

٥٩ – نقوش ، العدد الخاص عن إقبال (الجزء الثانى) ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة إقبال ص ٢٤

٦٠ – المرجع نفسه ص ١٦١

٦١ – المرجع نفسه .

٦٢ – المرجع نفسه ص ٢٧ – ٣٠ وللمزيد من المعلومات راجع العلامة إقبال وزوجته الأولى (بالأردية) ص ٢٢

٦٣ – العلامة إقبال وزوجته الأولى ص ٢٢

٦٤ – نقوش العدد الخاص عن إقبال الجزء الثانى ديسمبر ١٩٧٧م المولد الصحيح للعلامة إقبال للدكتور أكبر حيدرى كشميرى ص ٤٠

هوامش الفصل الرابع

(١) وقد حكى هذه الرؤيا إقبال نفسه راجع «إقبال كى حضور» لسيد نذير نيازى ، الجزء الأول ص ٩٥ وأيضا راجع «ذكر إقبال» لعبد المجيد سالك ص : ١٠ وفكر إقبال لخليفة عبد الحكيم ص ١٤ - ١٥، تأليف هنتر ص ١١ و ٦١ و ٧٥ و ١٣٠ والتعليق على كتاب هنتر ص ١٣ - ٢٨ و ٤٥ والخطبات الأحمدية ص ٣٥٢ - ٣٩٧ وأخر المقالات للسير سيد ص٥٣ - ٥٨ ومقالات «تهذيب الأخلاق» المجلد الثانى ص ١١١ - ١١٣

(١٢) حياة جاويد والقسم الأول ص ١١٨ - ١٣٢ والقسم الثانى ٤٢ وحياة السير سيد أحمد خان وخدما (بالإنجليزية) ص ١٨٥

(١٣) حياة جاويد القسم الأول ص ١٥ والقسم الثانى ص ٤ و ٨ و ٩

(١٤) حياة جاويد القسم الثانى ص ١١٢ - ١١٤ و ١٧٠ مجموعة محاضرات السير سيد اعداد : سراج الدين ص ١٧٨ - ١٩٥ ومقالات تهذيب الأخلاق ، المجلد الثانى ص ١٦١ و ١٨١ و ١٨٢

(١٥) الإسلام الهندى ، تأليف مرى تى تامى توس (بالإنجليزية) ص ٢٠٧ و ٢٠٨ وحياة جاويد القسم الثانى ص ٢٠٠ و ٢٠٨ - ٢١٦ مقالات تهذيب الأخلاق المجلد الثانى ص ٢١ و ٢٢ و ٢٩ و ٥٠ و ١٨٣ والخطبات الأحمدية ص ٤ ومجموعة محاضرات السير سيد ص ١٧٦ - ١٩٥

(١٦) مجموعة خطبات السير سيد ص ١٨١ و ١٨٢ حياة جاويد القسم الثانى ص ٢٠١ - ٢٠٦ و ٢١٦ - ٢٥٦ والإصلاحات والنظريات الدينية للسير سيد أحمد خان (بالإنجليزية) ص ٦٨ - ٧٦ ، الإسلام الهندى (بالإنجليزية) ص ١٩٩

(١٧) حياة جاويد ، القسم الثانى ص ٣١٧

(١٨) حياة جاويد ، القسم الأول ص ١٣٣ والقسم الثانى ص ٥٤ - ٦٣ مقالات تهذيب الأخلاق ، القسم الثانى ص ٥ - ١٨ و ٢٣ - ٤٨ و ٥٠ - ٥٩ و ٦٩ - ١٠١ و ١٢٧ - ١٣٢ والإصلاحات والنظريات الدينية للسير سيد أحمد خان (بالإنجليزية) ص ٢٥ و ٢٦

(١٩) مقالات تهذيب الأخلاق ، المجلد الثانى ص ٥٦٩ - ٥٧٢ والإسلام الهندى (بالإنجليزية) ص ٢٠٤ وحياة جاويد ، القسم الأول ص ١٣٣ - ١٣٧ والقسم الثانى ص ٦٣

(٢٠) حياة جاويد القسم الثانى ص ٦٤ - ٦٦ و ٢٨٣ و ٢٨٤ وتاريخ المناهج التعليمية الإسلامية فى (الهند) (بالإنجليزية) تأليف القاضى سيد محمود ص ١٤٨

(٢١) الإصلاحات والنظريات الدينية السيد سيد احمد خان (بالإنجليزية) ص ٢٤ ومجموعة محاضرات السيد سيد ص ٤٩ و ٥٠ والتعليق على النظام التعليمى فى (الهند) (بالإنجليزية) تاليف السير إيلزيد كرافت ص ٣١٢ - ٣١٤

(٢٢) الاصلاحات والنظريات الدينية السير سيد أحمد خان (بالإنجليزية) ص ٢٤ ومجموعة خطابات السير سيد ص ١١٧ و ١٩٨ وحياة جاويد ، القسم الأول ص ٩٥ - ١٠٠ و ١٠٣ - ١٠٦ والقسم الثانى ص ٣٧ - ٤٠

(٢٣) حياة جاويد ، القسم الأول ص ١٢٧ و ١٣٧ - ١٤٤ و ١٥٢ - ١٦٩

(٢٤) حياة جاويد ، القسم الأول ص ١٦٩ - ١٧٧ والقسم الثانى ص ٦٣ و ٦٤ و ٧١ - ٨٦ و ٢٤٠ والسير سيد أحمد خان وحركة الانفصال فى السياسة الإسلامية (بالإنجليزية) تاليف عبد الحميد ص ١١٤

(٢٥) حياة جاويد ، القسم الأول ص ١٠١ و ١٠٢ والقسم الثانى ص ٤٧ و ٤٨

(٢٦) حياة جاويد ، القسم الأول ص ١٩٢ مقالات تهذيب الأخلاق المجلد الثانى ص ٥٥ ومجموعة خطابات السير سيد ص ٢٤٧ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٥ و ٢٧٦

(٢٧) حياة جاويد ، القسم الأول ص ٢٠٤ - ٢١٠ و ٢١٤ و ٢١٥ ومجموعة خطابات السير سيد ص ٢١٥ والسيد سيد أحمد خان وحركة الانفصال فى السياسة الإسلامية (بالإنجليزية) ص ١٤٤ - ١٤٧

(٢٨) تكوين أمة (بالإنجليزية) تاليف سريندار ناث بينار جى ص ٤١ - ٤٨ ، والإسلام الجديد فى الهند (بالإنجليزية) تاليف و. س. سميث ص ١٦٨

(٢٩) السياسة الهندية (بالإنجليزية) تاليف السير جون كيو مينج ص ٤٨ و ٤٩ وتاريخ حركة الاستقلال القومى (بالإنجليزية) تاليف فى لووات ص ٤٧ - ٥١ والثورة الهندية (بالإنجليزية) تاليف فى تشيرول ص ٤٣ - ٥٥

(٣٠) حياة جاويد ، القسم الأول ص ١١١ - ١١٥ وخطابات السيد سيد ، إعداد السير راس مسعود ص ٦٦

(٣١) ذكر إقبال ص ٢٧٧

(٣٢) وأيضا راجع للمزيد من ترجمة الشيخ سيد سير حسن ، ذكر إقبال ص ٢٧١ - ٢٧٩ ومقال اقتار أحمد أساتذة العلامة السير إقبال فى «نيرنك خيال» عدد إقبال ١٣٢ ص : ٦٢ - ٧٦ وروايات إقبال ص ٦ - ٥٥ و ٦٢ - ٧٠

(٣٣) الطبعة الثانية من «روزكار فقير» لفقير سيد وحيد الدين ص ٥٧ و ٥٨

(٣٤) المرجع نفسه ص ١٢٦ - ١٢٨ واعترض على ذلك البعض من الشيوخ بأن الآية المذكورة عن سيدنا عيسى - عليه السلام - فاستخرج إقبال تاريخا ثانيا من قوله «كأنه مسيح لكل أمراض» وراجع روزكار فقير ، الجزء الثانى ص ١٩٧ وسرود رفته إعداد غلام رسول مهر ص ٢١٧ وقد جاء ذكر التاريخين

الذين استخرجهما إقبال وأستاذه دون العزو إلى أى واحد منهما فى حياة جاويد إلا أن المجموعة التى نشرها وجاهت حسين جهجانوى باسم (المأتم القومى) قد جاء فى هذه المجموعة عن التاريخ الذى استخرجه إقبال ما نصه «منشى محمد إقبال» الطالب بالكلية الحكومية بلاهور وتلميذ حضرة الشاعر دا غ .

(٣٥) الطبعة الثانية من روزكار فقير ص ١٢٧

(٣٦) ذكر إقبال ص ٢٨٩

(٣٧) إقبال درون خأنه لخالد نذير صوفى ص ٨ – ١٠

(٣٨) المرجع نفسه ص ١٢ – ١٤

(٣٩) المرجع نفسه ص ٩ ، ١٠ والترجمة الأردوية لضياء الدين برنى ٥ ص ١٦

(٤٠) أنتينه إقبال (أى مرآة إقبال) إعداد عبد الله قريشى ص ٢٥٤ ومطالعة إقبال إعداد كوهر نوشا هى ص ٣٦ و ٣٧ مقال عنوأنه «بيعة العلامة فى *السلسلة القادرية*» لنور محمد قادرى مجلة ضيائى حرم ابريل ١٩٧٥م ص ٤٣ – ٤٦ وقرية اعوأن شريف توجد فى محافظة ججرات وقد يمكن أن يكون شيخ نور محمد قد أخذ إقبال معه ليبايع قاضى سلطان محمود ويحدث إقبال فى رسالته إلى سيد سليمان الندوى بأنه قد بايع فى السلسلة القدرية من المتصوفين و«إقبال نامه» القسم الأول ص ٧٩

(٤١) ذكر إقبال ص ١٤

(٤٢) المرجع نفسه ص ١٥

(٤٣) إقبال كى حضور ، الجزء الأول ص ٦٠ و ٦١

(٤٤) نقوش عددها الخاص عن السير الذاتية ط ١٩٦٤ م ، ص ٦

(٤٥) المرجع نفسه ص ١٢٧ و ١٢٨ و ١٥٤ – ١٥٦

(٤٦) المرجع نفسه ص ١٢٦ و ١٢٧

(٤٧) «خم خانه جاويد» (الحانوت الخالد) الجزء الأول ص ٢٦٩ وعلى ما صرح به سرى رام كان إقبال قد أخذ ينظم الشعر وهو طفل صغير .

(٤٨) نفس المصدر ص ٤٧ و ٤٨ ويقول السير عبد القادر أن (إقبالا) كان لديه الميل والشوق إلى الشعر وهو طفل ، إلا أن هذه الموهبة تقدمت تقدما كبيرا للغاية خلال اتصاله واستفادته من الشيخ سيد مير حسن مقال عن إقبال فى مجلة «خد تك نظر» لكنؤ مايو ١٩٠٢م وللاطلاع على المقال راجع «إقبال الساحر مندى الأصل» (بالأردية) لعتيق صديقى ص ١٤٠

(٤٩) روايات إقبال ص ١٣

(٥٠) سرود رفته إعداد غلام رسول مهر ص ١٤٣ و ١٤٤

(٥١) راوى عددها عن ذكرى إقبال المئوية أبريل ١٩٧٤م ص ٨٠

(٥٢) أنوار إقبال ص ٨٣

ويصرح السير عبد القادر بأن إقبال كان قد اعتزم على أن يتلمذ على را غ بالمراء بعد أن نجح في امتحان الثانوية المتوسطة ولم يزل يستشيره حتى أخذ ينظم المخمسات والمسدسات والبنود المرجعة بأسلوب جديد وكان قد تزوج في السنة نفسها التي بدأ فيها يستشير را غ بالمراسلة أي في ١٨٧٣م مقال عن إقبال في خد تك نظر لكنو مايو ١٩٠٢م .

(٥٣) «خم خانه جاويد» الجزء الأول ص ٣٠٢

(٥٤) مقدمة صوت الجرس ص (ز - ح) .

(٥٥) مشاهر كشمير ص ١٨٤

(٥٦) روزكار فقير الجزء الثاني ص ٢٩٨

(٥٧) سرود رفته ص ١٤٥ - ١٤٧

(٥٨) باقيات إقبال ، إعداد عبد الله قريشي ص ٣٩٦

(٥٩) إقبال نامه القسم الأول ص ٣ و ٤

(٦٠) باقيات إقبال إعداد عبد الله قريشي ص ٤٨٣

(٦١) إقبال درون خانه ص ١٠٣ - ١٠٧ وقد كانت هذه الكتب موجودة في منزل إقبال القديم في سيالكوت ، وراجع روايات إقبال ص ١٨٨ الملاحظة بي القوسين .

(٦٢) ويصرح صاحب كتاب إقبال درون خانه بأن (إقبالا) كان قد ذهب إلى المركز الامتحاني في ججرات ليدخل امتحان الثانوية فرآه الدكتور عطا محمد فأعجبه وأراد أن يزوجه ابنته إلا أن هذا القول لم يؤيده أحد إلى الآن وراجع ص ١١ من الكتاب نفسه .

هوامش الفصل الخامس

(١) - ....

(١٠) المرجع نفسه ص ١١٣

(١١) «صوت الجرس» ص (ح) من المقدمة .

(١٢) أنوار إقبال إعداد بشير أحمد دار مقال حالات إقبال للشيخ محمد دين فوق ص ٨٠

(١٣) التقويم نفسه ص ٣٣٠ وأيضا راجع بنجاب جازيت ٨ يونية ١٨٩٩ ، القسم الثالث ص ١٠٨٥ ، ٢٦ أبريل ١٩٠٠ ، القسم الثالث ص ٨٦٧ و ٨٦٨ ، رسائل إقبال ومقالاته إعداد بشير أحمد دار (بالإنجليزية) ص ٣٦ - ٤٠ ، وكان مسموحا لطلاب الكلية الحكومية أن يدخلوا الامتحانين فى السنة نفسها مع امتحان الماجستير وبذلك ولم يكن من الممكن للطلاب أن يستعدوا استعداداً صحيحاً للامتحانين ، وقد يمكن أن يكون إقبال إما لم يدخل امتحان الماجستير أو رسب فيه أيضا فى سنة ١٨٩٨م ، والأغلب أنه كان قد رسب فى امتحان الماجستير لتلك السنة أيضا .

(١٥) مكتوبات إقبال ص ٩٦ و ٩٧

(١٦) مجلة إقبال ص ١ و ٢

(١٧) تاريخ أقوام كشمير الجزء الثالث مقال «منشى محمد دين فوق» لمحمد عبد الله قريشى ص ٢٦٢ ، ٢٦٣

(١٨) نقوش عدد ١٠٤ مقال (لاهور) كا جيلسى (جيلسى لاهور) لحكيم أحمد شجاع ص ٣١ ، ٣٩

١٩ - وقد نشرت القصيدة الغزلية هذه فى مجلة جمعية المهرجان الشعرى «شورمحشر» فى عدد ديسمبر ١٨٩٦م ، وراجع أيضا سرود رفته إعداد غلام رسول مهر ص ١٤٦

وقد ذكر السير عبد القادر التفاصيل عن هذا المجفير الشعرى أن شابا من فئة الطلاب قام من مكانه فجأة وكان عمره يتجاوز عشرين سنة قد حلق اللحية ورب الشوارب على التقليد المتعارف كان يلبس الملابس بين القديم والجديد فتقدم نحو الكرسى الذى كان يجلس عليه الشاعر وينشد قصيدته فجلس ثم أنشد مطلع القصيدة مامعناه :

انطقى بكلمة «نعم» بلسانك تجربة واختيارا

وأن كلمة «نعم» هذه سوف تضحى نفسها لرجائى عن اللقاء

وبمجرد أن ينشد الشاعر مطلع القصيدة ، فإذا بأصحاب الذوق الشعرى يستمعون إليه وإذا بالأنظار

تتركز عليه وكان من تقاليد المجلس الشعرى أن سكرتير المجلس كان يعرف الشاعر بالحاضرين ، إلا أن هذا الشاعر الشاب المرح لم يعرفه سكرتير المجلس نفسه فإذا بصوت يرتفع من ناحية مطالبا بتعريف الشاعر أولا ، فإذا بالشاعر الشاب يرد قائلا : أنا أعرف نفسى بكم شخصيا أنا اسمى إقبال وهذا هو «تخلصى» أيضا (اسم الشاعر الخاص) وأنا من سيالكوت وأدرس فى فصول ليسانس بالكلية الحكومية ولى الشرف ؛ حيث إننى تلميذ حضرة داغ وليس لى اختصاص أو خصومة بأى شخص من الكبار من هذه المدينة ، وقد نظمت بضعة أبيات شعرية أستأذنكم لأنشدها . مقال إقبال فى «خدنك نظر» ص ١٩٢

٢٠ – مطالعة إقبال مقال «إقبال وفوق» لمحمد عبد الله قريشى ص ٨٥ ، ٨٦

٢١ – باقيات إقبال إعداد محمد عبد الله قريشى ص ١١ و ١٣ الأبيات والقطعات الشعرية لإقبال عن كشمير .

٢٢ – صورة الجرس ص (ط) من المقدمة .

٢٣ – نذر إقبال إعداد محمد حنيف شاهد ص ٨٥

٢٤ – راوى عددها الخاص عن ذكرى إقبال المئوية – أبريل ١٩٧٤م مقال إقبال والكلية الحكومية (الأردية) لمحمد حنيف شاهد ص ٢٥٨

٢٥ – ذكر إقبال ص ٢٧ وديوان «صوت الجرس» ص (ط) من المقدمة وتاريخ أقوام كشمير الجزء الثالث ص ٢٦٢ و ٢٦٣

وكان من بين تلاميذ الشاعر داغ سيد بشير حسين نسيم بهرت بورى وحافظ محمد يوسف خان تشنه بلند شهرى .

٢٦ – إقبال ص ٢

٢٧ – أئينه إقبال (مرآة إقبال) إعداد محمد عبد الله قريشى ص ١٩٦

٢٨ – ملفوظات إقبال إعداد أبو الليث صديقى ص ٣٢ – ٣٤

٢٩ – فكر إقبال ص ١٧ و ١٨

٣٠ – شذرات فكر إقبال ، إعداد جاويد إقبال وترجمتها الأردية لافتخار أحمد صديقى ص ١٠٥

٣١ – كشف المحجوب (الترجمة الأردية) لمولوى فيروز الدين ص ١٨ و ١٩ وقد سمى حضرة الشيخ القسم الأول من الحجاب حجابا دينيا ، والقسم الثانى من الحجاب حجابا عينيا .

هوامش الفصل السادس

(١) وطبقا للشروط المنصوص عليها فى «بنجاب جازيت» ١٨ فبراير ١٨٩٧م ، القسم الثالث ص ٢٨٧ كان راتبه قد أصبح ٧٣ روبية بعد أحد عشر شهرا .

(٢) راجع تاريخ الكلية الحكومية بلاهور (بالإنجليزية) ص ١١٥ وراجع أيضا مطالعة إقبال ، إعداد جوهر نوشاهى ص ٤٩ – ٥١ ، مقال إقبال فى الكلية الشرقية لغلام حسين نو الفقار والتوضيحات عن تفاصيل الملف تختلف بهذا الشأن وعلى ما حققه الدكتور محمد باقر كان قد عين أستاذ العربية فى ١٣ مايو ٢٤ يونية ١٨٩٩م ، وذلك فى وظيفة كانوا يسمونها «عربيك ريدر» وفى ٤ يناير ١٩٠١م أخذ إجازة طويلة إلا أن تاريخ عودته إلى الكلية الشرقية لا يعرف إلى الآن ، ثم كان قد أخذ الإجازة مرة أخرى من ١٨ أكتوبر ١٩٠٢م إلى ٣١ مارس ١٩٠٣م وعمل فى وظيفة الأستاذ الإضافى فى اللغة الإنجليزية الحكومية ، وفى أول أبريل ١٩٠٣م عاد إلى الكلية الشرقية ثم أخذ إجازة أربعة أشهر فى أول يونية ١٩٠٣م وعمل أستاذا إضافيا للإنجليزية بالكلية الحكومية . أما تاريخ عودته إلى الكلية الشرقية فلم يعرف إلى الآن ثم فى ٣١ مارس ١٩٠٤م أخذ الإجازة بدون الراتب واستقال فى مارس ١٩٠٤م من وظيفة «ميكلود عربيك ريدر» (أستاذ ميكلود للعربية) ، وعلى ما حققه حنيف شاهد فى بحث له نشر فى عدد مجلة الكلية الشرقية الخاص عن ذكرى العلامة إقبال المئوية ١٩٧٧م إعداد دكتور عباد – بريلوى (بالإنجليزية) ص ٢٩ – ٣٧ أن إقبالاً كان قد عين أستاذًا مساعدًا للإنجليزية لمدة ثمانية وعشرين يوما مؤقتا ثم تم تعيينه مرة أخرى أستاذًا مساعدًا للغة الإنجليزية من ١٦ أكتوبر ١٩٠٢م إلى ٣١ مارس ١٩٠٣م ، على راتب شهرى قدره مائتا روبية ، وقد قام إقبال بالخدمة أستاذا مساعدا إنجليزيا مؤقتا بالكلية الحكومية مرة ثالثة من ٣ يونية ١٩٠٣م إلى ٣٠ سبتمبر ١٩٠٣م ، ثم تم التمديد فى هذه المدة حتى ٣١ مارس ١٩٠٤م قبل أن يستقيل ، ثم تم المزيد من التمديد فى هذه المدة ، وعمل إقبال أستاذا مساعدا للفلسفة بالكلية الحكومية ولم يزل يحتل هذه الوظيفة حتى سافر إلى إنجلترا للدراسات العليا ، مقال «إقبال والكلية الحكومية بلاهور» فى محلة جمعية باكستان للبحوث أكتوبر ١٩٧٨م المجلد ١٥ رقم ٤ ص ٦٩ – ٧٧

(٣) ذكر إقبال لعبد المجيد سالم ص ٢٣

(٤) ملفوظات إقبال إعداد أبى الليث صديقى ص ١٥١ ، ١٥٢ مقال لقاء مع إقبال للأستاذ حميد أحمد خان .

(٥) مطالعة إقبال ص ٥١ ورسائل إقبال ومقالاته (بالإنجليزية) إعداد ، بشير أحمد دار ص ٣

(٦) مطالعة إقبال ص ٥٤ – ٥٧ مقال إقبال نظرية التوحيد المطلق للشيخ عبد الكريم الجيلى (بالإنجليزية) والذى كان قد نشر فى مجلة «التراث الهندى القديم» الصادرة من بومباى عدد سبتمبر ١٩٠٠م .

(٧) راجع مقالات إقبال وتصريحاته (بالإنجليزية) إعداد لطيف أحمد شيرواني ص ٦٩ - ٨٥

(٨) وهذا الكتاب لايزال محفوظا في متحف العلامة إقبال في جاويد منزل لاهور .

(٩) وحسب التصريح للشيخ عبد القادر كان هذا الكتاب تحت الطبع حتى أبريل ١٩٠٤م ، وراجع مجلة مخزن ، أبريل ١٩٠٤ ص ١ - ٨ إلا أن في الصفحة الرابعة لمجلة مخزن لشعر ديسمبر ١٩٠٤م قد جاء ذكر الكتاب وأن قيمته روبية واحدة ويمكن الحصول عليه من المؤلف ، وكان (منشي ديا نرائن نكم) قد علق على هذا الكتاب ونشر تعليقه هذا في مجلته الشهرية «زمانه» الصادرة من كانبور مايو ١٩٠٥

(١٠) وقد طبع الكتاب مرة ثانية في ١٩٦١ في كراتشي ومرة ثالثة نشرته أكاديمية إقبال بلاهور في سنة ١٩٧٧م باهتمام آئينه أدب لاهور ؛ روزكار فقير الجزء الثاني ص ٦٤

(١١) المرجع نفسه ص ٢٠٤ و ٢١٠ - ٢١٣

(١٢) بنجاب جازيت ٢٤ فبراير ١٩٠١م القسم الأول ص ٥٠

(١٣) مقال العلامة إقبال في اجتماعات الجمعية لخليفة شجاع الدين ، حمايت إسلام ، عدد شجاع الدين ، ٣ مايو ١٩٥٦م ص ١٠

(١٤) بنجاب جازيت ٩ يوليو ١٩٠٣ ، القسم الأول ص ٦٢٦

(١٥) بنجاب جازيت ١٠ ديسمبر ١٩٠٣ القسم الأول ص ١٣٤٧

(١٦) بنجاب جازيت ٨ يونية ١٩٠٥م القسم الأول ص ٣٧٢ وبنجاب جازيت ١٦ أغسطس ١٩٠٦م القسم الأول ص ٧٢٩

(١٧) صحيفة ، العدد الخاص عن إقبال ، القسم الأول ص ٥٤ مقال «منازل إقبال في لاهور» وكانت هذه الزلزلة سبب الدمار الهائل في مدينة (كانجره) ، وكان على بخش قد وظف عند إقبال فكان يصعد مرة ويهبط أخرى من السلم خوفا من الزلزلة وكان إقبال قد رفع رأسه من الكتاب فقال له : لا تخف وقف حيث أنت من السلم ثم عاد إلى كتابه وأنهمك في قراءته بكل سكينة وطمأنينة .

(١٨) نذر إقبال إعداد محمد حنيف شاهد ص ٣ و ٤

(١٩) الرسالة المؤرخة في ١١ ديسمبر ١٩٠٧م إلى على بخش ، إقبال نامه ، الجزء الثاني ص ٢٩٦

(٢٠) ذكر إقبال ص ٢٢ و ٢٣

(٢١) الرسالة إلى سيد محمد تقي شاه «(إقبال) نامه» الجزء الثاني ص ٢٩٨ و ٢٩٩ والرسالة المؤرخة في ٦ أغسطس ١٩٠٣م إلى حبيب الرحمن شيرواني ، إقبال نامه ، الجزء الأول ص ٦ روزكار فقير ، الجزء الثاني ص ١٤٨ - ١٥٠ ولمنظومة «ورقة الورد» راجع باقيات إقبال إعداد عبد الله قريشي ص ١٦٩

(٢٢) ذكر إقبال ص ٢٠ ومطالعة إقبال ص ٨٦ مقال إقبال والشيخ فوق لمحمد عبد الله قريشي .

(٢٣) سرود رفته ، إعداد غلام رسول مهر ص ٢٣٢

(٢٤) فكر إقبال ص ٤٦

(٢٥) باقيات إقبال ، إعداد عبد الله قريشى ص ١٣٤

ويحدثنا السير (عبد القادر) بأن إقبالا كما أخبره شخصيا بأنه كان قد أخذ يشعر بشيء من السكينة بعد دراسة الفلسفة الهندوكية وأدرك معنى كلمة «شانتى» أى (السكينة) ، وبهذا السبب لم يبق مجال للتعصب المذهبى ومن ثُم كان إقبال يحترم المذاهب والديانات كلها . إقبال «خدنك نظر» لكنؤ مايو ١٩٠٢م .

(٢٦) الأنشودة الهندية وأنشودة الأطفال الهنديين وشوالة الجديد (المعبد) نظمت فى هذا الطور من حياة الشاعر إلا أن منظومة (سوامى رام تيرث) كان قد نظمها إقبال وهو فى أوربا ومنظومة رام أعدها إقبال بعد ١٩٠٨م ، وكان سوامى رام تيرث من أصدقاء إقبال أما المنظومات الآخرى فهى تعبر عن العاطفة نفسها وأما منظومة شواله الجديد . فإنها كانت قد نشرت على هيئتها الأصلية فى مخزن مارس ١٩٠٥م ، وهى تحمل المشاعر القوية من القومية والوطنية كما جاءت فيها الكلمات الكثيرة هندية الأصل وراجع سرور رفته ص ١٢٥ ، وأيضا مقال إقبال وسوامى رام تيرث إعداد (اندر جيت لال) «شيرازه» فى عددها الخاص عن إقبال سرينجر ص ٨٣ - ٨٧ وفى المجلة نفسها مقال «إقبال وجيتا» لموتى لال ساقى ص ١١١ - ١١٧

(٢٧) ديوان «صوت الجرس» ص ٥٠ - ٥٢

(٢٨) المرجع نفسه ص ٢٨ - ٣٩

(٢٩) مجلة «كريسنت» عدد خاص عن «تاثير» فبراير وأبريل ١٩٥١ م ، مقال أسماء الرجال لإقبال ص ١٤٦

(٣٠) أثينه إقبال ، إعداد محمد عبد الله قريشى ، مقال إقبال وجمعية المسلمين الكشميريين ص ١٩٦ ، ١٩٨ - ٢٠٠ و ٢١٠

(٣١) إقبال وجمعية حمايت إسلام لمحمد حنيف شاهد ص ٤٩

(٣٢) المرجع نفسه ص ٢٥ - ٢٧

(٣٣) المرجع نفسه ٢٧ - ٣١

(٣٤) المرجع نفسه ٦٩ و ٧١

(٣٥) حمايت إسلام - عددها الخاص عن الجمعية ١٠ أبريل ١٩٧٠م مقال المجالس التى كان إقبال يزينها ص ٤٩

(٣٦) التاريخ المختصر لجمعية حمايت إسلام ص ٢٥ وحمايت إسلام عدد شجاع الدين ٣ مايو ١٩٥٦م ص ١٣ و ١٤ إقبال وجمعية حمايت إسلام ص ٧٠ و ٧٢

(٣٧) إقبال وجمعية حمايت إسلام ص ٧٧ و ٧٨

(٣٨) المرجع نفسه ص ٧٩ و ٨٠ وملفوظات إقبال إعداد أبى الليث صديقى مقال عن ذكرى إقبال ص ٤١

٣٩ - إقبال وجمعية حمايت إسلام ص ٨٠ و ٨١ وراجع جواهرات حالى إعداد شيخ محمد اسماعيل بانى بتى .

٤٠ – دنيا الإسلام الجديدة (بالإنجليزية) تأليف (ايل ستودارد) ص ٥٤

٤١ – نظرة عابرة عن الشئون الدولية (بالإنجليزية) ١٩٢٥ ، الجزء الأول تأليف (أ . ج . تانيونبى) صفحة ٣٣ – ٣٧

٤٢ – آخر مقالات السير سيد ص ٣١ – ٤٥ و ٥٩ – ٦٩

٤٣ – الخلافة (بالإنجليزية) تأليف (م بركت الله) ص ١٠ ونظرة عابرة عن الشئون الدولية (بالإنجليزية) ١٩٢٥م الجزء الأول ص ٤٢ و ٤٣

(٤٤) ثورة إيران (١٩٠٥ – ١٩٠٩) تأليف (أ . ج . براون) (بالإنجليزية) ص ١ – ٥٨ وجمال الدين الأفغانى (بالإنجليزية) تأليف (أمين أفغانى) وبين إسلام ازم والخلاف وغيرهما من المحاضرات (بالإنجليزية) القسم الأول لجلال الدين ص ١-١٥

(٤٥) ثورة إيران (بالإنجليزية) ص ١٢

(٤٦) ريويو المعاصرة ، يونية ١٩١٥م مقال الخلافة (بالإنجليزية) ومقال الخلافة والنهضة الإسلامية (بالإنجليزية) ايدنبرا ريويو يناير ١٩٢٣م .

(٤٧) ثورة إيران (بالإنجليزية) ص ٣٠

(٤٨) الطبعة الفارسية (بومباى) : ١٨٨١ والطبعة الأردية كلكتة ١٨٨٢ والطبعة العربية بيروت ١٨٨٦م .

(٤٩) حياة شبلى ، تأليف سيد سليمان الندوى ص ٢٨١ و ٢٩٧

(٥٠) المرجع نفسه ص ٩٤ – ٩٦

(٥١) المرجع نفسه ص ١٩٠ – ٢١٩

(٥٢) المرجع نفسه ص ٢٧٨ – ٢٨١

(٥٣) كليات شبلى : إعداد مولوى مسعود على ص ٣٠ و ٥٦ – ٦٢

وكان الشيخ شبلى هو الذى قال عن إقبال إن آزاد وحالى إذا ارتحلا فإن الناس سوف يعثرون على إقبال ، (إقبال) للسير عبد القادر ، خدنك نظر لكنؤ مايو ١٩٠٢م .

(٥٤) نذر إقبال ص ١٤٦

(٥٥) ملفوظات إقبال مقال «إقبالى» لمرزا جلال الدين ص ٨٢ و ٨٣

(٥٦) وأما التفاصيل عن إقامة إقبال التى استغرقت يوما واحدا فى دلهى فيمكن الرجوع إلى مقال مير غلام بهيك نيرنك فى مخزن أكتوبر ١٩٠٥م ، والخواجا حسن نظامى : أخبار وطن ٢٤ ديسمبر ١٩٠٥م وملا واحدى فى مجلة منادى دلهى عدد ٤ المجلد ٣٩ وشيخ محمد إكرام كان نائب رئيس التحرير لمجلة مخزن ومنشى نذر محمد المفتش المساعد لمدارس حلقة دلهى كان من المعجبين بإقبال وأصدقاءه الذين كانوا قد رافقوه إلى ضريح نظام الدين أولياء ، كان فيهم منشى نور الدين بن مدرس الرسم فى المدرسة التدريبية فى دلهى .

(٥٧) وقد اعتمد المؤلف على التفاصيل التى أوردها نيرنك وإقبال وراجع مطالعة إقبال ص ٤٧١ - ٤٧٤

(٥٨) مطالعة إقبـال ص ٤٧٤ – ٤٧٨ الـرسالتان لإقبـال كـانتا قد نشرتا فى أخبار وطن ٦ أكتوبر و ٢٢ ديسمبر ١٩٠٥م .

(٥٩) المرجع نفسه ص ٤٧٩ - ٤٨٣

(٦٠) المرجع نفسه ص ٤٨٣ – ٤٨٨

(٦١) وكان مطلع هذه القصيدة :

مثال برتوى طوف خام كرتم هين

بهى نماز صبح وشام كر ت هين

(إننا نطوف حول الكأس على مثال عكس الخمر وهذا هو صلاتنا صباح مساء وعندما بدا له شاطئ إيطاليا قال :

هر – ك رهو وطن مازنى كى ميدانو جهاز ير سى تمبين هم سلام كرتى هين

(ياحقول فى وطن مازينى عشت خضراء مزدهرة إننا نسلم عليك من سفينتنا)

ديوأن صوت الجرس ص ١٣٩

هوامش الفصل السابع

(١) إقبال نامه ، إعداد ، شيخ عطاء الله ، الجزء الثانى ص ٢٢٨ و ٢٢٩ ، وبعد وصوله إلى كيمبردج كان إقبال قد نزل في ١٧ / قصر برتقال ، مقالة العلامة إقبال فى (أوربا) والمقالات الآخرى (بالأردية) ، إعداد الدكتور سعيد اختر دراني .

(٢) نذر إقبال إعداد محمد حنيف شاهد ص ١٠

(٣) إن الطلاب الباحثين فى جامعة كيمبردج إذا ظهرت رغبتهم فى موضوع من الموضوعات فيشاركون المحاضرات عن ذلك الموضوع ثم يدخلون الامتحان السنوى وبذلك يحاولون إرضاء أساتذتهم واقناع المشرفين على بحوثهم وقد يمكن أن يكون إقبال قد حضر فى المحاضرات عن الفلسفة الأوربية ثم دخل فى الامتحان السنوى ونجح فى ذلك ومن الممكن أيضا أن يكون إقبال قد دخل امتحان الفلسفة واللغتين العربية والفارسية وذلك نظرا إلى شروط السلطات لجامعة ميونيخ وارضاء رغبتها فاعتبر إقبال هذه الامتحانات كأنها تعنى امتحان البكالوريوس من جامعة كمبيردج ومن المعلوم أن إقبال كان يحضر فى محاضرات الاقتصاد ، ويحدثنا الدكتور سعيد اختر درانى بأن إقبال كان قد قدم اطرو فى قسم الفلسفة والأخلاف من أجل الحصول على درجة البكالوريوس وذلك بإذن خاص من قبل السلطات الجامعية فى ٧ مارس ١٩٠٧م وأنه كان قد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة كيمبردج فى ١٣ يونية ١٩٠٧م وراجع العلامة إقبال فى (أوربا) والمقالات الآخرى (المسودة الخطية) .

(٤) كلمات إقبال وتصريحاته ، إعداد عبد الرحمن طارق (بالإنجليزية) ص ١٤٢

(٥) المرجع نفسه ص ١٤٠ - ١٥١

(٦) إقبال ك - جواهر ريز ـ (القطعات الجوهرية لإقبال) تأليف الخواجا عبد الحميد ص ١١ و ١٢

(٧) المرجع نفسه ص ١٠

(٨) مطالعة إقبال إعداد كوهر نوشاهى ص ٤٨٨

(٩) أنوار إقبال ، إعداد بشير أحمد دار ص ٥٣

(١٠) إقبال نامه ، القسم الثانى ص ٣٥٣ و ٣٥٤

(١١) نذر إقبال ص ٧ و ٨ و ٨٩

(١٢) أثار إقبال إعداد غلام د. ستكير بشير مقال «لحظات فى حضرة العلامة إقبال» للدكتور عاشق حسين بتالوى ص ٣٩ - ٤١

(١٣) أنوار إقبال ص ٣٠ و ٣١

(١٤) نذر إقبال ص ٨٩

(١٥) إقبال ، تـأليف عطيه بيجم (مذكرات عطـيه بيجم) الترجمة الأردية لضياء الدين أحمد برنى ص ٩٧ و ٩٨

(١٦) المرجع نفسه ٩٨ ، ٩٩

(١٧) المرجع نفسه ص ٩٩ و ١٠٠

(١٨) نذر إقبال ص ١٠ و ١١

(١٩) إقبال ، تأليف عطيه بيكم ص ١٠٠ – ١٠٢

(٢٠) نذر إقبال ٨٩

(٢١) إقبال ، تأليف عطيه بيكم ص ١٠٣

(٢٢) المرجع نفسه ص ١٠٧ و ١٠٨

وكان إقبال قد نزل فى ٥٨ نيو هانمر ليند ستراسس فى هايدلبرج ، وقد اهتمت حكومة ألمانيا بهذا المنزل فنصبت على جداره لافتة باسم إقبال ، وكان امتحان إقبال الشفوى لدرجة الدكتوراه قد تم أمام مجلس وكان يرأسه الأستاذ (ف هومل) فى ٤ نوفمبر ١٩٠٧م العلامة إقبال فى أوربا والمقالات الأخرى «مسودة خطية» إعداد وتحقيق الدكتور سعيد اختر درانى .

(٢٣) المرجع نفسه ص ١٠٦ – ١٢١

(٢٤) إقبال نامه ، القسم الثانى ص ٣٥٨

(٢٥) مجلة إقبال ريويو – أبريل ١٩٧٦م مقال إقبال فى إنجلترا (بالإنجليزية) إعداد (س ، ع ، واحد) ص ٢

(٢٦) شاد إقبال (إقبال الفرحان) إعداد الدكتور محيى الدين زور ص ٤٥

وعلى ماحققه المسلم الألمانى (محمد أمان هابوهم) كـان إقبال قد نزل فى ٤٩ شارع ايلشام كنتكتن فى لندن ، تحقيق منزل إقبال فى لندن (التقرير بالإنجليزية) جريدة «دان» مايو ١٩٨٢م .

(٢٧) ملفوظات إقبال : إعداد ابى الليث صديقى ص ٨٩

(٢٨) نذر إقبال ص ١٠

(٢٩) شاعر الشرق (بالإنجليزية) ص ١٧ و ١٨

(٣٠) ذكر إقبال لعبد المجيد سالم ص ٥٧

(٣١) إقبال كـ – جواهر ريز – ص ١٢ و ١٣

(٣٢) آثار إقبال ص ٣٦

(٣٣) نذر إقبال ص ٨

(٣٤) المرجع نفسه ص ٩

وتوجد أبيات شعرية فارسية فى قصائد إقبال وقطعاته الشعـريـة التى قالها فى المرحلة الابتدائية ، إلا أنه لم يكن قد اختار الفارسية كأداة للتعبير عن مشاعره وأفكاره كما فعل ذلك فيما بعد .

(٣٥) ويتضح من رسالة الشرق ومن دراسة المنظومات فى الدواوين الشعرية الأخرى أن إقبالا كان يلم إلماما بالأدب الفرنسى .

(٣٦) أثر إيران و(الهند) فى الشعـر الألمانى ، تأليف (ف ، ج ، ريمى) (بالإنجليزية) والترجمة الأردية لرياض الحسن ص ٣٥ و ٤١ و ٤٩ - ٥٣ و ٦٠ و ٦١

(٣٧) فكر إقبال لخليفة عبد الحكيم ص ٧٥

(٣٨) صوت الجرس ص ١٤٩ و ١٥٠

(٣٩) نذر إقبال ص ١٢٤

(٤٠) إقبال نامه القسم الأول ص ١٠٩

(٤١) المرجع نفسه ص ٤٢٦

(٤٢) روزكار فقير الجزء الثانى ص ٩٣

(٤٣) أنوار إقبال ص ١٧٦ و ١٧٧

(٤٤) لم يكن إقبال يرفض القيم الخلقية أو المذهب الإنسانى أو وسعة الأفق الذهنى ، لأن هذه هى القيم التى تقضى على التعصب وضيق الأفق ؛ إلا أن لها ظاهرة منفردة ومن ثُم لا يمكن لها أن تتعدى إلى العدد الأكبر من البشر أن هذه القيم إنما كانت نزعة فكرية لا غير وهذه القيم لم تكن تمهد سبيلا للوحدة الإنسانية فى مجال الاجتماع والسياسة ومن ثُم لم يكن بإمكان هذه القيم أن تكون وسيلة لبناء المجتمع العالمى .

(٤٥) السورة رقم ٤٩ والآية رقم ١٣ ، وهذا ما قاله سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى خطبته فى حجة الوداع بأن أكرم الناس عند الله وأفضلهم هو أتقاهم وأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

(٤٦) سفينة حياة تأليف (منشى) غلام قادر فرح ص ٢٢ و ٢٣

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	چورج چيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوڤا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إڤيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	ڤيسواڤا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديڤيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روچر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩- الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت دينا وچون فاين	أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوڤاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادي بلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية في مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي	أميرة الأزهري سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندي وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيثل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراي	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقي	سيدرك ثورپ ديڤي	سمحة الخولي
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحي	بشير السباعي
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقي جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعي	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق علي	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف ماري مواريه	كاميليا صبحي
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيفال (مسرحية)	ريتشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبوري
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومي
١٤٣- قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديرك لايدر	عدلي السمري
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدوني	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دي ليبس	علي عبدالرءوف البمبي
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوي
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكي أندرسون إمبرت	علي إبراهيم منوفي
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوجية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألڤين كرنان	بدر الديب

-١٨٩	العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	پول دی مان	سعيد الغانمى
-١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
-١٩١	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
-١٩٢	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغي	محمود علاوى
-١٩٣	عامل المنجم (رواية)	پيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
-١٩٤	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
-١٩٥	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
-١٩٦	المهلة الأخيرة (رواية)	ڤالنتين راسپوتين	أشرف الصباغ
-١٩٧	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلي النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
-١٩٨	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
-١٩٩	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
-٢٠٠	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	چيرمى سيبروك	فخرى لبيب
-٢٠١	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
-٢٠٢	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٢٠٣	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
-٢٠٤	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
-٢٠٥	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
-٢٠٦	الهيولية تصنع علماً جديداً	چيمس جلايك	على يوسف على
-٢٠٧	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
-٢٠٨	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
-٢٠٩	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
-٢١٠	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
-٢١١	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
-٢١٢	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
-٢١٣	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
-٢١٤	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
-٢١٥	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوى
-٢١٦	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
-٢١٧	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
-٢١٨	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
-٢١٩	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
-٢٢٠	الهيولية فى الكون	بارى پاركر	على يوسف على
-٢٢١	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
-٢٢٢	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
-٢٢٣	العلم فى مجتمع حر	پاول فيرابند	السيد محمد نفادى
-٢٢٤	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
-٢٢٥	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
-٢٢٦	أرض المساء وقصائد أخرى	ديڤيد هربت لورانس	طاهر محمد على البريرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الفجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	جون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جايجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وأخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عثمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وأخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديڤيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روچر آلن	مجدى توفيق وأخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	چون هيتون وچودى جروڤز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى سبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوچين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٢٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	چوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠-	أنثروبولوچيا اللغة	أندريه چاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد چيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	چيرالد پرنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	چان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	پول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليپ تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	ڤولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سپنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللى	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديڤيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السِّيد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	چان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	ڤيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	ڤرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	چى ڤارچيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	أن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	أن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسی	سير روبرت های	يوسف الشارونی
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانی المعاصر	إيميليا دی ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فی زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتی	جمال الجزيری
٥٧٤- مصر القديمة فی عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعی
٥٧٥- الاقتصاد السياسی للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشری محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودی	محمد قدری عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومی ميزوكوشی	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكی	چون ماهر وچودی جرونز	محيی الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحی عبدالهادی
٥٨١- الحمقی يموتون (رواية)	ماريو بونو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا علی الذات (رواية)	هوشنك كلشيری	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت أبادی	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيری	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروی أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينی	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدی
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتی
٥٨٩- تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدی عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	علی عبدالتواب علی وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبری السوربونی	مجدی عبدالحافظ وعلی كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول ڤاليری	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانی فوزی
٥٩٥- الحكم والسياسة فی أفريقيا (جـ٢)	إكوانو بانولی	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فی العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومی علی قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوی
٦٠٠- الإسلام فی التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلی
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافی	أرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسی
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق علی منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكی (الصغير)	مصطفی إبراهيم فهمی
٦٠٦- قصة البردی اليونانی فی مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنی

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥- الجرح السرى	چان چينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن أخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنسارى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	چوناثان ميلر وبورين ڤان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر نبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	چون نينيه	فتحي العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	چى دى موپاسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روچر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدبيار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	پول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تي. م. ألوكو	صبري محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادي	ماجدة العناني
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش في فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسي وأوسكار زاريت	حمدي الجابري
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيري
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدي الجابري
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودي جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسي	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيري
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود ڤيفيان	مني البرنس
٧٠٢-	مدونة جوستنيان في الفقه الروماني (ميراث الترجمة)	جوستينيان	عبد العزيز فهمي
٧٠٣-	تاريخ الأدب في إيران (جـ٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أمين الشواربي
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومي	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالي	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباي وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادي رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحي زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث في تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	علي شعبان وأحمد الخطيب

٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤- اليسار الفرويدى	پول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥- الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧- حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس أليه	أميرة جمعة
٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتى	عزت عامر
٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥- فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورج	محمد عواد
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	چيرار دى چورج	محمد عواد
٧٤٠- خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما	تريڤور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠- الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديبل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١-	جبوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدواً و صديقاً	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه مير درد الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	چون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	چيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارڤن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	ڤيك چورچ وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديڤيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاچين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	چون جريڤيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٩٧- الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩- سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المصرية	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برنش	ربيع مفتاح
٨٢٥- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يلبسون البدلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور

٨٣٥-	تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧-	عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨-	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩-	أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين ڤان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠-	الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١-	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢-	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣-	من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤-	دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥-	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦-	الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧-	الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨-	تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩-	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠-	الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١-	الطب التجريبى (ميراث الترجمة)	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢-	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣-	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤-	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥-	فهم الاستعارة فى الأدب	چيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦-	القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث بانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧-	نادچا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨-	جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩-	السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠-	مصر وأوروبا	ڤان بملن	عادل صبحى تكلا
٨٦١-	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	چين سميث	محمد الخولى
٨٦٢-	ببغاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣-	لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤-	أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥-	فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦-	رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧-	المهمة الاستوائية (رواية)	ديڤيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨-	الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩-	تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠-	عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١-	عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧٢-	كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجانى
٨٧٣-	معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤-	النهر الخالد (مج١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٢٦١٤ / ٢٠٠٥